العرب والمؤامرات

الدكتور فاروق عمر العمر

قائمة المحتويات

الفصل الأول المؤامرات ٩

الفصل الثاني مفهوم المؤامرة ٦٥

الفصل الثالث المؤامرة على العرب والمسلمين في فجر الإسلام .. ١١٠

الفصل الرابع العرب ومؤآمرات الإقصاء ١٣١

الفصل الخامس الدول العربية ومؤآمرات تقسيم التركة العثمانية .. ١٥٢

الفصل السادس العرب والفراغ الايديولوجي ١٨٨

مقدمة

يتعرض المرء أثناء حياته لأحدا ث مؤسفة دون أن يجد لها تفسيرا ، وتمنى بعض الشركات بخسائر لم تكن في حسبانها ولأسباب لا علاقة لها بحسن أدائها أو جودة منتجاتها وتواجه بعض الجماعات مشكلات متعددة تؤرقها وقد تؤدي الى الحاق الأذى بها وبأفرادها، كما تواجه كثير من الدول تحديات صعبة وتهديدات مستمرة قد تقوض وجودها أو نظام الحكم فيها.

وحينما تحيق الكوارث والأزمات بالأفراد أو الجماعات أو المؤسسات المالية أو الدول فإنها قد لا تتمكن من معرفة أسباب ذلك الا بعد فوات الأوان، أو أن أسباب حدوثها تظل غامضة ومبهمة، أو أنها تحتاج الى أدلة قاطعة غالباً ما يتعذر على المحللين الحصول عليها.

وإذا كان بوسعنا أن نعزو بعض تلك الأسباب الى سوء الحظ أو الصدفة أو الخطأ فإن كثيراً منها ناتج عن أيد خفية دفعت بالأمورالى ما الت اليه من سوء.

وحين البحث في كتبنا وصحفنا ومجلاتنا عن مفهوم المؤامرة وماهيتها وأسبابها الى غير ذلك من الأمور التي توضح هذه الظاهرة الخطيرة، فإننا نجد أن كتابنا ومثقفينا يركزون في تناولهم لهذه الظاهرة على جانب محدود منها وهو الجانب الذي يفسر ما نحن فيه من مصائب وتخلف وانتكاسات سياسية وعسكرية دون النظر الى بعدها التاريخي والدولي ، ولهم في ذلك رأيين متعارضين ،رأي يقو ل بوجود مؤامرة تستهدفنا ورأي آخر يقول بعكس ذلك ، ولكل استدلالاته وقرائنه.

أولا: المعارضون لنظرية المؤامرة:

يتهم الفريق الرافض لنظرية المؤامرة المتمسكين والمصرين على نظرية المؤامرة بأنهم لا يملكون أدلة قاطعة وبراهين واقعية لتفسير ظواهر معينة من حولهم لذلك كان لجوؤهم لتحليل مالا يمكن تفسيره بأنه مؤامرة، وهم يعانون من أعراض "البارثويا" وهي الشعور بالاختناق والمحاصرة والتوهم ، وتفسير الأمور السيئة على أنها مؤامرة عبارة عن ردة فعل الضعفاء العاجزين عن ربط ما يدور من حولهم ربطا منطقيا، وخاصة مع وجود

جهة أجنبية يشعرون بأنها تتربص بهم الدوائر، وطبقاً لبعض الآراء فإن نظرية المؤامرة تكون أكثر انتشارا في المجتمعات التي خضعت لاحتلال استعماري وخشيتها من عودة الإستعمار بصورة أخرى ، حيث تظل تلك المجتمعات تعاني من آثار هذه التجربة وويلاتها التي تلاحقها حتى بعد زوال الاستعمار.

والمشكلة في نظرهم أنه لا توجد أدلة على نظريات التآمر وكلها تذكرنا بمقولة "لينين" القديمة عن المؤامرة الرأسمالية للسيطرة على العالم اقتصادياً ، وأن الهدف من انتشار الحضارة والثقافة الغربية من مطعم وملبس ومأكل وطرق تعليم ومعاهد ومدارس هو سيطرة الفكر الغربي على الشرق و يخفي وراءه مؤامرة للتحكم بعقولنا وأحاسيسنا لتتربى الأجيال القادمة وهي مشبعة بالثقافة الرأسمالية فكرا وسلوكا وسياسة.وهو الأمر الذي يدل على أن نظرية المؤامرة ستبقى لأجيال قادمة راسخة في المجتمعات الفقيرة والغنية على حد سواء وفي العالم الأول والثاني والثالث وستبقى مسيطرة على أذهان الناس طالما بقيت هناك عوامل جهل وتجهيل وإخفاء للحقيقة.

وكما ذكرنا سابقاً فإن المعارضين لنظرية المؤامرة يدللون بشواهد على شيوعها وانتشارها بل وقبولها حتى أصبحت ركناً أساسياً في حياتهم، وأنها تستحوذ على مساحة كبيرة من عقولهم وبشكل مخيف رغم انتشار التعليم وتبدل الحياة وتقدم وسائل الاتصال والإعلام. وهم يقولون بأن المقصود بنظرية المؤامرة عند من يعتقدون بها ليس التعريف العلمي لها والقائم على فرضيات تدعمها الأدلة والقياسات، وإنما المقصود منها في هذا السياق هو الوهم الأخآذ عندهم بأن ما يحيط بهم من أحداث وما يلحق بهم من أذى لايحدث اعتباطا ، ولكنه من صنع أطراف خفية غرضها إفساد حياته والتمكن منه أو السيطرة على مقدراته.

وتكمن خطورة الاعتداد بنظرية المؤامرةمن وجهة نظر هذا الفريق في تفسير الأحداث والظواهر الحياتية في أن يلغي الإنسان عقله ويستغني عن التفكير والتأهيل ويسقط مسئوليته في الاطلاع والمتابعة والتدقيق ، كما أن نظرية المؤامرة تفسد علاقة هذا الإنسان مع غيره من البشر وفهمه للثقافات والشعوب الأخرى، فالإنسان الذي يأخذ بنظرية المؤامرة هو في واقع الأمر إنسان يحرم نفسه وعقله من حرية التفكير والتمعن والتحليل وقراءة الأحداث ويسلم أسمى ما يملك وهو عقله وإرادته لآخرين مجهولي

الهوية والقدرات والدوافع وهناك مفارقة في سلوك المؤمن بفكرة المؤامرة، فهذا الإنسان لا يقبل أن يأكل لقمة جاهزة ومغلفة يمدها اليه مجهول على قارعة الطريق ودون سابق ترتيب دون أن يتفحصها ويتأكد من صلاحيتها ، ولكنه يتلقف نظرية المؤامرة بلا تردد أو استبصار، والغريب والمخيف في هذا النوع من الاعتقاد بنظرية المؤامرة أن أحداً لا يعتذر حينما يتبين خطأه أو عندما تنجلي الحقيقة ولا يبذل أي جهد لتحري الحقائق والمعلومات والمصادر فيتراكم الشعورعنده بوجود مؤامرة تستهدفه وتترسخ تلك الفكرة لديه ، مما يمنحها صفة الديمومة ويضفي عليها صفة الحدث الطبيعي ، وفضلاً عن مخالفة الأصول المهنية والمسؤولية الأدبية والقانونية عند القائلين بنظرية المؤامرة ، فإن غياب المراجعة في حالات الخطأ هو تكريس له وتشجيع للإقدام عليه المرة تلو الأخرى ما دامت المسؤولية غائبة ، وهو الأمر الذي يفسر جزئياً شيوع وتكرار نظرية المؤامرة بلا رادع لمن يختلقها ولا مسئولية علىمن يروج لها فيسري مرض المؤامرة كالوباء دون تطعيم أو كالمرض دون علاج.

وتأخذ نظرية المؤامرة عربياً أبعاداً متشعبة بدءاً من زرع الكيان الصهيوني في المنطقة ودعمه من قبل أمريكا والغرب الى اختيار بعض القادة في المنطقة ليكونوا حراسا ووكلاء للغرب في تنفيذ مخططاته واستنزاف ثروات بلدانهم الى زرع الفتنة بين العرب مروراً بحصارهم وإضعافهم لسهولة التحكم بهم وبمصائرهم لذلك أصبح كل شيء لدى العرب مؤامرة حتى عدم وحدة العرب وتفككهم مؤامرة غربية ، وقد تم استخدام مصطلح المؤامرة من وجهة نظر هؤلاء لتبرير الهفوات وأوجه القصور التي يرتكبها المولعون بتفسير كل حدث سيء على أنه مؤامرة، ثم أخذ المعارضون لفكرة المؤامرة في نقدهم للعقل العربي المؤمن بالمؤامرة بقولهم إن نظرية المؤامرة استحوذت على عقل وفكر الإنسان العربي لدرجة مخيفه حتى صارت عبارة "مؤامرة" من المفردات الدارجة في اللغة اليومية ومن الشائع أن يفسر الإنسان العربي الأمور السيئة تفسيرا يتلائم مع نظرية المؤامرة كلما واجهته مسالة أو قضية خارج إطار فهمه أو سيطرته أو تتصل بأطراف خارج محيطه ،حتى وإن كان محدوداً.

ويستدلون على ذلك بأنه رغم مرور عدة أعوام على أحداث سبتمبر في الولايات المتحدة الأمريكية الا إنه لا تزال هناك فئة تقول بأن المخابرات الأمريكية والإسرائيلية

هي المسئولة عن هذه الأحداث، وهذا نموذج لنظرية تجد قبولاً واسعاً واستثنائياً في البيئة العربية حتى في بعض الأوساط التي يعتقد البعض أنها محصنة من هذا الفكر مثل المفكرين والكتاب وكبار المسئولين وامتدت ليتبناها بعض أفراد الجالية العربية المقيمة في الغرب ، بالرغم من ظهور كم كبير من الدلائل والبراهين القطعية والاعترافات الشخصية والصور للمنفذين لأحداث سبتمبر،الا أن كل ذلك لم يقوض هذه النظرية أو يثني مؤيديها عن الاستمرار في اعتقادهم ، وانسحب هذا الاعتقاد ليشمل أحداثاً كثيرة عاشها العالم العربي ، والتي كانت تفسر على أنها مؤامرات ضد العرب والمسلمين .

وهناك أمثلة عديدة على ذلك منها اغتيال المغفور له الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية رحمه الله ، ورغم أن منفذ العملية هو ابن أخ الملك فيصل، الا أن العديد من نظريات المؤامرة حامت حول المخابرات الأمريكية والبريطانية والروسية متهمة إياها بأنها وراء الاغتيال.

وتأخذ نظرية المؤامرة بعدا أكثر شمولا في تبرير وشروع الغزو والاحتلال العراقي للكويت بأنها مؤامرة –أمريكية– أو في أحسن الأحوال مصيدة أمريكية نصبته ا" أيريل غلا سبى" التي أشيع عنها أنها توارت عن الأنظار ولم تقل شيئا أو تذيع أياً من أسرار لقائها مع رئيس النظام العراقي السابق صدام حسين، وما زاد في تأكيد المؤامرة الأمريكية هو بقاء صدام حسين في السلطة حتى بعد اندحاره من الكويت بفترة طويلة.

ثانياً : المؤيدون لنظرية المؤآمرة :

يرى الفريق الثاني أن العرب ضحية مؤامرة أو مؤامرات عديدة حاكتها أياد خارجية وخاصة الغربية أو الأمريكية بمساعدة من الدوائر الإسرائيلية لاستعمارنا ونهب ثرواتنا ولسلبنا حقوقنا وأراضينا وتباين مواقفنا، بل واقتتالنا فيما بيننا ويقول المؤيدون لنظرية المؤامرة بأن المعارضين لنظرية المؤامرة لم يقدموا تفسيراً علمياً واحداً لأحداث نعيشها يومياً، وهل هي من قبيل الصدفة مثلاً أم أن هناك مخططات مسبقة يتم تنفيذها في الموعد المحدد لها ، وهؤلاء المعارضون لنظرية المؤامرة لم يخرجواعن التنظير الذي يصطدم مع الواقع الماثل أمامنا على الصعيد العربي والعالمي، وإذا وقفنا قليلاً أمام مثال اغتيال الملك فيصل ملك المملكة العربية السعودية رحمه الله ،فقد

كان معروفاً بمواقفه القومية العربية والإسلامية المنقطعة النظير، ولم يكن الاغتيال سوى ردٍ على مواقفه التي كان يجاهر بها خاصة فيما يتعلق بفلسطين وبيت المقدس تحديداً فالوضع كله مليء بالمؤامرات ، وهذه المؤامرات وإن كان يتم تنفيذها حالياً لكنها تعود الى حقب بعيدة من التخطيط والإعداد، تمثلت البداية في زرع الكيان الصهيوني في فلسطين والدعم اللا محدود من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا والكثير من دول أوروبا وحتى فرنسا التي تعتبر صديقة للعرب شاركت في تدعيم ذلك الكيان وتقويته عسكرياً، فالمفاعل النووي الإسرائيلي صممته فرنسا ومولته وأشرفت على تركيبه كما أن الاتحاد السوفييتي كان ضالعا بالأمر بصورة أو بأخرى أما زرع الفتنة بين الدول العربية وبذر الخلافات فيما بين قادتها فقد حققت المؤامرات نجاحاً كبيراً في هذا المجال.

ولاحظ أولئك المؤيدون لنظرية المؤامرة إنها ليست حكراً على منطقة إقليمية في العالم دون أخرى وليست محصورة في منطقة وشعوب بعينها، وليست موجودة عند العرب دون غيرهم أو عند الغرب وليس غيرهم حتى ننفي وجودها بمكان ثم نغض الطرف عن وجودها في مكان آخر ، فالإيرانيون ، على سبيل المثال : ينظرون الى أمريكا كزعيمة للمؤامرة عليهم منذ أيام الشاه و يصفون الولايات المتحدة الأمريكية بأنها مهندسة المؤامرات في العالم وأنها وراء كل عمل تخريبي وتجسسي، وأنها تخرج من مؤامرة لتحيك أخرى وهم يرجعون ذلك الى كراهيتها للثورة الإيرانية وحقدها على النجاحات التي حققتها وما قامت به من إزاحة لحليفها وعميلها شاه إيران السابق وأنه لن يكون هناك استقرار في المنطقة مادامت القوات الأمريكية ترابط على ضفاف الخليج العربي ، بينما ترى أمريكا أن إيران هي التي تحيك المؤامرات وأنها تتآمر بصورة مباشرة وغير مباشرة عليها لأنها تعلم أنها العقبة التي تحول دون استيلاء إيران على جاراتها العربيات، ولولا وجودها في المنطقة لما ترددت في الإقدام على ذلك ولو للحظة واحدة .

وإذا خرجنا من الدائرة العربية نجد المؤامرة متمثلة في كثير من المناطق الدولية خاصة بؤر التوتر، فالصينيون كذلك كانوا ينظرون الى "**هونغ كونغ**" كمؤامرة بريطانية لزرع الرأسمالية في الجسد الشيوعي والقارة الصينية الكبيرة ونفس الشيء بالنسبة "للدعم

الأمريكي لتايوان" لبقائها منفصلة عن الصين، والهند كذلك تنظر الى الصين بنفس تلك النظرة وتتهمها باستمرارها في حياكة المؤامرات ضدها ومحاربة أي تقدم فيها وتشاركها في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية لحرصهما سوياً على بقاء الهند دولة متخلفة و كسوق مفتوحة لمنتجات الدولتين معاً الا أن الهند استطاعت الخروج عن ذلك الطوق الى مصاف الدول المتقدمة، فكانت تفجيراتها النووية ودخولها النادي النووي الدولي رغماً عن كل تلك المؤامرات التي حيكت ضدها كذلك باكستان تأخذ نفس النظرة التآمرية ضد الهند بأنها تخطط للقضاء عليها منطلقين من تفسيرات التاريخ والعودة الى مآسي الماضي بينهما والحرب التي فككت باكستان وقسمتها الى شطرين (باكستان الحالية – بنجلاديش) والنزاع الذي لايزال دائراً حول كشمير، والدول الأفريقية تعيش نفس الهاجس لتآمر الغرب على سرقة ثرواتها الطبيعية واستنزافها وإثارة الفتن الداخلية فيها ، وتركيا ترى ان هناك مؤامرة عليها من الغرب لرفض طلبها للانضمام الى الاتحاد الأوربي– وأفريقيا تعاني من نفس هاجس المؤامرات والدسائس الداخلية والخارجية.

وإذا عرجنا الى الدول الغربية نفسها نجد أن المؤامرة هناك تأخذ بعداً اجتماعياً وسياسياً، فأمريكا مثلاً لازالت تتصارع مع نفسها مع فكرة المؤامرة ولم تجد تفسيراً للكيفية التي تم بها اغتيال الرئيس "كندي" ومن الذي دبر اغتياله في الخفاء، ونفس الأمر ينسحب على اغتيال "مارلين مونرو" التي تم ربط موتها بالرئيس كندي ، ولم يحسم الأمر حتى الآن هل اغتيلت أم انتحرت ؟ ولا يختلف الأمر كثيراً بالنسبة لاغتيال داعية حقوق الإنسان الأمريكي "مارتن لوثر كينج" وقد توفي المتهم باغتياله في السجن دون أن يعرف هل هو القاتل حقاً؟.وحتى الرئيس الأمريكي "كلينتون" لم يسلم هو الآخر من التآمر عليه وهذا ما روته زوجته "هيلاري" مطلع عام ٢٠٠٠م بعد أن ظهرت فضيحة "لوينسكي" لتقول بأن هناك مؤامرة يمينية ضد زوجها. ونفس الشيء ينسحب على أحداث "١١ سبتمبر" فهناك اتهام من الأمريكيين ضد حكومتهم بإخفاء الحقائق والأسرار عن ذلك الحدث ولم يقتنعوا حتى الآن بما قدمته من تفسيرات وشنت بسببها حروبا ضد القاعدة. والبريطانيون لم يستطيعوا حل لغز موت الأميرة

ديانا والمصري عماد الفايد واتهموا القصر بتدبير هذه المؤامرة بسبب الإشكالات التي أحدثتها وهزت سمعة القصر الملكي والملكة وولي العهد "تشارلز" زوجها.

وأخيراً هناك من يتهم العولمة بأنها مؤامرة كبرى من دول كبرى في مقدمتهم الولايات المتحدة الأمريكية ضد الدول الفقيرة "العالم الثالث" لفرض نظام غير متكافئ كسوق فقط لتصريف منتجاته ويقضي على الصناعات الصغيرة الناشئة، وهذا مايفسر المظاهرات التي عمت الكثير من دول العالم المتضرر خاصة مع انعقاد اجتماعات المنتديات الاقتصادية العالمية التي تكون أمريكا هي الفاعل الرئيسي فيها ،وحتى المنظمة الفرانكفونية اتهمت أمريكا بالتآمر ضدها لتحجيم دورها وتقليص فاعليتها التي بدأت تزداد في الدول الناطقة بالفرنسية وخوفها مما قد تشكله من تكتل يمثل خطراً على المصالح الأمريكية في تلك الدول.

الفصل الأول

المؤامرات

مما سبق سرده نرى أن لكل من الرأيين وجاهته وحججه، ولا يجب على المرء أن يكون حكماً يؤيد رأياً أو يعارض آخر دون تمحيص ، وإنما يجب عليه البحث في المؤامرة كظاهرة لا تتعلق بنا وحدنا بل بنا وبغيرنا كمنهج و كأداة خطيرة يجب دراستها والتمعن في جوانبها المتعددة وآثارها المدمرة ، وعليه الرجوع الى كتب التاريخ وقصصها كي يستعين بها على توضيح هذه الظاهرة ويحاول تصنيف بعض أنماطها عبر أحداث التاريخ ويسعه في هذا المجال أن يلاحظ أن الأنبياء والرسل عليهم السلام كانوا أول وأكثر من تعرض للمؤامرات لأن دعواتهم كانت واضحة وضوح الشمس بينما كانت المؤامرات تحاك ضدهم في دامس الظلام وسنورد بعضاً منها فيما يلي :

المؤامرات على الأنبياء والرسل[١]

إن الفتن والمؤامرات موجودة منذ أن خلق الله سيدنا آدم الى أن يرث الله الأرض وما عليها، وعلى سطور هذه الصفحات سنتعرض لبعض المؤامرات على الأنبياء والرسل صلوات الله وتسليماته عليهم أجمعين.وسوف نذكر التواريخ كما وردت في كتاب " أطلس تاريخ الأنبياء والرسل " لمؤلفه الأستاذ سامي بن عبدا لله المغلوث مع عدم القبول بأي رأي آخر في هذا الموضوع .

١ – آدم (عليه السلام) : ٥٨٧٢ – ٤٢ ٤٩ ق.م

لقد انصرفت مشيئة الله تعالى الى خلق سيدنا آدم عليه السلام، قال الله تبارك وتعالى للملائكة "إني جاعل في الأرض خليفة " البقرة:٣٠.

وقد دخل سيدنا آدم وأمنا حواء الجنة وهناك عاشا حلم الجنس البشري ، وكان الله سبحانه وتعالى قد سمح لهما بأن يقتربا من كل شيء وأن يستمتعا بكل شيء ما عدا شجرة واحدة ، الا أن إبليس امتلأ صدره حقداً على سيدنا آدم عليه السلام لأنه كان

السبب في غضب الله عليه ، واستغل إبليس ذلك وفكر في المؤامرة على آدم وزوجته مستغلاً إنسانية آدم ، ثم جمع كل حقده في صدره واستغل تكوين آدم النفسي وراح يثير في نفسه ويوسوس اليه يوماً بعد يوم "ماذا يحدث لو أكلت من هذه الشجرة"؟ ربما تكون هذه الشجرة هي شجرة الخلد التي يتمناها آدم، وهكذا أخطأ الشيطان وأخطأ آدم أخطأ الشيطان بسبب كبريائه وأخطأ آدم بسبب فضوله

وليعلم آدم وحواء ويعلما جنسهما من بعدهما أن الشيطان طردهما من الجنة وأن الطريق الى الجنة لا يمر الا بطاعة الله وعداء الشيطان ، وهكذا تآمر إبليس على سيد الخلق ومن ذريته من بعده حيث امتد التآمر الى ابني آدم عليه السلام لنجد لذلك وصفا في القرآن الكريم"واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر" . المائدة:٢٧.

لقد قدر الله تعالى لآدم أن يشهد أول انحياز من أحد أبنائه لروح الشر إبليس فأطاعه واستسلم لمؤامرته ومن ثم وقعت أول جريمة قتل على الأرض،

كان قابيل أول مولود يقبل على الدنيا من أولاد آدم عليه السلام وهابيل كان المولود الثاني وكان ذلك المولود هابيل أول شهيد على ظهر هذا الكوكب ، قتل على يد أخيه قابيل .

وهناك وفي هذه اللحظة بدأت عوامل الشر وشهدت الأرض أول دم بشري يراق وبدأت أيضاً أول خيوط المؤامرة تحاك منذ تلك اللحظة. وبعيداً عن الخوض في أسباب الخلاف حيث أن بعض المفسرين نقلوا عن بعض الإسرائيليات كلاماً كثيرا عن هذه الأسباب فمنهم من قال إن سبب الخلاف هو أن قابيل نقم على أخيه هابيل عندما تزوج المرأة الجميلة وترك له الدميمة أي "القبيحة" ، وهذه قصة لم ترد في القرآن الكريم مصداقا لقوله تعالى "إنما يتقبل الله من المتقين" وهو بيان لسبب رفض قربان قابيل لأن إيمانه كان منتقصاً. وكذلك الإدعاء بأن اسمي "قابيل وهابيل" عبرانيان فقابيل تعني في العبرية الحداد ، وهابيل تعني النسمة . فهل كان في زمنهما عبرانيون ولغة عبرانية ليكون الاسمان عبرانيين ؟ وقد وردت في الإسرائيليات أن قابيل تقرب من ثمر الأرض فقدمه للرب ، وقدم هابيل شيئاً من أبكار أغنامه ومن سمانها فنظر الرب الى هابيل وما قدمه ولم ينظر الى قابيل فشق على قابيل ذلك وسقط وجهه ، فقال الرب: لم تشق

عليك ولم سقط وجهك؟ الا إنك أحسنت فقال وإن لم تحسن فالخطيئة تنتظرك، ثم قال قابيل لأخيه لنخرج الى الصحراء "ليخلوا به" فلما كانا في الصحراء وثب على هابيل فقتله. ولما سال الرب قابيل عن أخيه هابيل حاول الكذب وسد في وجهه باب النكران إذ قال الرب إن صوت دم أخيك صارخ الي من الأرض ولعنت الأرض قابيل وفتحت فاها مستقبلة دم أخيه وأقر بجريمته وببشاعتها وبث ربه خوفه من أن ينتقم منه، لذلك فر الى بلاد "**نود**" وفيها بني قرية وولد له ولد دعاه "أخوخ" وسمي قابيل المكان الذي أقام فيه باسم ابنه.[٢]

وتنتهي القصة في الإسرائيليات عند هذا الحد دون ذكر للغراب ولا لسبب تقبل الله سبحانه وتعالى قربان هابيل وليس فيها أن الله عليم بما يجري من حوادث ولا بما جرى لهابيل ، ولم تطلعنا القصة الا على جانب الحسد عند قابيل ودافع الشر عنده ولم تظهرنا على مواعظ ودروس القصة

وقد حكى القرآن الكريم قصتهما " واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق "..الخ الآيات وتسمية هذه القصة بالنبأ ينأى الله سبحانه وتعالى أن تكون مجرد قصة من قصص الخيال ولكنها من القصص الواقعية وليست خيالاً.وسبب الخلاف كما ورد هو قبول الله سبحانه وتعالى القربان الذي قدمه هابيل ولم يتقبله من قابيل ، ووفقاً للروايات أن هابيل كان راعي غنم فقدم شيئاً من أبكار أغنامه وأسمنها ، وقدم قابيل شيئاً من ثمر الأرض التي زرعها شكراً لله حيث كان عامل زراعة ،وقد اهتمت الآيات القرآنية التي أوردت ذلك بالحوار بين القاتل والمقتول وتبيان حسد قابيل وقصور تفكيره ورعونته وكلها صفات ولدت الشر فيه على النقيض من أخيه هابيل الذي آثر الا يكون جباراً في الأرض والا يبدأ أخاه بالعدوان ورفض أن يلجأ الى العنف رغم قدرته على الذود عن نفسه ، الا إنه كان يدرك أن نهايته ومصيره محتوم لا فرار منه وأن الله سبحانه وتعالى قدر ذلك فاستسلم لإرادة الله وقدره، ولكن ما يهمنا في ذلك هو التفكير في الكيفية والنهج الذي أراد به قابيل التخلص من أخيه هابيل وكيف خطط له واستدرجه والسبل التي سلكها لتنفيذ خطته وهذه الطريقة وهذا ا لمنهج لم تعهدهما الأرض قبل ذلك ، فالحديث ليس عن القدر ونفاذه لكن التفكير والاستدراج والتخطيط وتحديد الزمان والمكان واختيار الالة والوسيلة التي نفذ بها عملية القتل تشرح ما يمكن أن نسميه اليوم

المنهج التآمري ، وإن كان لم يكن معروفاً لديه ذلك وإنما تصرف وفقاً للجانب الشرير الكامن في الطبيعة البشرية.

لقد قتل أحد أبناء آدم شقيقه ، لقد قتل الشرير أخاه الطيب ، ثم بعد برهة من الوقت اندلع حزنه على أخيه كالنار فأحرقه الندم ، اكتشف فجأة أنه الأسوأ والأضعف وقتل الأقوى والأفضل، نقص أبناء آدم واحداً وكسب الشيطان واحد من أبناء آدم "هذا من عمل الشيطان، إنه عدو مضل مبين" القصص:١٥.

٢ – نوح (عليه السلام) : ٣٩٩٣ – ٣٠٤٣ ق.م [٣]

لقد اختار الله تعالى عبده نوحاً وأرسله الى قومه فكان نوح بمقياس العظمة أعظم إنسان في عصره .

لقد تحرك قوم نوح في اتجاهين بعد دعوته الاتجاه الأول الذي آمن به وبرسالته وبأن الله هو الذي يستحق العبادة ، أما الاتجاه الثاني فهو اتجاه الكفار الذين حاولوا مساومة نوح من أجل قبولهم الإيمان بدعوته فاشترطوا أن يطرد الذين آمنوا به من الفقراء والمساكين ، الا إنه رفض ذلك لأنهم ليسوا ضيوفه ولكنهم ضيوف الرحمن ، فالرحمة بيت الله يعز فيها من يشاء ويطرد منها من يشاء . واستمر الصراع وتشعبت المناقشات والحوار الذي لا فائدة من ورائه، وفكروا كثيراً فيما سيفعلونه به وبدأوا التخطيط في التآمر عليه ، لأنهم كانوا سيستفيدون من بقاء الأوضاع على ما هي عليه وجاءت ساعة التنفيذ فاتهموه بأنه بشر مثلهم ،وهكذا اندلعت الفتنة بين نوح ورؤساء قومه.

"قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة من عنده ، فعميت عليكم انلزمكموها وأنتم لها كارهون (٢٨) ، ويا قوم لا أسالكم عليه مالاً إن أجري الا على الله، وما أنا بطارد الذين آمنوا إنهم ملاقوا ربهم ولكني أراكم قوماً تجهلون (٢٩) سورة هود.

"وأوحى الى نوح أنه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن ، فلا تبتئس بما كانوا يفعلون". هود:٣٦ وقد مكر الكافرون "ومكروا مكراً كبارا". نوح:,٢٢

٣ – هود (عليه السلام) : ٢٤٥٠ – ٢٣٢٠ ق.م [٤]

كان هود من قبيلة عاد التي تسكن مكاناً يسمى الأحقاف وهي صحراء تمتلئ بالرمال ، أما مساكنهم فقد كانت لها أعمدة شديدة الارتفاع والفخامة ، وكانوا عمالقة وأقوياء ، ولم يكن في زمانهم أحد في قوتهم ، ولكن كانت عقولهم مظلمة تعبد الأصنام ويحاربون دفاعاً عنها.

وقد كذب قوم هود نبيهم لأنهم قالوا لماذا اختار الله بشراً من بيننا ليوحي اليه؟ واستمر الصراع بين هود وقومه وازداد قوم هود استكباراً وعناداً وطغياناً وتكذيباً واتهموا نبيهم بالجنون وأعلن هود براءته منهم ومن الهتهم. "وقال الملأ من قومه" **المؤمنون:٣٣** والملأ هم الرؤساء لأنهم مليئون بما يقولون ولهم المصلحة في استمرار الأوضاع الفاسدة وسوف نلاحظ أن هؤلاء الملأ يتآمرون في كل قصص الأنبياء من مواقع الثراء والغنى والترف الذي يولد التعالي على خلق الله

والحرص على استمرار المصالح الخاصة الا من كان قلبه متقبلا للإيمان ولكن غضب الله كان عظيماً فأرسل عليهم الرياح مسلطة سبع ليال وثمانية أيام لم تر الدنيا مثلها قط. "سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية " **الحاقة** : ٧ وقد نجا هود ومن معه وهلك الجبابرة.

٤ – صالح (عليه السلام) : ٢١٥٠–٢٠٨٠ ق.م [٥]

لقد جاء بعد قوم عاد قوم ثمود وتكررت قصة العذاب بشكل مختلف مع ثمود التي كانت تعبد الأصنام، وقال صالح لقومه "يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره". **هود:٦١** نفس الجملة يقولها كل رسول ونبي، لا تتبدل ولا تتغير، فهذه هي دعوة التوحيد. وقد طالبه قومه بمعجزة تثبت أنه رسول الله اليهم فقال لهم: "ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل من أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب" **هود:٦٤** .

وأصدر الله أمره لصالح أن يأمر قومه بأن لا يمسوها أو يؤذوها وأن يتركوها في أرض الله لأن عقابهم إن هم عصوا الله سوف يكون العذاب الاليم ، وعاشت الناقة بين قوم صالح فآمن منهم من آمن ، وبقي أغلبهم على الكفر والعناد وتحولت الكراهية ضد سيدنا صالح الى الناقة المباركة وبدأت المؤامرة تنسج خيوطها ضد الناقة، وقد جاء

التدبير والتخطيط من رؤساء قومه وهم مرة أخرى الملأ الذين استكبروا من قومه "قال الذين استكبروا إنا بالذي آمنتم به كافرون". **الأعراف:٧٦.**

وقال أحد الكافرين في اجتماع لرؤساء القوم "أبشراً منا واحداً نتبعه، إنا إذاً لفي ضلال وسعر" **القمر:٢٤.**

وبدأوا يخططون ويدبرون المؤامرة الكبرى لإزاحة صالح عن طريقهم ، تلك هي أساليب المتآمرين ، وهذا هو سلاحهم منذ خلق الله آدم ، لا يعمدون الى العقل أو الفكر إنما تمتد أيديهم الى السلاح وتقتل من يعارضهم. "وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الأرض ولا يصلحون". **النمل:٤٨** إنهم أداة الجريمة فهم مجرمو المدينة المشهورون ، وهكذا انتهت مرحلة التخطيط وتحديد مكان التنفيذ ، فبدأ الغروب يلوح في الأفق ثم ازداد الظلام الساقط على الجبال وقد أعد المجرمون الأسلحة والسيوف والسهام وذهبوا الى مكان الناقة وامتدت أيديهم الآثمة القاتلة الى الناقة وسالت دماؤها "إنا مرسلو الناقة فتنة لهم ، فارتقبهم واصطبر" . **القمر:٢٧** . وبهلاك الناقة هلك الجميع لأن الله تعالي أرسل عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر.

٥ – إبراهيم (الخليل عليه السلام) : ١٩٩٧-١٨٢٢ ق.م [٦]

هو أحد أولي العزم الكبار (نوح، إبراهيم، موسى، عيسى، محمد) بترتيب بعثهم. هو النبي الذي ابتلاه الله ببلاء مبين ، وقد وفى وزاد الوفاء بالإحسان . قال تعالى "وإبراهيم الذي وفى" . **النجم:٣٧.**

وكان من فضل الله عليه أن جعله إماما وجعل في ذريته النبوة ، وبدأت رسالته بتفنيده العقيدة الشمسية لأنها ختام جولته مع عبدة الكواكب والنجوم " فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي ، هذا أكبر ، فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون" . **الأنعام:٧٨** .

وبعد أن أعلن إبراهيم أن الشمس ربه انتظر حتى جاء المغيب وغربت الشمس وأفلت هي الأخرى مثل كل المعبودات التي تأفل.

وبدأ صراعه مع قومه ولم يسكت عنه عبدة النجوم والكواكب ، فبدأوا المؤامرة بالجدال والتخويف والتهديد والتنكيل له ولكن حجة إبراهيم استطاعت أن تظهر الحق ثم

التفت سيدنا إبراهيم في نهاية المطاف الى عبدة الأصنام ، ولكن الصراع هنا كان أقوى وأشد لأن أباه كان في دائرة المؤامرة حيث كانت مهنته صناعة التماثيل ، فالابن يقف مع الله والأب يقف مع الباطل. فقال الأب لابنه: إذا لم تتوقف عن دعوتك سأقتلك ضرباً بالحجارة وانتهى الأمر عند طرد إبراهيم من البيت ، وذهب إبراهيم ليحطم التماثيل الا واحداً وهو كبيرهم ، وقال لقومه لقد علقت الفأس في عنق كبير الالهة فلم يقل لماذا فعلت ما فعلت ، إنه لا ينطق ولا يسمع ولا يرى ولا يضر ولا ينفع ، لقد الزمهم الحجة وأسكتهم بالبرهان وناقشهم بمنطق الكفر.

وحين تهاوت الحجة ونهض الكبرياء وحين أسقط دليلهم ميتاً نهض العناد وأصدر كبير الكهنة أمره بإحراق إبراهيم بالنار.

"حرقوه وانصروا الهتكم إن كنتم فاعلين". **الأنبياء:٦٨.**

٦ – لوط (عليه السلام) : ١٩٥٠ – ١٨٧٠ ق.م [٧]

قال تعالى "كذبت قوم لوط المرسلين" **الشعراء:١٦٠.**

لقد دعا لوط قومه الى عبادة الله ونهاهم عن كسب السيئات والفواحش فقد كان قومه يرتكبون الجرائم وكانوا يقطعون الطريق ويخونون الرفيق ولا يتناهون أبدا عن منكر فعلوه, وقد كانوا يأتون الرجال شهوة من دون النساء.

مرت سنوات على دعوة لوط بغير أن يؤمن له أحد سوى أهل بيته الا زوجته، ولما رأى منهم ما رأى دعا الله أن ينصره ويهلك المفسدين فأرسل الله اليه الملائكة وقالواله لا تجزع ولا تخف ولن يصلوا اليك، وكان هؤلاء القوم قد تنادوا من كل صوب حتى ينفذوا مؤامرتهم ضد ضيوفه، فيسقط الأمر من يد لوط وهو الذي كان يعارض ما كانوا يفعلون.

"ولقد راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذر(٣٧) ولقد صبحهم بكرة **عذاب مستقر" القمر:٣٨.**

ولقد طمست إشارة جبريل عليه السلام أبصارهم فخرجوا من البيت وهم يظنون أنهم يدخلونه ، وقد هلك قوم لوط ومحيت مدنهم وتحولوا الى بحيرة من الموت .

٧ – يوسف (عليه السلام) : ١٧٤٥-١٦٣٥ ق.م [٨]

تتكرر قصة هابيل وقابيل مع إخوة يوسف عليه السلام فنجد أن المؤامرة هي المؤامرة وإن اختلفت الطريقة التي تم بها التنفيذ حسب الزمان والمكان وتطور وانتقال الحياة البشرية من عصر الى عصر، لكن المؤامرةلا تخرج عن إطارها العام ، وهذا الاطار هواستمرار كيد الشعوب والأقوام الضالين على الأنبياء والرسل عليهم السلام .

لقد تعرض يوسف طوال حياته لمؤامرات كانت تأتيه من أقرب الناس اليه وهم إخوته ،و لأن يوسف لم يكن أخاً شقيقاً لهم ، فقد كانوا لا يحبونه ولا يحبون التصاقه بأبيهم وملأ الحسد قلوبهم بسبب حب أبيهم له ، فجلس الإخوة يكيدون له ويدبرون مؤامرة لقتله ولكن رأي الأغلبية استقر على القائه في البئر والتخلص منه .

"قالوا يا أبانا مالك لا تأمنا على يوسف وإنا له لناصحون ، أرسله معنا غداً يرتع ويلعب وإنا له لحافظون" **يوسف:١١-١٢** .

وقد أدرك الأب أنهم يكذبون وعبر عن هذا فقال : "قال بل سولت لكن أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون" **يوسف:١٨.**

وما نتصوره نحن أنها مأساة ومحنة وفتنة لأنها تأتي من أقرب الناس ، الا أن الله تعالى قد وعده النبوة "ولما بلغ أشده آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين". **يوسف:٢٢.**

ولا شك أن الله تعالى قد مكن ليوسف في الأرض بعدما اشتراه رجل من الطبقة الحاكمة سماه القرآن "العزيز" ، وقد كان يوسف أجمل شاب في عصره ومن صفاء قلبه ونقاء سريرته أضيف على هذا الجمال المزيد من الجمال الملائكي "ما هذا بشراً".

وقد كانت امرأة العزيز تراقب يوسف من الحين للآخر بصفة مستمرة ويزداد إعجابها به لحظة بعد أخرى واكتشفت عشقها له وبدأت تقترب وتلتصق به أكثر فأكثر "راودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون ، ولقد همت به وهم بها .. " **يوسف: ٢٣-٢٤.**

فبدأت تخطط للتآمر عليه وتنفذ ما تشعر به تجاهه وحرصت على أن لا يفر منها هذه المرة ، فخرجت من التلميح الى التصريح ولكنه أبى أن يعصى الله تعالى ،

فأخذت تنسج مؤامرتها وتنتقل بها من الحوار بالكلام الى الأيدي ،فانطلقت وراءه وهو يهرب ولكن الباب انفتح فجأة وبادرت زوجها التي وجدته أمامها بالقاء التهمة على يوسف. "واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً الا أن يسجن أو عذاب اليم". **يوسف:٢٥**

ولما تأكد الزوج من خيانة زوجته، بعدما شهد شاهد من أهلها "قال إنه من كيدكن"، إشارة الى عدم نجاتها من سلطان الشيطان في هذه اللحظة ، فقال تعالى لإبليس يوم الخلق "إن عبادي ليس لك عليهم سلطان". **الحجر:٤٢**

لقد صرف الله عن يوسف كيد النساء وأصبح حبهن له نوعاً من الرغبات المستحيلة وثبتت براءة يوسف أمام الجميع كما صورها القرآن الكريم باعتراف امرأة العزيز بمؤامراتها نتيجة انفعالها ومشاعرها وحبها له "أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين" يوسف:٥١ ، وكان نتيجة تلك المؤامرة هي القاؤه في السجن.

٨- شعيب (عليه السلام) : ١٦٠٠-١٤٩٠ ق.م [٩]

"والى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره" **هود :٨٤** .

وبنفس الدعوة التي يدعوها كل نبي لا تختلف من نبي الى آخر ولا تتبدل " أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ".

وقد كان أهل مدين ينقصون المكيال والميزان ولا يعطون الناس حقهم ، فخلت نفوسهم من نظافة القلب واليد ، وكان أهل مدين يعتبرون بخس الناس أشياءهم نوعاً من أنواع المهارة في البيع والشراء ودهاء في الأخذ والعطاء ، وقد كانوا أيضاً يخيفون المارة ويقطعون السبيل ويعبدون الأيكة من دون الله وهي شجرة ، وأخذ شعيب ينصحهم ويوجههم الى الطريق الصحيح "إن أريد الا الإصلاح ما استطعت" **هود:٨٨**.

فإن ما يريده شعيب هو الإصلاح لقومه ، إصلاح القلوب والعقول ، إصلاح الحياة العامة لأن ظلم الناس سيولد عندهم مشاعر الالم واليأس واللامبالاة وتكون النتيجة أن ينهزم الناس من الداخل وتنهار علاقات العمل والثقة بينهم.

وبعد دعوته لهم وتحذيرهم من العناد وتخويفهم من مصارع المكذبين السابقين دعاهم الى الاستغفار والتوبة، الا إنهم اختاروا العناد والمكابرة.

"قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا" **الأعراف:**٨٨ .

وبدأ قوم شعيب في التآمر عليه لأنهم ضاقوا ذرعاً به فهددوه بالقتل ثم بالطرد من قريتهم أو العودة الى ديانتهم وملتهم التي تعبد الأشجار والجمادات ، واستمر الصراع ونفض شعيب يده منهم وقد هجروا الله وكذبوا نبيه واتهموه بأنه مسحور وكاذب وطالبوه بأن يسقط الله عليهم كسفاً من السماء ان كان من الصادقين ومن ثم أدركتهم صيحة جبارة فخروا مصعوقين.

٩- سيدنا موسى (عليه السلام) : ١٥٢٧-١٤٠٧ ق.م[١٠]

بدأت تربيته في بيت فرعون في عهد رمسيس الثاني، ،وقد كان أحد لا يراه الا أحبه وكان يعلم أنه واحد من بني إسرائيل ، وكبر موسى وبلغ أشده وقد وجد موسى رجلاً من أتباع فرعون "مصري" وهو يقتتل مع رجل من بني إسرائيل واستغاث به الرجل الضعيف فتدخل موسى وأزاح بيده الرجل الظالم فقتله ، فقد كان موسى قوياً الى الحد الذي يكفي فيه أن يضرب بيده ضربة واحدة ليزيح خصمه ، فإذا هو يقتله، وقد قال موسى "هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين"القصص ١٥ ، وأصبح موسى في المدينة خائفاً يترقب ، وقد فوجئ موسى أثناء سيره بنفس الرجل الذي أنقذه بالأمس يناديه ويستصرخه اليوم وأدرك موسى أن هذا الإسرائيلي مشاغب وصرخ موسى في وجهه "قال له موسى إنك لغوي مبين" **القصص١٨.**

قال موسى كلمته واندفع نحوهما يريد البطش بالمصري، واعتقد الإسرائيلي أن موسى سيبطش به هو، فدفعه الخوف من موسى الى استرحامه صارخاً "يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس... " . **القصص:١٩.**

وأدرك المصري الذي كان يتشاجر مع الإسرائيلي أن موسى هو قاتل المصري الذي عثر على جثته أمس، فجاءه من يحذره من مؤامرة تحاك ضده مصداقاً لقوله تعالى "وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين" **القصص:٢٠** .

ويخفي الله عنا اسم الرجل الذي جاء يحذر موسى وقال له إن الملأ (الرؤساء المسئولون عن الأمن) يعدون لك المؤامرة. ثم ازداد العنت والظلم علي بني إسرائيل فهاجر بهم سيدنا موسى علية السلام في عام ١٢٣٠ ق.م في عهد رمسيس الثالث .

وعلي الرغم من المعجزة الربانية التي أنقذ الله بها موسى ومن معه حينما انشق البحر فبلغ فرعون وجنوده ،الا أنه واجه مؤامرات بعضهم الكثيرة وتشكيكهم بدعوته.وأنكروا فضل الله تعالي في أول سانحة لاحت لهم حينما ذهب موسى ليناجي ربه واستخلف مكانه أخاه هارون ريثما يعود ، الا أنهم لم ينتظروا عودة موسى فصنعوا عجلاً من الذهب وأخذوا يعبدونه، فأبقاهم الله تعالي في ارض التيه أربعين عاماً.

١٠- يحيى (عليه السلام) : ١ ق.م – ٣١م [١١]

قال تعالى في سورة مريم : "يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا" "**مريم** : ٧ وذلك لأن هذا الإسم لم يكن مالوفاً عند اليهود ، ويسميه المسيحيون يوحنا المعمدان لأنه كان يغطس روؤس التائبين بالماء كرمز على غسل قلوبهم وتطهيرها من الدنس .

لقد كان يحيى معاصراً لسيدنا عيسى وقريبه من وجهة الأم (ابن خالته)، ويقال إن رسول الله (ص) خرج على الصحابة يوماً فوجدهم يتذكرون فضل الأنبياء، فتدخل المصطفى حين رآهم لا يذكرون يحيى فقال لهم أين الشهيد ابن الشهيد؟ يلبس الوبر ويأكل الشجر مخافة الذنب، كان مولده معجزة فقد جاء لأبيه زكريا بعد أن يئس من الذرية لكبر سنه ، وقد جاء بعد دعوة نقية تحرك بها قلب زكريا فهو بذلك ابن خالة سيدنا عيسى بن مريم عليهما السلام.

لقد كان يحيى عطوفاً يطعم الحيوانات والطيور من طعامه رحمة بهم وكان يحب القراءة ، فلما صار صبيا نادته رحمة ربه: "يايحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبياً **مريم:١٢** لقد صدر الأمر ليحيى وهو صبي أن يدرس الكتاب بإحكام "كتاب الشريعة" ولقد كان النبي يحيى إذا وقف بين الناس ليدعوهم الى الله أبكاهم من شدة الوعظ والخشوع وقد كان الملك في ذلك الزمان طاغية ضيق العقل غبي القلب مستبداً، وكان الفساد منتشراً في بلاطه. وتصادف أن خطط هذا الملك الطاغية لاغتصاب زوجة

أخيه، وكانت لها ابنة فاتنة الأنوثة و ذات شهرة ذائعة في الرقص، وقد سال الملك يوماً يحيى هل يجوز له أن يتزوج زوجة أخيه؟ فقال له يحيى عليه السلام لا يجوز، ولكن الملك أمر يحيى بأن يجد له فتوى ترضيه، فرفض يحيى أن يوافق الملك على رغبته، فاستشاط الملك غضبا واستبد برأيه فأدخل يحيى السجن. وعندما شاهدت ابنة الزوجة (الراقصة) يحيى يحدث الملك أحست بنبل أخلاقه وجلال شخصيته وذهبت اليه في سجنه الذي سجنه الملك فيه وشاهدته يجلس منخرطاً في الصلاة فالقت بنفسها على قدميه وسالته أن يحبها كما تحبه وتهواه حينئذٍ قال لها يحيى "ليس في قلبي مكان لحب غير الله" ، ورجعت المرأة يائسة من توسلها له وحز في نفسها ذلك الرفض وهي التي تعرف أن كل من حولها يتمناها، واعتبرت ماحدث لها إهانة مابعدها إهانة وانصرفت وقد امتلأ قلبها بكراهيته وبدأت منذ انصرافها تنسج خيوط المؤامرة للنيل من يحيى (عليه السلام) بالاتفاق مع الملك الذي سيطرت عليه بأنوثتها ورقصها ثم كشرت عن وجهها للملك وقالت له أنت تريدني وأنا أريد رأس يحيى بن زكريا فأفاق الملك من سكره وأحس بالخوف وقال لها اساليني أي شيء آخر فقالت أريد دم يحيى وبعد برهة من الوقت أصدر الملك لقائد الحرس أمره بقطع رأس يحيى في السجن وجيء برأسه في طبق وقدم للفتاة فجاءت به الى أمها.

١١- سيدنا عيسى بن مريم (عليه السلام) : ١ ق.م-٣٢م [١٢]

لقد انطلق سيدنا عيسى في دعوته الى الله على أساس أنه لا وسيط بين العابد والمعبود، أو الخالق والمخلوق ونهاهم عن البيع والشراء عند الهيكل ليكون مكان عبادة وحاول عيسى عليه السلام أن يوجه اليهود الى الوصايا العشر التي نزلت على سيدنا موسى، وأن لها معاني أعمق مما يفسرون فالوصية السادسة لا تنهي عن القتل المادي كما تصوروها ، وإنما تطال كل اعتداء أو إساءة للآخرين والوصية السابعة لا تنهي عن الزنا بمعنى اتصال رجل بامرأة ليست من حقه فحسب وإنما تنسحب الى كل أنواع الزنا ، فتستطيع العين أن تزني لو نظرت لما هو حرام وقد أثارت دعوة عيسى كهنة اليهود، فقد كانت كل كلمات عيسى تتحداهم وتعريهم وتعلن الحرب عليهم.ومن

ثم بدأت المؤامرات تدبر لعيسى من كهنة اليهود ، وإثبات أنه جاء ليحطم "شريعة موسى " وأرادوا إحراجه عندما التفوا حوله ليسالوه عن رجم الزانية حسب شريعة موسى ، وقد أحضروا له امرأة خاطئة تستحق الرجم ، فنظر عيسى الى المرأة ثم الى الكهنة وقد كان يعلم بأن الكهنة أعظم خطأً من المرأة ، وأدرك عيسى عليه السلام المؤامرة فإذا عارض حكم الرجم فإنه بذلك يقف ضد شريعة موسى ، ولكنه رد عليهم بذكاء قائلا "من كان منكم بلا خطيئة فليرمها بحجر" ، وبدأ تحرك الملأ من القوم ضد النبي الجديد لأن الفكرة نفسها تقلق الطغاة والجبابرة وتهدد مصالحهم.

واستمر عيسى عليه السلام في حربه الفكرية بإعلان الوهية الله، فليس من حق أحد أن يستذل الآخر أو أن يستغل أحد جهد أحد لبناء مجده الشخصي أو الإثراء على حسابه أو هضم حقوقه. وقد أثرت دعوة النبي في أعضاء الأسرة الواحدة لأن العقول مختلفة فترى الأب يؤمن والابن يكفر أو ترى الزوجة تؤمن والزوج يكفر وبهذا الاختلاف ازدادت حدة العداوة والكراهية والحرب ضده لأنه حسب قول المتآمرين عنه بأنه جاء ليفرق بين الأب وابنه، أو الزوج وزوجته.

وبرغم المعجزات الكثيرة التي أتى بها وأيده الله بها الا أن الكافرين لم يقتنعوا كعادتهم منذ الأزل ، وعاد الله عز وجل ليمد عيسى بالمعجزات الباهرة "إذ قال الحواريون يا عيسى بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء ، قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين [١١٢] قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين [١١٣] قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين" **المائدة: ١١٢- ١١٤ .**

لقد مضى عيسى في دعوته لكنه وجد السوء والخطيئة من حوله فتجرأ عليه الفريق الذي لم يؤمن من اليهود والذين كانوا متأثرين بأزلية شعب الله المختار فآذوه واتهموه بالسحر وخرق "شريعة موسى" التي ابتدعها "اليعازر" ، فلما يأسوا منه ورأوا الضعفاء والفقراء يجتمعون حول كلماته أخذوا يدبرون له المؤامرات ويكيدون له ويالبون الرومان عليه ، وقد اجتمع مجلس السهندريم "المجلس التشريعي الأعلى لكهنة لليهود" للتآمر عليه والقيام بقتله . ومضى رؤساء الكهنة يخططون سراً في الطريقة التي يقبضون بها

على عيسى دون إثارة شغب أو ثورة.فأغروا أحد تلاميذ المسيح الاثنى عشر وهو يهوذا الاسخريوطي فساعدهم في القبض على عيسى ليصلبوه.

ولم يكن للكهنة اليهود سلطة حكم الإعدام في ذلك الوقت حيث كان ذلك من سلطات الوالي الروماني ، غير أنهم اقنعوا الوالي بمؤامرة مزعومة يدبرها عيسى ضد أمن الإمبراطورية الرومانية ، وقيل إنهم أقنعوه بأن الأمر خاص بتقاليدهم وديانتهم فآثر عدم التدخل ، وهكذا تم إحكام المؤامرة وكان المارة يسبونه و يهزأون به قائلين "يا هادم الهيكل وبانيه في ثلاثة أيام خلص نفسك مما أنت فيه إن كنت أنت ابن الله فانزل عن الصليب".

وقد قال الله تعالى "وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم الا إتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيما" **النساء:١٥٧.**

وكما يقول" **أنجيل برنابا** " وهو أقرب الأناجيل الى القرآن الكريم إن الذي شبه به هو يهوذا الأسخريوطي الذي باع سيدنا عيسى لأعدائه وأرشدهم عنه "إذ تغير يهوذا في النطق والوجه فصار شبيها بيسوع حتى أننا اعتقدنا بأنه يسوع أما هو(أي الإسخريوطي) فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم ،لذلك تعجبنا وأجبنا أنت يا سيدي معلمنا أنسيتنا الآن!

هذا مرور خاطف على سيرة بعض الرسل والأنبياء وماواجهوه من مؤامرات في سبيل نشر دعوة الله سبحانه وتعالى ، وقد أجلنا الحديث عن المصطفى (ص) الى موضع آخر من الكتاب، وبالإمكان الرجوع لكتب التاريخ من أجل الإستزادة ولنا بعد ذلك أن نعود الى المؤامرات التي تقاسمها ولا يزال يتقاسمها بقية البشر،وهي مؤامرات يمكن تقسيمها بشيء من التعميم الى نوعين هما :

أولاً: مؤامرات الأفراد والجماعات والمؤسسات :

لاشك بان بإمكان مؤيدي نظرية المؤامرة القول بأن معارضي نظرية المؤامرة يخطئون حين يظنون أن للمؤامرة نسقا واحدا يتم بموجبه تعميم سماته علي جميع أنواع المؤامرات ، إذ أن للمؤامرات أشكالاً متعددة وأنواعاً مختلفة وأن المؤامرة قد تكون فردية

يقوم بها فرد بمفرده ضد فرد آخر أو مجتمع أو مؤسسة ، أو قد تكون مؤامرة جماعية يقوم بها جماعة ضد فرد أو جماعة أو مؤسسة ضد مؤسسة أخرى ، وما الى ذلك من أنواع المؤامرات التي يغفل عن ذكرها المعارضون لنظرية المؤامرة ، بل إن بعض أنواع تلك المؤامرات يكاد يخرجها من إطار المؤامرة الي إطار الجريمة المفضوحة ، لأن من طبيعة المؤامرة الغموض والقصد الجنائي بحيث لايكاد المرء أن يفرق أحيانا بين المؤامرة والفعل الجنائي والجريمة، سواء ضد فرد أو مؤسسة أو دولة. ولتوضيح ذلك نضرب الأمثلة الثلاثة التالية :

المثال الأول: [١٣]

قرر شخص " ع.أ. " بالاتفاق مع مجموعة من أقاربه الانتقام من المحامي الذي اعتاد إهانته أمام الجيران بصفة مستمرة ، وكان هذا الشخص قد عاتب المحامي على ذلك، فقام ذلك المحامي بسبه والاعتداء عليه ضرباً، فقرر أن ينفذ مؤامرته بالتخطيط مع أربعة من أقاربه بالصعود الى شقة والده والسؤال عنه ، الا إنه كان بالخارج وعند عودته من خارج المنزل كانوا بانتظاره ، وما أن وصل حتى انهالوا عليه ضرباً ثم قام أحدهم نتيجة مقاومته بذبحه وكانوا قد أحضروا سيارة تابعة لمحافظة الجيزة ليفروا بها عقب تنفيذ خطتهم ، وعند هروبهم وقف باقي الزملاء ومعهم الأسلحة البيضاء يهددون كل من يحاول الاقتراب للتدخل، ومن ثم اختفوا عن الأنظار بعد أن تركوا السيارة بحي جنوب الجيزة.

المثال الثاني : [١٤]

قامت إحدى الزوجات في المغرب العربي بالتآمر على زوجها مع امرأة أخرى بعد أن اشتدت حدة الخصام والخلافات الزوجية بينهما ، فقامت باتهامه بالانتماء لجماعة إرهابية عقب مغادرته المنزل الى مدينة أخرى من أجل التخطيط لعمليات ضد السياح هناك.

وبعد بحث الشرطة عنه وجدته في مدينة أخرى بين أهله وذويه ، وبالاستماع اليه صرح بأنه قد غادر بيت الزوجية في أعقاب خلاف حاد مع زوجته ، وقد قضت

المحكمة بإدانة الزوجة والعرافة التي شاركتها في المؤامرة حينما أخبرتها بأن الفنجان قد دلها على المكان الذي يوجد فيه زوجها مع جماعة من الملتحين في تلك المدينة.

المثال الثالث : [١٥]

تآمر رجل أعمال في إحدى الدول العربية مع بعض أفراد جماعة دولية تعمل على إدارة شبكة محلية للتنقيب عن الآثار وتهريبها بمعاونة عدد كبير من المصريين والأجانب (من سويسرا ، المانيا ، المغرب ، كينيا و كندا) ، فضلا عن معاونة اثنين من ضباط الشرطة (نائب رئيس قسم ، ورئيس قسم الشكاوى بالمرور)

وقد تم تخطيط تلك المؤامرة بدقة وسرية تامة ، حيث كان التنفيذ ناجحا للغاية وذلك بتهريب تلك الآثار على أنها تحف مقلدة ولعب أطفال ، وقد اتفقوا على أن يتم ذلك من خلال صناديق تصدير الفاكهة والخضروات أو داخل حقائب خاصة يحملها رجل الأعمال بنفسه بالتعاون مع مسئول علاقات عامة في المطار ومسئول هيئة الاستثمار ، فيسمح له بالمرور من صالة كبار الزوار على أنه مستثمر.

وقامت الدولة بعد القاء القبض على رجل الأعمال ومساعديه باتخاذ إجراءات وقائية تم بمؤداها حظر عملية التنقيب عن الآثار لبعثات أجنبية علمية اشتبه في تورطها في التآمر على البلد ومن ثم حظر التعامل مع خبراء آثار دوليين ثبت تورطهم في القضية.

وإذا ما قمنا بتحليل مبسط للأمثلة الثلاثة السابقة نجد أن الفرق واضحً بينها رغم أنها جميعاً تحمل سمات المؤامرة ، ففي المثال الأول:نري أن بعض الأشخاص قاموا بنصب كمين للمحامي والاتجاه الي منزله والسؤال عنه وانتظاره في الشارع ثم قتله والتعدي بالسكاكين على كل من حاول الاقتراب للتدخل ومنع ارتكاب الجريمة وعلي الرغم من اتفاق الجناة علي رسم خطتهم وإيقاع الأذى بالمحامي المجني عليه الا أن فعلتهم تلك لا يمكن أن تسمي مؤامرة متكاملة الأركان لأنها كانت فعلاً صريحاً كشف منفذوه عن نواياهم وعن وجوههم وارتكبوا جريمتهم أمام ملأ من الناس ، كل ذلك يبعدهم عن انطباق أركان المؤامرة بشكلها المعروف عليهم وذلك لأنهم لم يرتكبوا ماارتكبوه من وراء ستار حتى لا يتم اكتشاف أمرهم بل كشفوا اللثام عن وجوههم ولم يكن يهمهم الاستدلال عليهم من قبل رجال الأمن بقدر ما كان يهمهم الحاق الأذى

بالمحامي المغدور، وهذا الأمر ينزع عن الفاعلين صفة السرية وهي صفة أساسية من صفات المؤامرة ، وأقصي ما يمكن إطلاقه من وصف علي ما قاموا به هو ارتكابهم لمؤامرة مكشوفة .

أما المثال الثاني :لمتعلق بالسيدة التي أرادت أن تلصق بزوجها صفة الإرهاب نظراً للخلافات الشديدة بينهما وهو الأمر الذي جعلها تتقصى أماكن وجوده والالتجاء الي عرافَة حتى تساعدها في ذلك ، وما أن حصلت علي المعلومات اللازمة حتى فكرت بالتآمر عليه عبر توريطه في المشاركة في جريمة اعتقدت انه متورط بالإعداد لها وكادت تلك السيدة أن تقترب من مفهوم التآمر علي زوجها ، الا أنها قامت بنفسها بإبلاغ الأجهزة الأمنية عن ارتباط زوجها مع مجموعة إرهابية. وهنا نلاحظ مرة أخري أنها كشفت عن هويتها ظنا منها أنه تم الإيقاع بزوجها وأنه سيلقى في السجن لمدة طويلة وأن أمرها لن يكتشف ، الا أن ظنها خاب حينما تبين لها أن ما قالته العرافة كان عبارة عن رجم بالغيب مما دعا رجال الأمن الي استدعائها والتحقيق معها ليتم اكتشاف حقيقة الأمر . وبناءً علي ذلك فإن ما قامت بفعله يمكن تسميته المؤامرة غير المتكاملة لأنه وإن لم يكن دور السيدة ليكتشف لو أن الأمور سارت على هواها للإيقاع بزوجها ، الا أن اتصالها شخصياً برجال الأمن رفع عنها غطاء السرية وجعلها محل مساءلة حينما تبين للجميع بأنها كانت وراء الوشاية المغلوطة بزوجها . ولذلك فإن فعلتها تلك كانت أقرب الى المؤامرة من المتورطين بها كما رأينا في المثال الأول، الا أن المؤامرة تظل في هذه الحالة مؤامرة ناقصة.

أما المثال الثالث : فكان لمؤامرة متكاملة اتفق منفذوها علي تهريب الآثار من مصر واتخذوا كافة الاحتياطات الوقائية وحاولوا إخفاء أي ارتباط لهم بالجريمة، وكادت تلك المؤامرة أن تؤتي أكلها لولا تدخل عوامل لا علاقة لهم بهاوهي كفاءة رجال الأمن العالية ، وفي الأمثلة الثلاثة سالفة الذكر تم القبض علي الجناة ، وعلى الرغم من أن ما يجمعهم جميعاً هو تخطيطهم وتنفيذهم لمؤامرات مختلفة، ولكن ما يفرقهم هو اقترابهم أو ابتعادهم عن إتباع منهج التآمر كما سيرد ذكره لاحقا.وإذا كان من الصعب حصر جميع أنواع المؤامرات لشدة تنوعها واختلاف أساليبها ، فإن ذلك لايمنع من محاولة تصنيف بعضها وإضافة تصنيفات أخرى لها كما سيرد ذكره.

المؤامرات واستغلال الطقوس والمعتقدات [١٦]

يلجأ بعض المتآمرين الى التستر بالشعائر والطقوس وإيهام الغير بدخول الجنة والمغفرة إذا اتبعوا تعليماتهم وإرشاداتهم حتى وإن كان في ذلك إيذاء لهم أو لغيرهم أو ارتكاب الجرائم كالقتل والسرقة وغيرها ، ومن امثلة ذلك قصة حدثت في هونج كونج كان بطلها زعيم جماعة دينية أطلقت على نفسها اسم جماعة التنين الأخضر والتي وعد كل امرأة بدخول الجنة إذا عملت في الدعارة ، وذكرت صحيفة "ساوث شاينا مورننغ بوست" التي نشرت الخبر أن النساء قلن إن زعيم الجماعة أخبرهن أنهن سيدخلن الجنة ويصبحن في مصاف الالهة إذا جمعت الواحدة منهن ٦٤ الف دولار أمريكي (٥٠٠ الف دولار هونج كونج) من العمل كداعرات ، وذكرت النساء أنهن عملن كعاهرات، وكن يقدمن الأموال للجماعة التي جنت ما يقدر بنحو ٢٣٠ الف دولار شهرياً من هؤلاء النسوة ، وكانت جماعة **التنين الأخضر** قد أنشئت عام ١٩٩٣ وبلغ عدد أعضائها نحو ٦٠ شخصاً هذه المؤامرة التي تم التخطيط لها للإثراء على حساب فتيات ساذجات انقدن وراء المخطط دون تدبر أو تفكير حيث نجح بتضليلهن تحت ستار الدين المزعوم. وهذه قصة من قصص تحدث يومياً باسم الدين والدين منها براء ، أما المشاركون فيها فقد كانوا مخدوعين اعتقدوا أنهم سائرون الى الجنة وهم في الحقيقة أخطأوا الطريق وتوجهوا الى النار.

مؤامرة الحزب الشيوعي على الملاك : [١٧]

ومن المؤامرات مؤامرات يخطط لها أناس في غاية الذكاء وتقوم على تقطيع أوصال المجتمع وضرب بعضه ببعض حتى ينجح منهجهم الثوري أو الفوضوي ليحل محله نظام آخر ، ومن أمثلة ذلك "**لينين**" الذي تأثر بأفكار كارل ماركس مثله في ذلك مثل "**بليخانوف**" زعيم الماركسيين الشرعيين الذين كانوا يؤمنون بالتغيير عن طريق الانتخابات والمجالس النيابية ، الا أن "**لينين**" كان دكتاتوري النزعة فعارض مبدأ تحسين أحوال العمال الذي نادى به الحزب الروسي الاشتراكي الديمقراطي ، وهو الذي كان من المفترض به أن يدافع عن العمال ليحصلوا على حقوقهم ، الا أن مخططه لم

يكن يركز على حصول العمال على حقوقهم بقدر ما كان يهدف الى الإطاحة بحكم القياصرة . ورغم نجاحه وزملاؤه بتحقيق ذلك في عام ١٩١٧ الا إن حقده على أصحاب الأراضي والأثرياء كان دفيناً ، فتآمر على تحطيمهم والقضاء عليهم بلا هوادة ، وساعده في ذلك "**تروتسكي**" زعيم الحزب الشيوعي في عام ١٩١٨ ، فقام بزرع الفتنة ليثير الفلاحين ضد أصحاب الأراضي لأن الحزب الشيوعي كان يريد تصفية هذه الطبقة الاجتماعية ، فأثمرت هذه البذور عن حرب شرسة بين الفلاحين العاملين في الأراضي وأصحابها من " **الكولاك**"، فحدثت مجاعة راح ضحيتها نحو ٣ ملايين نسمة، فقام لينين باتهام هذه الفئة بالعمل على تجويع الشعب وتعذيب الملايين .ثم قام باستعداء الفئات الاجتماعية ضد بعضها البعض سواء كانت دينية أو اجتماعية متبعاً منهجاً فوضوياً ودامياً. وبدأت الحكومة منذ عام ١٩٢٩ حملتها العارمة ضد **الكولاك** للإستيلاء على الأراضي وتحويلها الى مزارع جماعية، مبيحة بذلك قتل كل من يعارض هذا الإجراء من أصحاب الأراضي . وقد استغل الفلاحون هذه المؤامرة وقتلوا مرؤوسيهم واستولوا على أراضيهم . وهكذا نجح لينين في إنشاء دولة عن طريق الإرهاب مستخدماً شتى أنواع المؤامرات ضد أعدائه وأصدقائه على حد سواء.

المؤامرات على الشركات : [١٨]

تبدأ هذه المؤامرات بجمع المعلومات عن الشركات الإنتاجية المحلية والمؤسسات المالية وكل ما يتعلق باقتصاد الدولة عامة من مال وتجارة وسلع ومنتجات وتقنيات حساسة ومعرفة الأسرار الخاصة بالسياسة الاقتصادية ودراستها جيدا، والتنافس الاقتصادي الذي يشهده العالم حالياً يجعل من التآمر الاقتصادي أو السعي نحو سرقة الأسرار الاقتصادية قضية رئيسية على أجندة أقطاب الاقتصاد العالمي الدول الثماني (الولايات المتحدة الأمريكية ، فرنسا ، بريطانيا ، المانيا ، إيطاليا ، روسيا ، الصين ، اليابان) أما مؤامرات الشركات ضد بعضها البعض فيصعب حصرها في كتاب واحد أو حتى عدة كتب ، فللشركات عالمها الخاص بالتآمر وأدواتها الخاصة في تنفيذها التي تختلف عن بقية الأدوات ،

ومثال ذلك المؤامرة على شركة "**جنرال موتورز**"[١٩] ، وهي من قصص المؤامرات على الشركات التي نالت شهرة عالمية ،حيث تم توجيه الاتهام الى رئيس قسم مشترياتها (Lopez)وسبعة من الموظفين بأنهم أخذوا عشرة الاف وثيقة وأقراص حاسبة معهم عندما التحقوا بشركة "**فولكس واجن**" ، وتم العثور على أربعة صناديق مملوءة بالوثائق داخل شقة رئيس قسم المشتريات في المانيا احتوت على أسرار خاصة بتطوير صناعة السيارات بشركة موتور.

وهذه المؤامرة تضمنت الحصول على تفصيلات عن أسرار نموذج سيارة جديدة وتفصيلات عن الإستراتيجية المستقبلية لشركة "موتورز" الخاصة بمبيعاتها ورؤيتها للتحديث وعملائها ووكلائها في الخارج وأساليب البيع وكميات الإنتاج المتوقعة خلال السنوات المقبلة والإضافات المتوقع إدخالها في الإنتاج. كما احتوت هذه التفصيلات على قوائم الشراء المستقبلية والعقود المبرمة مع الوكلاء على صعيد دول العالم والسياسة الشرائية التي تتبعها الشركة.

وقد عانت شركة "**IBM**" [٢٠] من نفس تلك المؤامرة التي عانتها شركة "موتورز" حينما تجسست عليها شركة "هيتاشي" اليابانية ، وقد حدثت هذه الواقعة في أوائل الثمانينيات من القرن العشرين عندما أقدم اثنان من موظفي شركة "هيتاشي" على التجسس على شركة "**IBM**" ونقل وثائق من شركة "IBM" تتعلق بسياستها التصنيعية وبرامجها وخطوط إنتاجها وخططها المستقبلية وحجم إنتاجها وتسويقها في الخارج وعملائها ووكلائها في مختلف دول العالم، وقد قام بكشف عملية التجسس اليابانية هذه "إدوارد أومالي" رئيس قسم الاستخبارات المضادة في شركة "IBM" وأعلن عنها هو بنفسه صراحة في محاضرة ألقاها في مؤتمر عقد في فرنسا عام ١٩٩٦ حول "قانون الجاسوسية" ، وأوضح أنه قدم العون لشركة "IBM" في اكتشاف عملية التجسس اليابانية التي خطط لها وأدارها مهندس ياباني في عملية معقدة وصعبة جداً، ونفذها اثنان من موظفي شركة "هيتاشي"، وأعلنا بعد القبض عليهما ومحاكمتهما أنها يرغبان في الحاق أكبر خسائر بشركة "IBM" وضرب خطوط إنتاجها وتشويه صورتها في السوق وقد دفعا لقاء الحصول على المعلومات المكلفين بجمعها عن شركة "IBM" مبلغ (١٦٥ الف دولار)

وقد أفاد تقرير من الكونجرس الأمريكي أعد عام ١٩٩٧ من قبل الاستخبارات المركزية والـ "FBI" بأن أعمال الجاسوسية التي استهدفت الشركات الأمريكية خلال العشر سنوات الماضية أي من ١٩٨٧-١٩٩٧م كلف الاقتصاد الأمريكي خسائر باهظة وشكلت خطرا على ازدهاره وقدراته التنافسية في الأسواق العالمية

وقد قدرت المخابرات الأمريكية أن هناك ٦ ملايين وظيفة ضاعت على الأمريكيين خلال العشر سنوات الماضية من عام ١٩٩٥- ٢٠٠٥م نتيجة للتجسس الاقتصادي ، ومن الصعب حصر حجم الأموال التي فقدتها الشركات الأمريكية بسبب سرقة أسرارها، وتقول المخابرات المركزية الأمريكية أيضاً أن هناك ٥١ دولة تتجسس على الولايات المتحدة الأمريكية، وأن هدفها الأساسي جمع المعلومات الاقتصادية.

المؤامرة على شركة آفيري : [٢١]

كان فيكتور لي في عام ١٩٩٧ من كبار المتخصصين في علوم البوليمرات بشركة "آفيري فاسون دول" في كونكورد بولاية أوهايو ،وكانت الشركة تسعى لتحصل على موطئ قدم لها في آسيا لتستطيع أن تجني معدلات نمو مطردة، وعلى الرغم من مكانة "فيكتورلي" في شركة آفيري الا أنه تآمر مع شركة "فورد بيلارز انتربرايزز" التايوانية على شركة آفيري ، وخطط "فيكتورلي" للحصول على ملف سري للغاية يحتوي على مذكرة مفصلة عن خطط الشركة الرامية لتوسيع نشاطاتها في آسيا برغم توقيعه عقداً مع شركة آفيري يتضمن عدم الإفشاء أو الحصول على أية معلومات لاستخدامه الشخصي أو للآخرين الا في حدود ما يفوض به من قبل المسئولين خطياً.

واستطاع فيكتور لي برغم هذا الشرط من التآمر من خلال تخصصه بعلم تغير أحوال المادة اللاصقة على صعيد اللزوجة واللدونة والمرونة بإرسال ثلاثة طرق اختباريه للسيلكون وصفها بنفسه بأنها سرية للغاية وهي لصاقات لبطاريات ديوراسيل ذاتية الاختبار وإرسال تقرير لكبير علماء الشركة التايوانية المنافسة عن تكنولوجيا تغليف خماسي الطبقة بمادة السيلكون ، وهو علم يحتاج لسنوات عديدة لإتقانه، وقام المدعي العام باستصدار أمراً بتسجيل كل مكالماته والتدقيق في سجلاته المالية بعدما أبلغت عنه شركة آفيري بنفسها لأنها شكت بنشاطه الخفي والتآمر عليها مع منافسين

لها، وأكد المدعي العام أن الشركة المنافسة في آسيا وهي "شركة فوربيلارز التايوانية" استطاعت بفضل هذه المعلومات خفض تكاليف منتجاتها وتحسين مستواها وتحقيق أرباح غير متوقعة والسيطرة على السوق الآسيوية تماماً، وهي أرباح كانت شركة آفيري تسعى اليها ولكنها نتيجة لهذه المؤامرة تكبدت خسائر فادحة تصل الى ملايين الدولارات.

اتهامات بسرقة أسرار "ك.ك." لبيعها لـ"ب.ك." [٢٢]

إتهم مدّعون أمريكيون ثلاثة أشخاص بسرقة أسرار شركة "**ك.ك.**" للمشروبات الغازية ومحاولة بيعها لشركة "**ب. ك.**" المنافسة وحسب الادعاءات فإن الموظّفة الإدارية جويا ويليامز هرّبت في حقيبة يدها ملفات من الشركة ومنتوج جديد لكوكا كولا.وإضافة الى ويليامز، يُتهم كل من إبراهيم ديمسون وإدموند دوهاني بسرقة أسرار تجارية لشركة "**ك.ك.**" ".

وقالت "**ب. ك.**" إنها تعاونت مع مكتب التحقيقات الفيدرالي "**أف.بي .آي**" ومع "**ك.ك.**" على أثر تلقيها اتصالا من شخص أراد بيعها معلومات الا أن "**ك.ك.**" أكدت إنه لم يتم كشف سر تركيبة مشروبها الأساسي والذي يُباع في علب بيضاء وحمراء قال المدير التنفيذي للشركة إن "هذه المعلومات هي شريان الشركة" مؤكدا أنه تجري مراجعة التدابير الأمنية للمؤسسة أما متحدث باسم "**ب. ك.**" فقال إن شركته كانت سعيدة لمساعدة منافستها. وأضاف: "المنافسة قد تكون أحيانا شرسة ولكنها يجب أن تكون أيضا شرعية وعادلة".

وحسب ما يقوله المحققون فإنه تم إرسال رسالة إلى "**ب. ك.**" في مايو- أيار ٢٠٠٦ من قبَل شخص يُطلق على نفسه اسم "ديرك" يدّعي فيها أنه موظّف رفيع في "كوكا كولا" يملك معلومات للمقايضة.ويدّعي عميل متخفي للـ"أف.بي.آي" أنه التقى ديمسون الذي قيل إنه المدعو "ديرك" في مطار أتلانتا الدولي في حزيران- يونيو.

وخلال اللقاء، يُقال ان "ديمسون" سلّم الشخص الآخر مغلفا يحتوي على بيانات وزجاجة في داخلها مشروب. ويدّعي العميل المتخفّي انه دفع لـ"ديرك" مبلغ ٣٠ الف دولار ووعده بدفع مبلغ ٤٥ الف دولار إضافي في وقت لاحق .

وفي ٢٧ حزيران– يونيو عرض عميل آخر شراء الأسرار التجارية الأخرى بـ ١,٥ مليون دولار، ويُدعّى أن اثنين من المشتبه فيهم فتحا حسابا مصرفيا بهدف استلام المبلغ وقد تم توقيف المشتبه فيهم الثلاثة في اليوم ذاته.

ويقول محققون إنهم يملكون أفلاما مصوّرة تُظهر ويليامز وهي تبحث في ملفات الشركات وتحمل وعاء لمشروب يحمل إسما مكتوبا باللون الأبيض، يشبه وصف منتوج جديد لـ "**ك.ك.**" ، قبل أن تضعه في حقيبة يدها.

وقد قال المدّعي الأمريكي ديفيد ناهمياس "نحن ملتزمون بحماية الملكية الفكرية التي تشكّل عاملا أساسيا من أجل بقاء مؤسسات موطنينا ناجحة في اقتصاد القرن الواحد والعشرين" وأضاف "سرقة أسرار تجارية ثمينة غير مقبولة من قبَل وزارة الدفاع وكذلك من قبل المنافسين، كما تُظهر هذه القضية".

وهناك قصة مؤامرة مالية حدثت في عهد نابليون يجدر ذكرها في هذا المجال ، فلقد تولى قيادة جيش نابليون جنرال يهودي إسمه" **سولت** " ، وكان من المفترض أن يساند " سولت " هذا جيشاً فرنسياً أخر يقوده " جروشي " وجاء جيش بروسيا ليساند جيش الإنجليز في المعركة ،وكان واضحاً منذ بداية المعركة التفوق الإنجليزي الكاسح، الا أن روتشيلد طلب من القائد الإنجليزي لغاية في نفسه التأخر في إعلان الإنتصار مقابل رشوة سخية ، ثم استأجر روتشيلد مركباً وعاد به مسرعاً الى لندن ، وأشاع عند وصوله أن الإنجليز قد اندحروا في المعركة ووقف أمام البورصة يبيع أسهمه من جانب ويشتريها بوساطة أهله من جانب آخر حتى انهارت البورصة الإنجليزية واشترى اليهود الأسهم .وجاء اليوم التالي ليحمل أنباء الانتصار الإنجليزي في معركة ووترلو فارتفعت الأسعار وكسب ناتان روتشليد زعيم اليهود خمسة ملايين جنيه استرليني في اقل من يوم واحد مما مكنه من السيطرة على بنك إنجلترا هذه القصة هي القضاء علي نابليون في معركة ووترلو. [٢٣]

ثانياً :المؤامرة الاستعمارية :

قبل أن نتطرق الى أسباب الحروب بين الدول والمؤامرات التي تحاك لتنفيذها ، نود أن نشير الى الحروب الأهلية لأنها الباب الذي يدخل منه المستعمر لتنفيذ مؤامراته، وسوف نضرب بعض الأمثلة لعدد من تلك الحروب التي تبدأ بين أفراد المجتمع الواحد ثم تتحول الى أداة من أدوات استعمار الفريقين المتناحرين

الحروب العرقية و الدينية : [٢٤]

إن من أهم أسباب هذه المؤامرة ما يتعلق بخلافات الدين أو الجنس فهي خلافات تقع في صميم النوازع البشرية. ولقد كان التعصب العنصري بدوره سببا لعدة حروب، ويعتقد اليابانيون أن القنبلة الذرية ما كانت لتلقى على المانيا برغم الخسائر الفادحة التي الحقتها بأوروبا ولكنها القيت على اليابان بسبب التعصب العنصري.

ولقد شهد العالم الكثير من الحروب الدينية، فالحرب بين الكاثوليك والبروتستانت في أيرلندا والحرب الأهلية في إنجلترا كلها حروب دينية كذلك الحرب الصليبية الأولى والتي انتهت باستيلاء الغرب على الأراضي المقدسة في ١٢ أغسطس عام ١٠٩٩ تلتها سبعة حروب صليبية وكانت هذه المؤامرة بسبب سوء الحالة الاقتصادية والاجتماعية بين شعوب أوروبا ولنشوب حروب بين الممالك الأوروبية والتي أدت الى إنهاكها إقتصادياً ، مما جعل فكرة غزو الشرق المزدهر فكرة مغرية للأوروبيين تحت ستار الدين ،لتحقيق تقدم اقتصادي على حساب الدول المتآمر عليها .

ومن أمثلة ذلك : الحروب بين الهندوس والسيخ [٢٥] ذات التاريخ الطويل والتي أدت الى معارك دامية بينهما ، وقد حاول كل طرف منهما النيل من الطرف الآخر ، وصمم السيخ على الاستقلال بولايتهم وإقامة دولة خاصة بهم في البنجاب تعرف باسم "خاليستان"، ولكن الحكومة المركزية شعرت بذلك وبأن كبار مسئوليها أصبحوا مستهدفين وبأن هناك مخططات انفصالية عند السيخ فقامت بمهاجمة المعبد الذهبي في أمريتسار وبالتحديد في ٦ يونيو ١٩٨٤ وقتلت زعيمهم *"جنمد ة زيمع لمخخ معفب"*.

وقد قامت طائفة السيخ بإحداث اضطرابات ضد الهندوس ولم يكتفوا بمهاجمة أعضاء الحكومة من الهندوس بل شملت اعتداءاتهم السيخ المعتدلين وحولوا المعبد الذهبي الى معقل للإرهابيين، وقد استغلت طائفة السيخ المجازر التي تعرضوا لها على يد الهندوس ومن الحكومة الهندية وكثفوا من ضغطهم على جميع الجبهات فاستخدموا سلاحاً مهماً هو سلاح الحبوب ومنعوا نقله الى سائر أجزاء الهند مما هدد المجتمع الهندي بمجاعة كبيرة.

ومن أمثلة ذلك أيضاً الحرب الأهلية في رواندا [٢٥] وهي دولة صغيرة تقع في وسط أفريقيا، وقد شهدت هجرات إسلامية عربية منذ القرن الهجري الأول إلا أن هذه الدولة كنت على موعد مع الاضطرابات فانفجر بركان الصراع الدموي فيها بسبب الخلافات القبلية الذي ترجع جذورها الى النعرات القبلية بين قبيلة الهوتو التي يشكل أفرادها ٩٠% من السكان وقبيلة التوتسي التي يشكل أفرادها حوالي ١٠% من السكان ، وتنتمي القبيلتان الى شعب واحد هو الشعب "[illegible]" ،و كانت تجمعهما ثقافة واحدة ولغة واحدة، ولكن سرعان ما ازدادت الفجوة بين القبيلتين إبان الحقبة الاستعمارية نتيجة تعمد المستعمر الالماني حتى الحرب العالمية الأولى و البلجيكي حتى استقلال رواندا عام ١٩٦٢ من استبعاد **قبيلة الهوتو** "**الأغلبية**" من الإدارة الحكومية والاعتماد على التوتسي باعتبارهم أكثر رقياً كذلك إعتناقهم الكاثوليكية وهى ديانة المستعمر كما خطط التوتسى لإستغلال عمل وإنتاج الهوتو الذين يعمل معظمهم فى الزراعة ووسعوا الفجوة بجعل التعليم حكراً على أولاد التوتسي، وبجعل المنح الدراسية الى الخارج من نصيبهم ، مما مكن قبيلة الهوتو من استعباد التوتسي وتحقيرهم ، بل والأكثر من ذلك ارتكاب مجازر بشعة بحق التوتسي لمحاولاتهم العديدة الحصول على حقوقهم الشرعية، بل والأدهى من ذلك قيام الجيش الحكومي بالانتقام من الأبرياء التوتسي فاتحاً أمامهم المقابر الجماعية أو التهجير الى الدول المجاورة ،وبنشوب الحرب الأهلية عقب إسقاط طائرة الرئيس "هابيا ديهانا" في ١٦ أبريل ١٩٩٤ استولى التوتسي على السلطة لأول مرة منذ استقلال رواندا بقيادة الجنرال الشاب بول كاغاميه، وقام أيضاً بتبني العرف الثأري حيث قام باقتحام معسكر اللاجئين الهوتو في مدينة كيبيهو الواقعة بالقرب من بوروندي في ٢١ أبريل عام

١٩٩٥ وقتل ثمانية الاف شخص من أصل ٣٠ الف لأجيء وأصبح الأمن والاستقرار في هذا البلد بعيد المنال بعد أن زرع الاستعمار بذور الفتنة وسلم السلطة كهدية ملغومة أو مسمومة في وجه التوتسي.

وفي سريلانكا [٢٦] التي تقع في المحيط الهندي على بعد ٥ كلم من جنوب الهند وعاصمتها كولومبو، كان للإختلافات العرقية موعد موعد مع الحرب والدمار،ففي عام ٤٨٠م قام الملك السنهالي بطرد التاميل من لانكا، ومنذ ذلك التاريخ وسريلانكا تغمرها دماء الحرب الأهلية التي اندلعت بلا هوادة أو رحمة ، والجدير بالذكر أن السنهاليين يشكلون ٧٤% من السكان بينما يشكل التاميل حوالي ١٢,٦% من سكان سيرلانكا.وقد نالت سريلانكا استقلالها عن بريطانيا في ٤ فبراير ١٩٤٨ وقررت حكومتها أن تبقى في الكومنولث البريطاني، الا أنه في الفترة التي تلت الاستقلال عصفت بالبلاد أزمات سياسية واقتصادية فضلاً عن مطالب التاميل المستمرة في الانفصال.و تصاعدت حرب الانفصال منذ عام ١٩٨٥ وقضت على الاف الأشخاص بعد صراع عرقي طائفي عنيف ،والاختلاف العرقي بينهما يرجع الى أن السنهال من أصل إيرياني والتاميل من أصل درافيدي الى جانب الاختلاف الديني بينهما، فالسنهال يدينون بالبوذية، أما التاميل فديانتهم الهندوسية ولكل طائفة منهما لغة وثقافة وسياسةخاصة بها.

وحينماشعر التاميل بالمخطط الذي يديره السنهال بهدف تهميش أبناء طائفتهم اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً ، بدأوا بالتململ والإحتجاج بعد أن عانوا من سيطرة الأغلبية السنهالية البوذية الذين امتدت مخططاتها الى حد حرمان التاميل من تولي المناصب العليا، ورفضت الحكومة الاعتراف أيضاً بحقوقهم السياسية كأقلية تشكل خمس السكان ،فاندلعت الحرب الأهلية بين الطرفين وأدت الى مصرع أكثر من مليون سريلانكي وإعاقة ربع مليون. وقد قام المتمردون التاميل بالتخطيط لتنفيذ مؤامراتهم لاغتيال رئيس الوزراء الهندي السابق راجيف غاندي في مايو عام ١٩٩١ ، كما قاموا باغتيال الرئيس السريلانكي راناسنج بريماداسا في ٢٨ مارس ١٩٩٣.

لقد تعمدنا أن نذكر بعض أنواع الحروب الأهلية كمدخل يلجأ اليه المستعمرون للسيطرة على مقدرات الدول المفككة اجتماعيا وعرقيا ومذهبيا دون إدراك أطراف النزاع للخطورة

الناتجة عن تناحرهم ، وبسبب إصرار كل طرف على الحصول على الحد الأقصى وليس الممكن للطرف الآخر ، وسنعود مرة أخرى الى ذات الموضوع ولكن بعد أن نتطرق الى نقطة مختصرة تتعلق بالحروب وأسبابها ، إذ أن أسباب الحروب تختلف باختلاف الدوافع والظروف وهوالأمرالذي يعني أن تهديدا وشيكا أو توترا بسيطا قد يؤديا الى نفس النتيجة، فمن الممكن أن تؤدي أتفه الأسباب وأعظمها خطرا الى الحرب، كما أن اختلاف المصالح والمنافسة على أماكن إستراتيجية بين دولتين يمكن أن يولد أيضاً حربا ضروسا،إضافة الى الحروب العدوانية التي تجري بهدف الاستيلاء على أراضي الغير واستعمار شعوبها ونهب ممتلكاتها وخيراتها، مثلما أن هناك الحروب العادلة وهي الحروب التي تخوضها الشعوب من أجل التحررمن الاستعمار أو الظلم أو الاضطهاد بمختلف صوره.

ولكل حرب إستراتيجيتها وخططها الخاصة بها ، ولكن مايهمنا في هذا المجال هو الإشارة الى الحرب التي تعتمد على المؤامرات ،وهو الأمر الذي يجعلنا نتطرق الى فكرة الإستراتيجيات بشيء من الاختصار الشديد.فما هي خلاصة فكرة الإستراتيجية وما هي أنواعها بصفة عامة ؟

مفهوم الإستراتيجية: [٢٧]

يعتبر مفهوم الإستراتيجية من المفاهيم الكثيرة التداول في العلوم المختلفة، إذ يستخدم هذا المصطلح استخداماً واسعاً للدلالة على أكثر من معنى حسب المجال المستخدم فيه سواء في الشؤون العسكرية أو السياسية أو الاقتصادية دون تعريف واضح لمعناه أو تحديد دقيق لأبعاده .

وواقع الأمر أن علم الإستراتيجية يمكن أن يعني فن قيادة القوات والذي يتقنه بمهارة بعض القادة العسكريين، فعلى سبيل المثال نجد براعة الإسكندر الأكبر ويوليوس قيصر في القيادة دون أن يدونوا خبراتهم عنه ثم أصبح هذا الفن يمارس في العصور الوسطى بواسطة الأمير أو الحاكم الذي كان يجمع بين السلطة السياسية وقيادة الجيش وكذلك الإمكانيات الاقتصادية اللازمة للإنفاق على هذا الجيش ، ومن ثم نشأت العلاقة بين السياسة والإستراتيجية أي أن هذا الفن تمثل في استخدام أفضل الوسائل

السياسية والعسكرية و الاقتصادية لتحقيق الأهداف الموضوعة بواسطة الأمير أو الحاكم الذي كان يجمع في يده جميع السلطات والإمكانيات.ومع تجارب الحروب والاقتتال والعدوان أمكن تحديد ثلاثة أنواع من الإستراتيجيات يمكن تلخيصها فيما يلي:

١- الإستراتيجية المباشرة:

وهي الحرب السافرة التي تعد فيها الجيوش المتحاربة عدتها لمواجهة بعضها البعض بشكل مباشر، ثم دخولها في الحرب بمفردها أو بمساعدة أطراف أخرى ويطلق على تلك الحرب الحرب التقليدية نسبة الى نوع الأسلحة المستخدمة فيها وقد يتم اللجوء الى الإستراتيجية المباشرة لشن حرب وقائية حتى تتمكن الدولة المهاجمة من مفاجأة عدوها بحجة أن الحرب أصبحت حتمية من جانب العدو ولمنعه من الحصول على مكاسب قد يحصل عليها إذا بدأ هو بالحرب ، وأن أي تأجيل في بدئه قد يعرض الدولة الى مخاطر أكبر.

وقد تطبق الإستراتيجية المباشرة بالغزو المباشر لدولة أخرى بهدف تحقيق مصالح إستراتيجية تراها الدولة المعتدية مستخدمة القوة العسكرية ضرورية بالنسبة لها رغم أن ذلك يعتبر إجراء مخالفا لكافة المواثيق والقوانين الدولية وفي هذه الحالة، يبدأ الغزو باحتلال الأراضي واغتصاب الأموال والثروات، وقد ينتج عنه في النهاية استعمار للدولة التي تم غزوها بشكل جزئي أو كلي

وقد تكون الإستراتيجية المباشرة في صورة تدخل دول كبرى أو مجموعة دول أو منظمة دولية مثل: التدخل السوفييتي الكوبي في اليمن الجنوبية خلال يوليو عام ١٩٧٨ لدعم مؤامرة اغتيال الرئيس سالم ربيع ويعتبر الصراع العربي الإسرائيلي من الحروب التقليدية، وقد استحدث نوع آخر من الحروب وهي الحرب بالوكالة، عندما لجأ الاتحاد السوفييتي السابق في الحرب التي دارت في الأوجادين (الصومال الغربي) بين القوات الصومالية والأثيوبية، واستعانة الاتحاد السوفييتي بالقوات الكوبية وإنهاء هذه الحروب لصالح أثيوبيا .

٢- إستراتيجية أسلحة الدمار الشامل (الحرب القذرة) : [٢٨]

وهي ثاني أنواع الاستراتيجيات وتعني الحرب النووية أو غيرها من أسلحة الدمار الشامل التي تستخدم فيها القدرات النووية المتاحة، وهذا النوع من الحرب يغلب على نشوبها حالة اللجوء الى الخيار المقيت ، ولذلك فإن الدول عادةً ما تتجنب استخدام أسلحة الدمار الشامل خوفاً من الفناء المتبادل لها ولغيرها من دول الجوار ولكنها إذا قررت ذلك فإنها في لحظة مغامرة مميتة تبادر الى أخذ زمام السبق فتبدأ باستعمال أسلحة الدمار الشامل ، أو شن ضربتها النووية أولاً لشل قدرة الدولة المعادية حتى لا تلجأ الى الرد بأسلحة مماثلة .

ويدخل ضمن أسلحة الدمار الشامل الأسلحة الكيماوية ، والبيولوجية وتتمثل في استخدام مواد كيميائية أو بكتيرية أو فطرية أو سمومها لتعجيز العدو أو الحاق الضرر به أوالحد من قدراته وإنقاص مواده الغذائية الحيوانية والنباتية بما يمكن أن يؤثر علي قراراته السياسية ، وتشن مثل هذه الحروب بنثر مواد كيميائية سامة أو بيولوجية علي الأعداء بالوسائل المختلفة كالرش بالطائرات مع اتخاذ الإجراءات الوقائية المضادة لهذه العملية الهجومية .

وقد يشتمل شن الحرب الكيميائية على استعمال أنواع من المواد كالدخان للإخفاء، أو الأسلحة المطلقة للهب "قاذفات اللهب"، وقنابل النابالم، وفي أحيان كثيرة يكون الهجوم بالأسلحة البيولوجية أو الكيميائية على هيئة سحب من الرذاذ الذي يظل يحمله الهواء لفترة طويلة.

ومن أهم مميزات الأسلحة الكيميائية بالنسبة للمعتدي هي أنها تحدث أضراراً محدودة في المباني والمنشآت حتى يمكن الإستفادة منها بعد احتلالها ،إذ أن وقوع هجوم كيميائي على مطار ما يجعل من الممكن إعادته للعمل بصورة طبيعية في غضون أيام قليلة لأنها تستهدف الأفراد دون المنشآت، كما أنها قد لا تستخدم لتحقق أهدافا عسكرية معينة، فقد يكون المطلوب هو اخراج ارهابيين من مخابئهم أو لمجرد إحداث نوع من الإختناق للأفراد كما في حالات مكافحة الشغب.

الا أن كلا الإستراتيجيتين لهما مخاطرهما الجمة التي لا يحمد عقباها، ولذلك فإننا نجد أنه من النادر جداً أن تتجه الدول الي إفناء بعضها البعض عن طريق اللجوء الي

أسلحة الدمار الشامل ، كما أننا لا نجد حروباً تقليدية مباشرة تقع كل يوم بين الدول ، ولذلك فقد اتجهت الدول الي نوع ثالث من الاستراتيجيات أطلق عليها اسم الإستراتيجية غير المباشرة أو إستراتيجية الفتن .

٣-الإستراتيجية غير مباشرة (إستراتيجية المؤامرات و الفتن) :[٢٩]

تتضمن الإستراتيجية غير المباشرة عدة مفاهيم يختلف بعضها عن البعض الآخر، الا أن بينها جامعاً مشتركاً هو عدم الهجوم على العدو هجوماً مباشراً صريحاً بل يكون الهجوم فيها خفياً غير مباشر.

والمفهوم الأول لهذه الإستراتيجية يتبلور في عدم دخول القوات النظامية المدافعة عن أرضها في حرب مباشرة مع المعتدي وذلك لأن العدو الذي يراد محاربته يتمتع بقوة أعظم من قوته من حيث الجنود والعتاد والتنظيم ، أو من حيث الحلفاء الذين يساندونه ويدعمونه، لذلك يلجأ الطرف المعتدى عليه ، وغالبا مايكون هو الأضعف، الى الإستراتيجية غير المباشرة فيقوم بتشكيل جماعات صغيرة لمهاجمة العدو أو نصب كمائن بغية إحداث الفوضى وإيقاع التدمير في صفوفه ثم تنسحب هذه الجماعات المتسللة الى معاقلها بعد قيامها بمهامها .

ومن أمثلة هذه الإستراتيجية : ما قام به نحو ٣٠ الف جزائري في معاركهم مع الجيش الفرنسي المسلح بأحدث الأسلحة والذي كان يتالف من ٣٠٠ الف جندي، فضلاً عن حرب العصابات التي كانت تدور في فيتنام بين قوات "فيت كونج" والقوات الأمريكية المزودة بأحدث أنواع الأسلحة، بالاشتراك مع قوات فيتنام الجنوبية.

والمفهوم الثاني للإستراتيجية غير المباشرة[٣٠] هو فتح جبهة ثانوية في إقليم العدو أو في إقليم دولة تابعة له بعيداً عن جبهة القتال الأساسية.فنابليون عندما دخل مصر عام ١٧٩٨م ليهاجم فيها الإمبراطورية البريطانية كان يتبع الإستراتيجية غير المباشرة، وكذلك الحلفاء في الحرب العالمية الثانية عندما فتحوا جبهة ثانوية في جنوب إفريقيا كانوا يتبعون بذلك الإستراتيجية غير المباشرة ، فضلاً عن ما يحدث حالياً فى العراق وبعض الول الأخرى من إثارة للفتن ونشرالخلافات الطائفية بين المذاهب المختلفة

لإضعاف الجبهات الداخلية وقد ازدادت أهمية الإستراتيجية غير المباشرة في السنوات الأخيرة لعدة اعتبارات سياسية وعسكرية منها :

١ – أن جميع الدول التي كانت خاضعة للاستعمار قد اتبعت هذه الإستراتيجية للوصول الى الحرية لأن المستعمر غالبا مايكون أقوى وأرقى تنظيماً وأوفر عتاداً، فلا سبيل للأضعف الا إتباع هذه الاستراتيجيات ليحقق طموحاته.

٢ – أن الإستراتيجية الذرية جعلت الحرب النووية مستبعدة لأنها إن وقعت أدت الى دمار شامل لجميع المتنازعين ولا فرق في ذلك بين منتصر ومهزوم، كما أن الحرب التقليدية أصبحت وخيمة العواقب لأنها يمكن أن تنقلب الى حرب ذرية مع الوقت، أو تستخدم فيها بعض الأسلحة الفتاكة التي تستخدم فيها أنواع مخففة من أسلحة الدمار الشامل .

٣ – أن المعسكر الشيوعي السابق أعلن دعوته في التخلي عن الحرب التقليدية على نحو ما كان ينادي به "لينين" ليتتبع الإستراتيجية غير المباشرة في حروب التحرير ،كما أن الرئيس "خروشوف" أعلنها صراحة من خلال الخطبة التي القاها عام ١٩٦١م وقال فيها إن من أهداف الاتحاد السوفييتي مساندة حروب التحرر القومي، والحروب غير التقليدية داخل العالم الحر. وسرعان ما ظهرت مدرسة عسكرية جديدة في الولايات المتحدة الأمريكية تدعو الى حرب العصابات المضادة لمقاومة الإستراتيجية السوفيتية أو الصينية غير المباشرة [٣١] .

ويستفيد من يلجأ الى هذه الإستراتيجية في محاربة خصمه عن طريق إشغاله بحروب أخرى وتأييد الطرف المعتدى عليه و تقوية روحه المعنوية وإظهار شرعية قضيته وذلك لكسب تأييد المجتمع الدولي ، في مقابل النيل من خصمه وخصم الطرف المعتدى عليه وتعريته أمام المجتمع الدولي ، وبهذه الطريقة يتمكن العدومن إضعاف عدوه بطريقة غير مباشرة دون أن يدخل في حرب مباشرة معه ، كما يستفيد المقاومون من هذا الدعم المادي والمعنوي إذ أنها تقوى من التفاف الشعب حولهم وتكسبهم مزيدا من التأييد لمواصلة الكفاح والحصول على المساعدة والمساندة والدعم من الدول الصديقة، فقوات الجزائر حينما كانت تحارب المستعمر الفرنسي حاربته وفقاً لأصول الإستراتيجية غير المباشرة وحصلت على الدعم من معظم الدول العربية ويوغسلافيا وغيرها، و

كذلك اعتمدت حروب التحرير في أنجولا وموزمبيق على معسكرات قائمة بالخارج في الكونغو وتنزانيا .

وفي المقابل من ذلك فإن الدول التي تتعرض للهجوم بواسطة الإستراتيجية غير المباشرة عادة ما تلجأ الى ما تسمى الإستراتيجية المضادة للإستراتيجية غير المباشرة حتى تستطيع مواجهة عناصر خصومها ، ومحاولة شق صفوف الفدائيين وعزلهم عن الشعب وإنشاء قوات مناهضة لهم من ذويهم فعندما دخلت القوات الالمانية روسيا أثناء الحرب العالمية الثانية استغلت القوميات المتعددة التي يتكون منها الاتحاد السوفييتي لتكوين قوات تحارب في صفوف القوات الالمانية ضد الجيش الروسي، وكذلك تقوم بتزويد الجيوش النظامية بأسلحة خفيفة وتنظيمها في مجموعات صغيرة ليتاح لها مواجهة قوات العدو الى جانب استعمال طائرات مروحية في نقل الجنود النظاميين كما حدث في حرب الجزائر وحرب فيتنام.

و المفهوم الثالث للإستراتيجية غير المباشرة[٣٢] وهوما يهمنا في هذا البحث فهو إثارة الفتنة والمؤامرات داخل إقليم العدو لتأليب طائفة ضد طائفة أخري ، أو بثورة مذهب علي مذهب آخر، أو تحريك أقلية لرفع سقف تطلعاتها الى حد غير معقول والمطالبة بامتيازات مبالغ فيها من الأغلبية ، أو تشجيع الأكثرية علي غمض حقوق الأقلية حتى تصاب الأخيرة بإحباط شديد يدفعها للانسلاخ عن المجتمع وتمني الشرله ، أو مساعدة عدوه ، أو نحو ذلك مما يؤدي الي إضعاف العدو من الداخل .

ولا شك أن الفتن والمؤامرات والنزاعات لا تحدث بالصدفة وأن جزءاً هاماً من الإستراتيجية الكبرى للدول المتآمرة يتمثل في زرع الفتن بغرض تحقيق بعض المكاسب الهامة ، وبقول آخر فإن افتعال الفتن والمؤامرات أصبح الى حد ما بديلاً للحرب على اعتبارأن المؤامرات وسيلة رئيسة تسعى من خلالها الدول المتآمرة لتحقيق أهدافها.

ونصل من ذلك إلى أن الإستراتيجية غير المباشرة بوسائلها المتعددة كانت الأسلوب المفضل للدول منذ القدم كي تحقق مبتغاها دون الدخول في حروب مكلفة للدول المتآمرة والمتآمر عليها على حد سواء بما يمثله ذلك من تبعات اقتصادية وبشرية واجتماعية وسياسية لا حصر لها ، أما المؤامرات الخفية فإنها تحقق كل ذلك ، بل ربما أكثر منه دون أن تتحمل كل تلك التبعات، وقد تنجح إستراتيجيتها غير

المباشرة فتري غريمها يتهاوى من الضربات المتلاحقة دون وجود دليل ملموس يدل علي أنها متورطة فيما يحدثله من نكبات ومصائب وهي لا تكشف عن وجهها إلا حين اقتطاف ثمرة مؤامرتها، وهي لا تدخل في الصراع المباشر أياً كان نوعه الا بعد نفاذ كل حيلها أو اتخاذ غريمها كل السبل لوقاية نفسه من فخاخ المؤامرات الخفية ، أو تعرضها لهجوم كرد فعل على اكتشاف ضلوعها في المؤامرة كما أن التآمر الخفي لا يستوجب أن تكون الدول المتورطة فيه دول قوية ، إذ أن الدول الضعيفة نسبياً والتي تفتقر إلى العتاد المتطور والإمكانيات المادية الهائلة والجيش الجرار تستطيع أن تلعب لعبتها وتنقض علي عدوها بوسائل متعددة فالحرب غير المباشرة لعبة تلعبها الدول القوية والضعيفة علي حد سواء .

وتعتبر إثارة النعرات العرقية والمذهبية والطائفية وغيرها من أمضى الوسائل التي تمهد الأجواء للمستعمرعن طريق الإستعانة به ، أو انتهازه الفرصة المناسبة للانقضاض على الدولة المستهدفة في اللحظة المناسبة بعد تقسيم الدولة الى كيانات متفرقة اجتماعيا أو جغرافياً إن أمكن ذلك .

وتخطيء المجتمعات المتجانسة إذا اعتقدت أنها بمنأى عن مهالك المؤامرات،إذ أنها عادة ما تكون كامنة بانتظار من يخطط لإيذاء ذلك المجتمع المستقر ولإيقاظ الفتنة بوسائل مختلفة مثل زرع أعوان له يحرضون كل طرف ضد الطرف الآخر مستخدمين الحوادث التاريخية التي يمكن أن يكون قد مر بها المجتمع المستهدف أو تعميق الشعور بالظلم عند فئة معينة في المجتمع وإثارة الريبة عند الطرف الآخر ، ويسعى من يلجأ إلى الإستراتيجية غير المباشرة إلى جعل المجتمع مهيأ للاقتتال والثأر مع مرور الوقت ،أو بإشعاله شرارة في الوقت الذي يراه مناسباً لخدمة أهدافه وتختلف المجتمعات في استجابتها لتلك المؤامرات وفقاً لدرجة وعيها وتجانسها واندماجها اقتصادياً واجتماعياً وثقافياً فالمجتمع المتنافر يكون أكثر استعدادا لإيذاء نفسه، أما المجتمع الواعي فإنه يبتكر أساليب متعددة للتنازل الواقعي المتبادل الذي يخدم الجميع حتى وإن كانت مكوناته غير متجانسة.

التنافس الإستعماري والمؤامرات [٣٣]

تعتبر المؤامرة الاستعمارية من أشد المؤامرات ضراوة ودماراً وآثاراً علي الشعوب والدول وللمؤامرة الاستعمارية أسباب ودوافع مختلفة تبعاً للدوافع والظروف والمصالح كالتنافس علي أماكن إستراتيجية بين دولتين مما يدفعهما للدخول في سلسلة من المؤامرات ضد بعضهما البعض ، أو أن التآمر قد يستهدف احتلال أرض واغتصاب أموال شعب ونهب ثروات أمم ، ومنذ قديم الزمن الي يومنا هذا والدول والشعوب تكرر نفس قصص مكر المتآمر والام الضحية .

أما الدول المستأسدة علي غيرها فقد طورت مع مرور الأيام مفهومها لأسلوب تنفيذ مؤامراتها ، مما مكنها من التغلغل في البناء ا لاجتماعي والسياسي والإقتصادي والتعليمي والتربوي والديني والثقافي وغير ذلك من المجالات للدول المتآمر عليها حتى أصبحت معظم حروبها تدار من خلف المكاتب وليس في ساحات القتال .

وقد برزت المنافسة الاستعمارية في تاريخنا المعاصر بين أكبر كتلتين بعد الحرب العالمية الثانية ، تقود الكتلة الأولى الولايات المتحدة الأمريكية وتقود الثانية الاتحاد السوفييتي ، وقد حرص قطبا الكتلتين اللذان ورثا معظم أراضي الاستعمار القديم الإمساك بزمام الأمور حتى لا تخرج أي دولة عن طوعهما ، وهكذا تحول الحليفان اللذان واجها المانيا النازية الى عدوين لدودين يريد كل منهما التوسع على حساب الطرف الآخر وهما في ذات الوقت لا يريدان الدخول في حروب مباشرة بينهما قد تؤدي في نهاية المطاف الى اندلاع حرب نووية مما جعلهما يتجهان الى استخدام الحرب الغير مباشرة بشتى أنواعها "الحرب الباردة" بزرع الفتن والمؤامرات ضد بعضهما البعض .

وخرجت الدول الأوروبية التي كانت تمثل الإستعمار القديم من الحرب العالمية الثانية منهكة اقتصاديا و بناها التحتية مدمرة بنسب متفاوتة مما اضطرها الى الاعتماد على القطبين المتنافسين اللذين ورثا تحالفاتهما القديمة وما تضمنه ذلك من استعمار لدول أخرى واحتاجت تلك الدول للأموال من أجل الحصول على التكنولوجيا المتطورة والاحتياجات الغذائية والضرورية مما يعني ربط نظمها الاقتصادية إما بالنظام الرأسمالي الحر وعلى رأسه أمريكا، أو بالنظام الاشتراكي الشيوعي وعلى رأسه الاتحاد السوفييتي وكانت القروض و المساعدات خاضعة لرقابة شديدة حتى يتم التأكد من

مصداقية الولاء لهذا الطرف أو ذاك والحصول على الخامات النادرة وتوظيف أموالهما في الدول المنضوية في تحالف مع أي منهما أو في الدول التي كانت لخاضعة للاستعمار القديم ، وهو مايهمنا في هذا المجال ، إذ أن الدول التي كانت خاضعة للإستعمار القديم والحديث هي أكثر الدول تأثراً بالإستراتيجية غير المباشرة استراتيجية الفتن والمؤامرات ونخلص من ذلك أن الدول الإستعمارية تلجأ الى أ شكال متعددة من المؤامرات لإحكام سيطرتها على غيرها من الدول كالتي سنحاول عرضها في الفقرات التالية:

المؤامرة السياسية : [٣٤]

يعد هذا النوع من أخطر أنواع المؤامرات حيث يكون الاستهداف موجها الي ركيزة الدولة الأساسية وأهم عناصر قوتها المتمثلة في التركيبة السكانية ، الي جانب إمكانية استغلالها عبر إحداث فتنة طائفية لزعزعة الأمن بها ومن هنا فإن المؤامرة السياسية تحديداً وإن كانت تتشابه مع غيرها من المؤامرات الاقتصادية والاجتماعية والدينية من حيث الهدف لكنها أقوي من حيث التأثير علي النظام مباشرة فهي تستهدف أهم نقاط الإختلاف في أية دولة مثل الأقليات والعرقيات الدينية والعناصر السياسية الحزبية، ولا توجد دولة في العالم تخلوا من هذه المشاكل، لذا تقوم بإثارتها ثم تعود لتبحث لها عن حلول وتتدخل تحت شعارات مختلفة مثل "حقوق الإنسان" وعالمي والنظير العرقي ، وقد أطيح بأنظمة كثيرة خاصة في العالم الثالث عبر استغلال تلك المسالة والدفع بها الي إحداث فتنة طائفية يتم التخطيط لها ودعمها من الخارج وانعكاسات هذه الفتنة خطيرة علي أمن وقدرات الدولة ومقوماتها، والمقصود هنا النزاعات المصطنعة التي يفتعلها المتآمر وليس المظالم الحقيقية التي تحتاج الى تدخل لإنصاف المظلوم ويسعى المخططون للمؤامرات السياسية يعتمدون في خططهم علي استغلال عناصر شتي في الدولة المستهدفة أهمها مشكلة الاقليات وهي بؤرة الصراعات الداخلية التي تستغلها الدول الكبرى لإثارة القلاقل وقت الحاجة وتستخدمها في ممارسة الضغوط عليها من الخارج ، إضافة الي إحداث تنازع وتناصر داخلي

وتحريض هذه الاقليات علي المطالبة بالإستقلال وإنشاء حكم ذاتي لها إستناداً على هويتها العرقية والثقافية والحفاظ علي كيانها السياسي .

المؤامرة السياسية على كمبوديا: [٣٥]

تقع كمبوديا في شبه جزيرة الهند الصينية ، تحيط بها فيتنام وتايلاند ولاوس، أما طول شواطئها على خليج سيام فيبلغ ٤٣٣ كلم.

في عام ١٦٥٨ طلب ملك كمبوديا مساعدة ملك فيتنام لمواجهة ضغوطات السياميين (تايلاند) ومنافسيه على العرش من الداخل، وما هي الا مدة قصيرة حتى تزايد تدخل الفيتناميين شيئاً فشيئاً حتى سيطروا على مملكة كمبوديا وسعوا الى فتنمة الخمير بجعلهم يتخلون عن تقاليدهم وعاداتهم ولغتهم ومعتقداتهم.

وفي عام ١٨٤٥ تآمر الفيتناميون بالتعاون مع السياميين (تايلاند) لوضع كمبوديا تحت سيطرتهم بالمناصفة بحيث يعين الطرفان ملوك الخمير بالتناوب لنهب ثرواتها الزراعية والاقتصادية من خلال الثروة السمكية الهائلة بها وغير ذلك.

ولأن الملك يعرف بنية السياميين والفيتناميين حاول إبعاد مطامحهم عن البلاد بطلبه سراً من فرنسا أن تتدخل عام ١٨٥٣ لحماية بلاده حيث أن كثافة كمبوديا السكانية ضعيفة (٥ مليون عام ١٩٦٢) مماجعلها محل أطماع الدول المجاورة .

ولم تهدأ فيتنام وتايلاند من إشعال نار الفتنة والتآمر على كمبوديا فأتتا عليها بحرب متواصلة لمدة أكثر من ٢٠ عاماً ، ولقي أكثر من مليون شخص مصرعهم خلال ستة سنوات فقط (١٩٧٥-١٩٨٠) وتهجير الالاف.

وبرعاية الأمم المتحدة عام ١٩٩١ عقد اتفاق باريس مجلسا وطنياً جمع زعماء الحرب وهم القوميون (بزعامة سيهانوك وأنصار سون سن "الخمير الحمر) من جانب وحكومة هون سن الموالية لفيتنام من جهة أخرى .

ولكن انقلاب الخمير الحمر على أنفسهم أدى الى اندلاع صراع مسلح داخل صفوف الخمير الحمر انتهى بتصفية العناصر الموالية لفيتنام، وما أن تسلمت الحكومة الملكية للاتحاد القومي الخميري مقاليد الحكم حتى بدأت حملة تطهير واسعة من الجيوب المعادية للنظام.

تولى رئاسة كمبوديا "بول بوت" رئيس الحزب الشيوعي الكمبودي، الا إن انقسام الخمير الحمر على أنفسهم جعل دعم الدول المجاورة لكل فصيل موالي لهم يضرب كمبوديا في العمق. فنال بعضهم دعم الصين وحصل البعض الآخر على دعم فيتنام وتايلاند ، وكانت المحصلة النهائية نتيجة مؤامرة الدول المجاورة عودة البلاد الى الإضطرابات التي نجمت عن الأزمات الاقتصادية وارتفاع الأسعار والمشاكل الاجتماعية والسياسية اتساع الفوارق بين الطبقات وعودة القمع وبروز عوامل التآكل والتفكك في النظام الجديد .

المؤامرة البريطانية في السودان : [٣٣]

بات التنافس الدولي على بعض الدول التي تتمتع بمواقع إستراتيجية أو ثروات طبيعية أمراً طبيعياً الا أنه اتسع نطاقه في العشر سنوات الأخيرة من القرن العشرين تميزت تلك الفترة وما تلاها من بدايات القرن الواحد والعشرين بظهور نزاعات وصراعات داخل تلك الدول المستهدفة لم تكن أسبابها مثارة من قبل والهدف الحقيقي وراء ذلك هو حماية مصالح الدول المتنافسة لاستغلال ثروات هذه البلاد والحصول على المواد الخام الأولية. وقد رأينا التزاحم الدولي على جنوب السودان دولا ومنظمات والإثارة الدولية التي لم يسبق لها مثيل والسعي لتأجيج الحرب الطاحنة بين الشمال والجنوب والدعوة لإنصاف المسيحيين وهذه المشكلة برزت فجأة رغم وجودها منذ الاستعمار البريطاني وسيطرته على مصر والسودان، الا ان ظهور النفط فجأة وبكميات كبيرة دفع الى تصارع المصالح بين هذه الدول لفوز كل منها بالنصيب الأوفر من هذه الثروات والدفع بقوة لإحداث مصالحة كان الخاسر الأكبر فيها دون شك حكومة الشمال رغم التظاهرة الدولية بإنهاء الصراع بينهما.

لقد نجح الاستعمار البريطاني في نهاية الأمر من النيل من وحدة المجتمع السوداني حينما أحدث هوة بين التركيبة ذات الطابع العربي في الشمال والتركيبة الجنوبية ذات الطابع الأفريقي وذلك من خلال عزل الشمال كلياً عن الجنوب فيما يسمى بالمناطق المغلقة وقد حدثت في ذلك العهد المؤامرة الكبرى عندما قام الاستعمار بترحيل جماعي بحيث تم نقل العناصر ذات الانتماء الإسلامي من الجنوب الى

الشمال والعكس وقد تم التنفيذ بكل دقة وذلك بمحو كل المظاهرالتي توحي بالثقافة العربية الإسلامية في الجنوب بداية من الاسم الى الملبس.

ولعل المسالة الأكثر حساسية في تنفيذ المستعمر لمؤامراته هي عملية السودنة في تولي المناصب قبل الخروج الكامل مما أدى الى الفتن والتوتر بين الشمال والجنوب بعد عملية غسل الأدمغة من قبل المبشرين، فقد حدثت أخطاءً كثيرة من الشمال في توزيع الوظائف ، ولم يعط للجنوب حقه كاملاً من حيث التوزيع العادل بحيث تم تضخيم الفوارق في نمط العيش وترك الجنوب في وضع اقتصادي متدهور لكي يشعروا ويعرفوا أن أهل الشمال استأثروا بالخيرات فيطالبون بالانفصال وتفتيت الدولة الى كيانات صغيرة وقد انفجرت أول هذه الفتنة عام ١٩٥٥.

وقد أعطي المتآمر الإشارة الخضراء للمبشرين المسيحيين للقيام بحملات تنصيرية في صفوف الوثنيين وبعض المسلمين الفقراء ونشأت نخبة جنوبية ذات ثقافة غربية تتحدث باللغة الإنجليزية وتحمل في نفسها أحقاداً دفينة على كل ما يتعلق بما هو عربي ومسلم.

وفي عام ١٩٧١م [٣٧] رفض الشيوعيون مبدأ المشاركة في السلطة مع جعفر النميري فبدأ في فك التحالف معهم ولكنه سرعان ما بدأ في إعادة هذا التحالف من خلال موقفه تجاه الثورة في أريتريا فانقلب على حساب القوى الأصلية والوطنية في أريتريا (القوى الإسلامية) التي كانت قد فجرت الثورة ورفعت لواءها عام ١٩٥٩

بدأ جعفر النميري في التآمر على منجستو الشيوعي بالهجوم عليه وعلى القوى التي تقف وراءه ، ولكنه في نفس الوقت مد يده للشيوعيين الإريتريين الممثلين في الجبهة الشعبية لتحرير إريتريا بزعامة سياسي أفورقي ورمضان محمد نور وساهم في شد شوكة هذه الجماعة.

لقد كانت المؤامرة في دعم هذا التنظيم الشيوعي النصراني المدعوم من الغرب من خلال النظام السوداني الذي سعى الى تقليم أظافر القوى الوطنية الإسلامية الأريترية ، ومن ثم الدخول في اتفاقات تؤدي الى قيام إمبراطورية ماركسية تضم أثيوبيا وأريتريا والصومال وذلك بعد سقوط نظام "محمد سياد بري" والمتعمق في تلك المؤامرة

لابد أن يضع بعض الحقائق لها وهي موقع الصومال الاستراتيجي وغناها بالثروات الطبيعية والزراعية والتكوين القبلي وانعدام السلطة والقانون دفع البلاد الى الانهيار.

وقد لفتت الكثير من الدول العربية والإسلامية انتباه النميري للخطأ السياسي والظلم الواقع على القوى الوطنية الأريترية، لكنه أصر على التعاون مع العناصر الصليبية الماركسية.

التبعية [٣٨] :

من أهداف التآمر العمل علي إيجاد نظام سياسي في الدول الصغيرة يدين بالولاء لإحدى القوي الدولية لتحقيق أهدافها وطموحاتها ولهذا تسعي الدولة الكبرى بالإيحاء الى الدول الصغيرة خاصة في العالم الثالث بأنها مهددة دائماً من إحدى دول الجوار والدفع بها الى التصعيد الدائم حتى وأن أدي الأمر الى نشوب حرب كما حدث بين العراق وإيران وكيف ساندت الدول الكبرى كل من الفريقين وأمدته بالأسلحة لاستمرار هذه الحرب ولجعل كل منهما بحاجة لهذه الدول بصفة دائمة لتزويدها بالأسلحة من ناحية ولدعم سياساتها في المحافل الدولية من جهة أخري وبالمقابل تتدافع الدول الصغرى الى الارتماء في أحضان الدول الكبرى لتستمد منها القوة ولتحظى بالدعم السياسي وغيره للحفاظ على كيانها السياسي والمجتمعي.

وقد أدت هذه التبعية في الكثير من دول العالم الثالث خاصة العربية الى ظهور وانتشار الجماعات المتطرفة التي تحاول تغيير أنظمة الحكم بالقوة والكثير منها تم دعمه من منظمات تنتمي إلى دول كبرى وأحيانا من الدول نفسهاصراحة وقد رأينا كيف حدث في مصر عام ١٩٨١ عندما اغتالت هذه الجماعات الرئيس "أنور السادات" وغيرت الحكم في أفغانستان وقلبت نظام "الشاه" في إيران وأثارت قلاقل في المملكة العربية السعودية والبحرين واليمن... الخ.

والحرب التي استمرت ثماني سنوات بين العراق وإيران كانت الولايات المتحدة تغذي هذه الحرب بالأسلحة وبالأفكار والمساندة الدولية لاستمرار الصراع بين الدولتين الجارتين أولاً ، ولخلق تبعية للعراق بعد فشل مشروع الولايات المتحدة الأمريكية في إقامة تحالف مع إيران بعد تولي الحكومة الجديدة التي أعقبت الثورة الدينية على خلفية

سقوط الشاه ، فلم يكن أمام الولايات المتحدة سوى استقطاب العراق وضمه الى صفوفها وجعله ينفذ سياستها حرفياً لضمان إمداده بالأسلحة التي أصبح في أشد الحاجة اليها وهذا ما كشف عنه الرئيس الأمريكي "رونالد ريغان" عبر اتهامات وجهها لنظيره السابق "جيمي كارتر" أثناء حملته الانتخابية أنه هو الذي أقام الحرب الإيرانية العراقية ودعمها باستخدام أداة الحرب "صدام حسين" والتي نفذها ببلاهته وتسبب في إحداث أكبر كارثة في المنطقة العربية أزهقت فيها الكثير من الأرواح وأهدرت الكثير أيضا من الأموال العربية بالرغم من أن مشروع تلك الحرب وخطته قديمة حيث عرضت أول ما عرضت على الرئيس عبد السلام عارف ، فلم يقرها واعترض عليها بشدة، وعندما توفي عارف بإسقاط طائرته وقد يكون هذا الرفض أحد الأسباب عرض أمر هذه الحرب على حسن البكر ولخبرته العسكريه عارض مشروع هذه الحرب لرؤيته المتقدمة ولأبعادها المأساوية الى أن جاء صدام حسين الذي قبلها ووافق شريطة أن توافق الولايات المتحدة الأمريكية على تنصيبه رئيسا للعراق ومساعدته في تحجيم دور البكر وإزاحته، وأن تكون المؤسسة العسكرية العراقية كلها تحت زمرته ووافق فعلا على نشوب هذه الحرب بخططها وتفصيلاتها التي عرضها عليه الرئيس الأمريكي "جيمي كارتر" وذلك بشهادة الرئيس "رونالد ريغان" وهكذا وقع صدام حسين في الفخ الأمريكي وبطانته، وكان الهدف تحطيم أكبر مؤسستين عسكريتين في الشرق الأوسط وهما إيران والعراق، وجعل العراق دولة تابعة تنفذ ما يطلب منها أمريكيا في مقابل إمدادها بالسلاح اللازم لتغذية عجلة الحرب الدائرة التي استمرت ٨ سنوات .

وهناك أيضاً تبعية أيديولوجية تسعى الدول الكبرى لإثارة فتنة أو القيام بدور وفقا لإستراتيجية هذه الدولة، قد تكون هذه التبعية سياسية أو دينية تستخدمها وقت الحاجة لإثارة قلاقل داخلية للدولة المستهدفة.

الحروب الأهليــة [٣٩] :

والصـراع بـين القـوى الكبـرى فـي أفريقيـا لـيس وليـد عهـد حيـث بـرز الصـراع الأوروبـي مثلاً فـي الصـومال منذ قرنين من الزمـان ففـي القرن التاسـع عشـر تنافسـت القوى الكبـرى حينئـذ "بريطانيـا، إيطاليـا" ونـتج عـن هـذا التنـافس تقسـيم الصـومال الـى خمسـة أجـزاء، وبعـد الحـرب العالميـة الثانيـة وبدايـة الحـرب البـاردة وقعـت الصـومال ضحية الصراع بين المعسكر الشرقي بقيادة "الاتحاد السوفييتي" سابقا والمعسكر الغربي بقيادة الولايات المتحدة الأمريكية، وكسب هذا الصراع المعسكر الشرقي حيث ارتمت الصومال في أحضان المعسكر الشيوعي الى حين قيام الحرب بين أثيوبيا والصومال عام ١٩٧٧ والتـي نـتج عنهـا سماح الـرئيس الصـومالي "سياد بـري" للولايـات المتحـدة الأمريكيـة بإقامـة قواعـد جويـة فـي مدينـة "بربـرا" الإستراتيجية وقد أدى التواجد الأمريكـي في الصومال الى ظهور تحالفين رئيسيين أحدهما بقيادة علي مهدي والثاني بقيادة فرح عيديد وكل من هذين التحالفين يضمان عدة فصائل ظلت تتصارع سنوات طويلة وهو ما نجحت المؤامرة الغربية التي كانت تحاك ضد الصومال والدول المجاورة والرامية الى تقسيمه ، الأمر الذي حدث فعلا تبعه التدخل الدولي المباشر واستنزاف ثرواته، وكان لإسرائيل الدور الأكبر فـي هذه التدخلات بمباركـة أوروبيـة وتحقيق حلمها التـي ظلت تنتظره لسنوات وهو كيفية الدخول الى البحر الأحمر حيث تمددت فعلا فـي الصومال وأريتريا وأثيوبيا أيضاً وأقامت هناك مشروعات اقتصادية ضخمة في هذه الدول لتمكين تواجـدها وإصـباغ صـفة الشـرعية ودعمتهـا فـي هـذا التواجـد تحديـداً الولايـات المتحـدة الأمريكية وبريطانيا.

والعـالم العربـي والإسـلامي تحـاط بـه المؤامرة من كل صـوب قديما وحـديثا وإن كانـت اليوم قد تشعبت وأصبح الاستهداف من الداخل أقوى من الخارج والغموض يحيط بها من كل جانب، وما يحدث في العراق هو أقرب مثال. وبعيدا عن الخوض في مجريات اليوم وما تشهده الساحة العراقية حيث تدبر لـه أكبر مؤامرة لكن سنترك ذلك الـى حين تكشـف كـل الحقـائق وسـوف يـأتي اليـوم دون شـك وإن كـان عـادة مـا يـأتي بعـد فـوات الأوان ليكتشف الكل أن هناك (ماركوس وولف) جديد كان يدفع بتلك المذابح لشباب العراق المسلم يومياً والزج بشباب الأمة العربية في أتون تلك النيران المشتعلة وأن هناك

دعماً لهؤلاء من مخابرات أجنبية لتدمير أوطانهم والقضاء على قوميتهم وهويتهم الإسلامية.

والإضطرابات العرقية كثيرة في شتي دول العالم ، ففي افريقيا توجد الكثير من الصراعات التي نشبت بسبب الاقليات وأحدها ما حدث بين قبيلتي " الهوتو " و " التوتسي " في رواند والمجازر التي راح ضحيتها مئات الالاف من الأرواح ولعبت (المانيا) و (بلجيكا) دوراً في إثارة هذه الحروب عندما تعمدتا استبعاد قبيلة الهوتو من الحكم وحتى من تبوأ أية مناصب وهمشتهم تماماً وذلك خلال الاستعمار الالماني لـ "رواندا " الذي استمر الى الحرب العالمية الثانية وتبعة الاستعمار البلجيكي بعد هزيمة " المانيا " في هذه الحرب وحتى استقلال " رواندا " عام ١٩٦٢ وحرم الاستعمار قبيلة " الهوتو " من أي مميزات واستبعدتهم من الإدارة الحكومية تماماً رغم أنهم يشكلون غالبية السكان حيث يمثلون ٩٠% من سكان رواندا إلا أن الاستعمار اعتمد علي قبيلة " التوتسي" باعتبارهم أكثر رقياً فضلاً عن بقاء التعليم والمنح الدراسية الى الخارج حكرا علي أبناء التوتسي مما مكن أبناء هذه القبيلة من إحكام سيطرتهم علي البلاد واستبعاد " الهوتو " نهائياً من أي مناصب .. وهناك أقليات في العالم العربي تستخدمها الدول الكبرى وقف إثارة الأزمات في العالم العربي أهمها المسيحيون في مصر وفي جمهورية السودان ولبنان اضافة الي الاقليات الدينية المتناثرة في العالم العربي وقد أوضح محمد حسنين هيكل في مقال نشر بالاهرام المصرية ٢٢ ابريل١٩٩٤ أن هناك مؤامرة مخططاً لها من قبل الادارة الامريكية يقام في مصر تيار فيه " حقوق الاقليات " في العالم العربي وفي مقدمتها وضع الأقباط ، والغريب أن تلك المؤامرة عقدت فعلا وأثيرت خلالها قلاقل عديدة لمؤازرة الأقباط .

ومن المؤامرات السياسية كذلك الحرب الإهلية في ليبيريا [٤٠] التي تقع في غرب أفريقيا وعاصمتها مونروفيا ، وقد تنكر المجتمع الدولي بكل منظماته ودوله المؤثرة لما آلت اليه الأوضاع المأساوية في ليبيريا نتيجة الحرب الأهلية المدمرة والتي امتدت الى أكثر من ٧ سنوات بين الفصائل المتناحرة والتي تمخض عنها بروز خمسة فصائل رئيسية وإثارة النعرات القبلية ويربط ليبيريا بالولايات المتحدة الأمريكية تاريخ عريق

تمتد جذوره الى أمد بعيد ، وذلك بعد أن عاد بعض العبيد الأفريقيين المحررين من أمريكا ليؤسسوا دولة لهم في أرض ليبيريا في عام م١٨٤٧.

ويعزى إندلاع الحرب الأهلية الى قيام مجلس الدولة بخلع روزفلت جونسون من منصبه الوزاري واعتقاله بتهمة القتل ويومها تأجج الصراع بين مختلف الفصائل التي تبادلت التراشق بنيران المدافع وأصبحت ليبيريا مسرحاً للسلب والنهب.

ولا شك أن هذه الحرب تضرب بجذورها الى تاريخ بداية إنشاء الدولة الليبيرية عام ١٨٢٢م عند عودة الأرقاء العائدين من أمريكا حيث ظلت طبقة الأمريكيين الليبيريين تحتكر السلطة برغم أنها لا تمثل الا ٥% من عدد السكان وحرمت باقي السكان من ممارسة حقوقهم السياسية والمدنية التي كفلها الدستور لهم، وشكلت هذه الطبقة حزب المحافظين الحقيقيين الذي يمسك بزمام الحكم حتى عام ١٩٨٠م وذلك بعد تولي الرئيس صمويل دو السلطة على إثر انقلاب عسكري دموي أطاح بالرئيس الأسبق (وليم تولبرت) ثم جاء بأفراد قبيلته "Krahan" الى أعلى مناصب الدولة وعند ئذ بدأ يشتعل فتيل الأزمة الحقيقية والتي أدت الى تفجير الوضع وقامت عدة محاولات للإطاحة بصمويل دو ، الا أن إحدى محاولاتهم نجحت بزعامة تشارلز تايلور الذي قام بدوره باستهداف الفئات الأخرى التي كان يكن لها كراهية شديدة ومنها المسلمين الذين تضرروا من فترة حكمه واستهدف مصالحهم الاقتصادية ، فضلاً عن سماحه بانتشار الحركات التبشيرية بمؤامرة من الغرب وبدعم داخلي منه ، فأخذت هذه الحركات تكثف نشاطاتها التنصيرية داخل ملاجيء المسلمين (يشكلون ٣٥% من السكان) وذلك استجابة لدعوة مجلس الكنائس العالمي الذي قام بتمويل المشروع من ميزانيته لصالح ليبيريا.

وفي أنجولا[٤١] كان للمؤامرات السياسية موعد آخر حيث وقعت ثلاثة فصائل الاتفاق الخاص باستقلالها عن البرتغال في شهر يناير عام ١٩٧٤ م، ونتيجة لتآمر الدول الداعمة للفصائل الثلاثة إندلعت أعمال عنف في لواندا وتحولت الحرب من حرب للتحرير الى حرب أهلية، فالفصيل الماركسي(**MPLA**) كان يتلقى الدعم من الاتحاد السوفييتي وكوبا ويسيطر هذا الفصيل لأسباب قبلية على لواندا.

والفصيل الثاني (**FNLA**) كانت تدعمه زائير ، أما الفصيل الثالث الذي انشق عن (**FNLA**) فقد كانت تدعمه الولايات المتحدة وجنوب أفريقيا (يونيتا) ، وقد ضم مرتزقة أوروبيين ، وهكذا و نتيجة لاختلاف المصالح والأهداف والأطماع في ثروات أنجولا سادت فوضى وأعمال عنف خطط لها كل متآمر للنيل من هذا البلد الصغير.

المؤامرات الاقتصادية :

وهي مؤامرات لاتأخذ طابع الإقتتال العسكري ولكنها تستهدف اقتصاد الدول بشكل عام من خلال ضرب حركتها الاقتصادية لإجبارها على تقديم تنازلات للدول المتآمرة، وأحيانا تضطر معها الى تخفيض قيمة عملتها النقدية مما يؤثر على كل مواردها واحتياطاتها ومركزها المالي على الصعيد المحلي والدولي، وهو الأمر الذي ينعكس على المواطن مباشرة لارتفاع قيمة الصادرات وأسعار مختلف السلع الاستهلاكية اليومية.

وإذا رجعنا الى التاريخ قليلا نجد أن ذلك النوع من المؤامرات ليس حديث عهد بل يعود الى عام ١٨٣٩م وظهرت تلك المؤامرات المسماة بالاقتصادية حالياً خلال ما أطلق عليه "حرب الأفيون" [٤٢] حيث قام التجار الأوربيون وقتها وتحديدا خلال الفترة من (١٨٣٩-١٨٤٢م) بترويج الأفيون في الصحف لعمل توازن تجاري، فأصدرت الصين قوانين تحظر على المواطنين الاتجار بهذه السلعة مما دفع الأوربيين الى تهريبها الى الصين ، وكانت أسباب نشوب هذه الحرب محاولة الإنجليز إرغام الصين على استيراد الأفيون من الهند الصينية وإكراهها على وضع حد للقيود المفروضة على التجارة الخارجية لديها، وبانتهاء هذه الحرب تخلت الصين عن هونج كونج لبريطانيا ومن ثم فتحت بعد ذلك خمسة موانئ في وجه التجارة البريطانية وهي (كانتون ، شنغهاي ، فوتشا ، ننجيو) وذلك نظير معاهدة "**نانجينج**" المجحفة بحق الصين ، وكان ذلك عام ١٨٤٢م، حيث برز وقتها مصطلح جديد في المؤامرة التجارية " حرب الأفيون " وهذه المؤامرة أو الحرب الاقتصادية استهدفت أشكالا شتى وأسلحة كان أبرزها المقاطعة التجارية أو الحصار الاقتصادي، أو فرض الحظر على تصدير المواد الإستراتيجية أو غير ذلك من التدابير التي قد تتخذها دولة أو عدة دول ضد أخرى.

ويدخل ضمن ذلك الإطار الحصار الذي فرضه نابليون بونابرت على بريطانيا عام ١٨٠٦ م حيث فرض حظراً على التجارة بين بريطانيا وموانئ أوروبا عامة ، ويستخلص من ذلك أن سلاح المقاطعة أو فرض الحظر تم استخدامه منذ قرون مضت وليس في عصرنا الحالي كما نراه حالياً، الا أنه اتخذ حالياً إطاراً جديداً عبر منظمات الأمم المتحدة، حيث يمكن فرض المقاطعة الاقتصادية إما عن طريق مجلس الأمن بعد الموافقة عليه من معظم أعضائه، أومن قبل الولايات المتحدة الأمريكية مباشرة في حالة عدم حدوث إجماع دولي على ذلك الحظر لكونها القطب الأوحد لأيامنا هذه .

ولا بد لنا من التطرق الى مثال للدلالة على الحرب غير المباشرة وهو ماحدث في غينيا[٤٣] التي تقع غرب أفريقيا و تحيط بها السنغال ومالي وغينيا بيساو وكوت ديفوار (ساحل العاج) وليبيريا وسيراليون وعاصمتها كوناكري وتمتلك غينيا ثروة منجمية ضخمة مكونة من البوكسيت وهو صخر يستخرج منه الالمونيوم تحتل به غينيا المرتبة الثانية عالمياً في إنتاجه.

وقد كانت غينيا خاضعة للاحتلال الفرنسي تبعا للاتفاقية المعتمدة بين فرنسا وبريطانيا والتي ضمت بموجبها غينيا الى الحكومة العامة لأفريقيا الغربية الفرنسية عام ١٨٩٥م ولعبت فرنسا في سياساتها الاستعمارية على مقولة (فرق تسد) عندما استغلت التناقضات الأثنية بين الغينيين لتؤمن فرقتهم وتحافظ على تواجدها داخل البلاد.الا أن ذلك لم يمتد طويلاً حتى ظهور الحزب الديمقراطي الغيني بزعامة أحمد سيكوتوري الذي أثار في المجتمع الغيني الشعور القومي والانتماء الأفريقي ونبذ الاستعمار ومن ثم استطاع أن يجمع بين مختلف الإثنيات والقبائل تحت الية واحدة وهي المطالبة بالاستقلال التام وعدم القبول بأية اتفاقيات أو معاهدات للبقاء داخل المجموعة الفرنسية . عاشت غينيا في ظل حكم الرئيس أحمد سيكوتوري تحت نظام الحزب الواحد الذي تأسس في ١٤ مايو ١٩٤٧ م(الحزب الديمقراطي الغيني) عقب استقلالها عن فرنسا.

وخططت فرنسا للنيل من نمو الشعور الوطني والانتماء عندما شعرت بمحاولات الانفصال والاستقلال عن سيادتها مخلفة وراءها حالات من الفوضى العارمة وعدم الاستقرار الأمني والاقتصادي لإذلال زعيمها أحمد سيكوتوري ومن والاه من

القبائل ، فبدأت بمعاقبتها اقتصاديا بقطع المعونات والمساعدات المالية ثم أمرت جميع الكوادر التقنية والإدارية بمغادرة غينيا مما أدى الى إغلاق الشركات التجارية الأجنبية. وفي مواجهة لهذه المؤامرة الاقتصادية لزعزعة الاستقرار داخل البلاد أمر أحمد سيكوتوري بتأميم بعض القطاعات المصرفية وأصدر النقد الوطني ثم وبسرعة اتهم الزعيم أحمد سيكوتوري فرنسا والقوى المناهضة لحكمه الثوري بالتآمر على البلاد لزيادة نسب البطالة وعدم الاستقرار الاجتماعي والسياسي والأمني في أوساط المجتمع الغيني بإحداث الاضطرابات والمظاهرات والفوضى .

ولإنقاذ ما يمكن إنقاذه حاول أحمد سيكوتوري إقامة علاقات مع الاتحاد السوفييتي لحماية البلاد من المصاعب الاقتصادية والخروج من الأزمة الراهنة الا إن السوفييت لم يختلفوا كثيراً عن فرنسا في نهب ثروات البلد وغلاء ثمن المساعدات الفنية والتقنية فأخذت العلاقات الغينية السوفيتية تشهد تدهورا لافتاً للنظرً ،فقامت غينيا بطرد السفير السوفييتي "دانييل سولود" من كوناكري عام ١٩٦١ م ولم ينج المثقفون الماركسيون من الاتهام بتخريب الاقتصاد ، وتصاعدت الأزمات الداخلية نتيجة وصول يد المخابرات الفرنسية اليها من خلال تدبير المؤامرات للتفرقة العنصرية بين قبائل "المالينكي" التي ينتمي لها الزعيم سيكوتوري وقبائل "البول" ،ولم يجد أحمد سيكوتوري إزاء هذه المؤامرات والاستراتيجيات غير المباشرة التي لعبتها فرنسا والغرب سبيلاً ومفراً للخروج من هذه الأزمات الا بإعادة العلاقات الدبلوماسية مع فرنسا عام ١٩٧٥م، وفتحت الأبواب أمامه من جديد لينتهج سياسة الانفتاح على الغرب الذي وضع خططاً امتدت نحو عشرين عاماً ليعود من جديد الى بلاد غنية بثرواتها الطبيعية ، وفي هذا العام ١٩٧٨م أيضاً وقعت غينيا اتفاقية "لومي" مع دول السوق الأوروبية بعد أن تدهورت العلاقات مع الاتحاد السوفييتي إثر رفض سيكوتوري في مايو ١٩٧٨ تجديد منح الاتحاد السوفييتي بعض التسهيلات العسكرية ، ثم أعقبه بإعلان قال فيه :" إن المساعدات الفنية السوفيتية لغينيا غالية الثمن وغير فعالة".

وكان أحمد سيكوتوري قد مهد لهذا الانعطاف في سياسته في خطابه المشهود أمام الحزب الحاكم بأنه "يجب على الحزب الآن أن يتعاون مع الدول الرأسمالية والاشتراكية بهدف تعزيز حرية شعبنا ورفع مستوى المعيشة لتحقيق الرفاهية في جميع

مناحي الحياة " وهكذا فشلت محاولة من محاولات مواجهة إحدى خطط مواجهة الإستراتيجية غير المباشرة إستراتيجية المؤامرات.

ومن الجدير بالذكر أن للاستعمار باع طويل في التآمر على من يرفض القبول به ، فإذا ما أحس بشدة وطأة الثورة ضده لجأ الى الخطط التي كان أعدها من قبل كي ترتبط الدول الرافضة له به حتى بعد خروج قواتها ومن أساليب ذلك تعمد إحداث عجز في رؤوس الأموال في الدولة المستهدفة مما يؤدي بها الى الاستدانة وحجب الاقتصاديين المؤهلين الذين يمكنهم التفكير في الاستقلالية عن الدول المستعمرة ، وارتباط الصادرات والسلع الخام والغلال بالدولة المتآمرة والتي غالباً ما تكون إحدى الدول الصناعية الكبرى في الوقت الذي تستورد فيه تلك الدولة المستهدفة الأجهزة والتكنولوجيا المتقدمة من تلك الدول الصناعية . وقد تكونت شركات وتكتلات صناعية وتجارية في أكثر من دولة استعمارية للتحكم بالاقتصاد الوطني أو جزء كبير فيه بعد الاستقلال مثل شركات كالا ونيلفر في أفريقيا وشركة الأثمار المتحدة في أمريكا الوسطى وشركة الوكام في الكاميرون وغيرها من الشركات الكبرى التي تعمل على السيطرة على مرافق الاستثمار في الدول حديثة الاستقلال. وعادة ما يكون ذلك الاستقلال سياسياً يرضي مطامح الوطنيين ولكنه يخفي في ثناياه استعماراً اقتصادياً دونما حاجة الى جيش أو معدات عسكرية. أما الهبات والقروض والمساعدات وغيرها من المعونات الإنسانية فهي غالباً ما تتم بمقابل وشروط مستترة حفاظاً على الشعور الوطني ، ولكن صناع القرار يدركون أنها شروطاً صعبة لا فكاك منها فيرضون بالسيطرة الاستثمارية عوضاً عن السيطرة الاستعمارية ، إضافة الى أن الاستعمار الاستثماري يحسن اختيار وكلائه المحليين والمتنفذين الموجودين في الأحزاب الحاكمة في تلك الدول المغلوبة على أمرها فيعقد معهاصفقات تكون منفعتها لأشخاص محدودين وللشركات الواجهة التي تعبرعن تكتل اقتصادي يمثل دولة استعمارية أوأكثر. (٤٤)

وهناك نوع من التآمر الاقتصادي من الدول الكبرى ضد دول العالم الثالث خاصة الفقيرة منها والتي تخضع لعمليات ابتزاز مستمرة ومن بينها تلك التي تمارسها الدول المتقدمة على الدول الأقل تقدماً لخصخصة الكثير من قطاعاتها الخدمية

والإنتاجية بذريعة التشجيع على الاستثمار والاقتصاد الحر لدرجة أن الأمر وصل في كثير من هذه الدول الى منع القروض عنها وفرض شروط قاسية من خلال البنك الدولي ، حتى باتت المؤسسات المالية الغربية تسيطر على مجريات الإنتاج بل وتوجيه الاقتصاد وفقاً لمصالحها، وآخر الأمر المطالبة بتخصيص البنوك وبيعها وكذلك شركات التأمين للسيطرة على المؤسسات المالية والتغلغل في شئونها، ومن ثم توجيهها وفقاً لسياساتهم.

وماهو مهم في الأمر أن الكثير من الدول العربية لا تحتمل تلك المخاطرة فهي غير محسوبة العواقب ومن ثم فالضمانات غير ملزمة وغالباً لا يتم الوفاء بالوعود وهناك مفارقات عديدة مماثلة في الكثير من دول العالم تخلى فيها البنك الدولي عن كل الضمانات التي كان قد قدمها ، وتتمثل الخطورة في معرفة من الذي سيشتري تلك البنوك ؟ وإذا عرجنا على الأمر من زاوية أخرى تتساءل عن الضمانات لودائع المواطنين ؟ وما هو مستقبل هذه الودائع أمام مخاطر بتلك الجسامة ؟ وهل المقصود من ذلك مصلحة المواطن فعلاً أم وراء ذلك مؤامرة خافية علينا ؟

ولا تقتصرالمؤامرات الاقتصادية على طرفين أحدهما قوي والآخر ضعيف ، بل إنها قد تنشب بين الأقوياء أنفسهم ، حيث تأخذ تلك المؤامرات وتحديدا التجارية منها بعداً خاصا بين الدول الصناعية الكبرى تكون الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارها القوة العظمى الوحيدة الطرفً الرئيس فيها، فمرة تكون بين أمريكا والصين و مرة أخرى بينها واليابان و مرة ثالثة بينها وبين أوروبا ومن أمثلة ذلك المؤامرة على بنما[٤٥] والتي كان قطباها فرنسا وأمريكا حينما تم التفكير بشق قناة تصل المحيط الأطلسي بالمحيط الهادي عبر شق قناة في بنما ، وبدلاً من رحلة تقطع فيها السفن ١٦ الف كلم عبر رأس هورن، سيصبح بمقدور السفينة قطع المسافة في ٧٢ كلم عبر تلك القناة .

وحينما كانت بنما تابعة لسيطرة كولومبيا حصلت شركة فرنسية بإدارة فرديناند ديليسبس على تصريح كولومبي لبناء قناة عبر برزخ بنما، الأمر الذي أغضب السياسة الأمريكية في شق القناة تحت إشرافها.

ويدعم أمريكي وبالتحديد في ٣ نوفمبر عام ١٩٠٣م تآمر عناصر من الثوار البنميين وخططوا للإطاحة بالحكم الكولومبي، وعمت الثورة في البلاد وثار البنميون بمساعدة أمريكا وتوصلوا الى إعلان استقلال بنما، وبعد ثلاثة أيام اعترفت الولايات المتحدة بجمهورية بنما ثم وقعت أمريكا مع بنما بعد ذلك بأقل من أسبوعين معاهدة "هاي بينوفاريلا" التي تعطي الولايات المتحدة حق الإشراف على القناة من مدينة كولون الى مدينة بنما، والتزمت أمريكا بتقديم تعويضات قدرها ١٠ ملايين دولار لبنما.

وقد حدث نفس التنافس في شهر مارس عام ١٩٩٩م فيما أطلق عليه وقتها "حرب الموز"[٤٦] عندما بدأت أمريكا بفرض رسوم جمركية على عدد من السلع الأوربية بهدف الانتقام من المنتجين الأوربيين بحرمانهم من مبالغ مساوية لتلك التي خسرتها شركات الموز من دول حوض الكاريبي ودول أمريكا اللاتينية حيث كان للشركات الأمريكية العملاقة مصالح كبرى مع هذه الدول قدرت خسائرها بنحو ٥٢٠ مليون دولار سنويا.

وهكذا يشهد الميدان الاقتصادي حرباً تأخذ شكل تهديدات بعقوبات تجارية، أو التآمر على مصالح الدول الأخرى حيث يتم الصراع بين أقطاب الاقتصاد الدولي على كسب مواقع جديدة على خريطة الاقتصاد العالمي والاستحواذ على الأسواق وضمها الى نفوذها وفرض سيطرتها بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة .

ويذهب البعض الى أن تحالف الدول الصناعية روج لمؤامرة كبرى وهي نظام العولمة ، ومضمونه إقامة تكتلات اقتصادية وإقامة منطقة تجارة حرة بين الدول الصناعية الغربية في مواجهة كيانات دولية صغيرة هشة لا تملك الا الذوبان في تلك التكتلات وهو تهديد مباشر لاقتصادها لارتباطه المباشر بالمتغيرات الاقتصادية الدولية ومعدلات ارتفاع الأسعار العالمية التي تخطت كل إمكانيات الدول الفقيرة وقضت على إمكانية أي حدوث تنمية فيها أو أي حلم قد يفضي الى ميلاد قوة صناعية مستقبلاً.فالدول الصغيرة و النامية هي الخاسر الأكبر في خضم هذه الصراعات من خلال نظام "العولمة" وتطبيقه على أسواقها والغاء قوانين الحماية، أي دخولها عالم المنافسة الحرة غير المتكافئة، الأمر الذي يدفع بهذه الدول الى أن تجد نفسها في ساحة للصراع على مجالات النفوذ والهيمنة من جانب الدول الكبرى دون أن تكون

مستعدة لذلك ، مما يمكن الدول الصناعية من السيطرة على مقدرات هذه الدول وعلى جعلها سوقا لتصريف منتجاتهاوحرمانها من إستغلال هذه الثروات إستفادة مثلى ، الى جانب المحاولات الدائمة لإغراق هذه الدول بالديون الخارجية وهيمنة هذه الدول على التجارة الدولية ومصادر التكنولوجيا نتيجة انخفاض أسعار المواد الخام إزاء أسعار السلع المصنعة مما أوجد فجوة اقتصادية كبيرة ، الى جانب تصاعد الإنفاق العسكري وهى المؤامرة الكبرى لدفع الدول الى صراعات قد لا تكون طرفاً فيها واستنزاف رؤوس الأموال والمتوفرات المالية للنفط وإحداث القلاقل الداخلية التي تدفع بالتالي الى هروب رؤوس الأموال والاستثمارات العربية واستقرارها في دول الغرب عامة، ومما يؤسف له أن الدول النامية لاتنتبه الى هذه الأبعاد الخطرة ولا تتعظ من التجارب السابقة فتزج بنفسها في حروب لا طائل وراءها الا المزيد من التبعية والدمار.

ومن السلع المهمة التي تعتبر محل تنافس كبير ومجالاً خصباً للمؤامرات سلعة النفط ، ومن أمثلة ذلك أنه: بعد انهيار الاتحاد السوفييتي[٤٧] وسطوع نجم دول القوقاز (أرمينيا – جورجيا – أذربيجان) بعد الاستقلال بدأ التنافس والتآمر من قبل كل من أمريكا والاتحاد السوفييتي على المنطقة للسيطرة على السوق النفطية الغنية في هذه المنطقة وكذلك على خط مواصلاته لأحكام نقله الى أحد البحار المفتوحة (البحر الأسود – البحر الأبيض – الخليج العربي)

وقد بدأ التخطيط بتنفيذ كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي سياسة إغراق المنطقة في حروب عرقية ودينية كل حسب مصالحه وذلك لمنع أي تقارب بين الأطراف .

فعندما علمت روسيا أن اتفاقا على وشك التوقيع لاستخراج النفط وتصديره قامت مباشرة بتحريك الأقليتين الأبخازية والأوسينية في جورجيا للمطالبة بالاستقلال، وفي جانب آخر استطاعت سراً تقديم مساعدات عسكرية لجورجيا لقمع نفس الأقليتين ، الأمر الذي مكنها من إقامة وجود عسكري دائم على أراضيها.

أما الرد الأمريكي فقد جاء بدعم الحركات الانفصالية في الشيشان واداغستان وأوسيتيا الشمالية، وهكذا قام كل طرف بحبك مؤامرة للرد على مؤامرة الطرف الآخر للسيطرة

على منابع النفط وتأمين الطريق الآمن لها بالوصول الى السوق والتحكم في أسعار البترول لأن من يهيمن على نفط بحر قزوين فإنما يسيطر على أهم المرافق الحياتية لشريان العالم الاقتصادي ويفرض شروطه ومواقفه السياسية حتى وإن تم ذلك بواسطة إثارة النزاعات بين أطراف غير مدركة لما يدور خلف الكواليس .

ومثال آخر لتلك المؤامرات المؤامرة على نفط فنزويلا[٤٨] ا التي حدثت بين الأعوام (١٩٠٠-١٩٤٥م) فقد كان النفط ينتج بشكل ثانوي أثناء استخراج الأسفلت قبل أن تحصل الشركة الأمريكية (نيويورك أند برموذر كومباني) على امتياز استخراج النفط واستثماره ، وبفضل نفوذ الشركة الاقتصادي تحولت الى قوة فاعلة في الحقل السياسي والاقتصادي الفنزويلي وذهبت في التخطيط للتآمر على الرئيس الفنزويلي "كاسترو" بعد أن استطاع الغاء امتيازات الشركة لعلمه أنها تتآمر على أمن الدولة وتهيمن على ثرواتها حتى غير النفطية.

وبدعم من الشركة الأمريكية وبوكالة الاستخبارات (**C.I.A**) استطاع الجنرال "غوميز" الإطاحة بالرئيس كاسترو عام ١٩٠٨م، ومن ثم أخذ يعطي الكثير من الصلاحيات والامتيازات للشركات الأجنبية للتنقيب عن المعادن عامة والنفط خاصة وبالأخص الشركة الأمريكية التي تمتعت بامتيازات كثيرة وجديدة في ١٩١٨-١٩٢٢م، ولم تأت سنة ١٩٢٥ م حتى أصبحت مساحات شاسعة ملكاً لعشرين شركة أمريكية فضلاً عن خمس شركات بريطانية، ومنذ ذلك الحين أصبحت فنزويلا مرتعاً للشركات الاحتكارية الأجنبية التي نهبت ثرواتها خاصة النفط واستسلمت البلاد لكابوس الفقر والذل والمرض والجهل نتيجة لهذه المؤامرة.

ويستخلص مما سبق أن المؤامرة الاقتصادية في عمومياتها تسعى الى تحقيق مصالح سواء على مستوى الشركات أو الدول، لكن الأخطر ما يوجه بالأساس الى الدول الفقيرة لجعلها تدور في حلقة الديون الخارجية التي تؤدي بالتالي الى تدمير الاقتصاد الذي هو جوهر الأمن القومي في كل دول العالم.

الحواشي المرجعية

(١) أحمد بهجت. **أنبياء الله**. ط٢٨ . القاهرة : دار الشروق ، ٢٠٠١ . ص٣٦ .

(٢) عبد المنعم الحفني . ***موسوعة القرآن العظيم***. ط١. القاهرة : مكتبة مدبولي، ٢٠٠٣. جـ١ ، ص٨٥٢ .

(٣) أحمد بهجت. مصدر سابق . ص٥٠ .

(٤) نفس المصدر . ص٦٤ .

(٥) نفس المصدر . ص٧١ .

(٦) نفس المصدر . ص٧٨ .

(٧) نفس المصدر . ص١٠٤ .

(٨) نفس المصدر . ص١٢١ .

(٩) عبد المنعم الحفني . مصدر سابق . جـ١ ، ص٨٨٠ .

(١٠) نفس المصدر . جـ١ ، ص٩٨٠ .

(١١) نفس المصدر . جـ١ ، ص ١١٠٧ .

(١٢) أحمد بهجت. مصدر سابق . ٣٣٤ ، ٣٥٤ .

(١٣) صحيفة الأهرام المصرية. ١٠ سبتمبر ٢٠٠٥ . ص١٧ .

(١٤) صحيفة الرأي العام الكويتية . ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٣. ع ١٣٢٨٠ . ص٣٥ .

(١٥) نفس المصدر. ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٣ . ص٣٣ .

(١٦) صحيفة السياسة الكويتية. ١٠ نوفمبر ٢٠٠٤ . ع ١٢٩٢٥ . ص٣٢ .

(١٧) مجموعة من المؤلفين . ***الموسوعة السياسية التاريخية***. بيروت : دار الحسام ، ٢٠٠٢، ص١٤٨ .

(١٨) ذياب البداينة. ***الأمن وحرب المعلومات***. عمان: دار الشروق، ٢٠٠٢ . ص٢٥٦ .

(١٩) نفس المصدر . ص٢٥٧ .

(٢٠) بينبرغ ،آدم .، مارك باري.***وكر الجاسوسية:جاسوسية الشركات الأمريكية***.تعريب فواز زعرور.الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٣ . ص٢١ ، ٣٢ .

(٢١) نفس المصدر . ص٨٧ .

(٢٢) www.BBC.Arabic.com.uk

(٢٣) أحمد حسن صبحي . ***المسلمون والمسيحيون تحت الحصار اليهودي***. القاهرة : مكتبة مدبولي، ٢٠٠٢ . ص٣٥ .

(٢٤) مجموعة من المؤلفين . مصدر سابق . ص٣٦٨ .

(٢٥) مجلة المجتمع. ١٠ ديسمبر ١٩٩٦ . ع ١٢٢٩ . ص٤٢ / ع ٩١٨ . ص٢٤ .

(٢٦) مسعود الخوند . ***الموسوعة التاريخية الجغرافية*** . بيروت : الشركة العالمية للموسوعات ، ٢٠٠٢ . جـ٩ . ص٨٩ .

(٢٧) بطرس غالي.***الإستراتيجية والسياسة الدولية***.القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٦٧ .ص١١ .

(٢٨) نفس المصدر . ص٣٤ .

(٢٩) نفس المصدر . ص٥٣ .

(٣٠) نفس المصدر . ص٦٢ .

(٣١) نفس المصدر . ص٥٥ .

(٣٢) نفس المصدر . ص٥٤ .

(٣٣) صلاح سالم . ***حروب المنطقة العربية***. القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠١ . ص٧٠ .

(٣٤) نفس المصدر . ص٧١ .

(٣٥) مسعود الخوند . مصدر سابق. جـ١٥ ، ص١٣١ .

(٣٦) مجلة المجتمع . ٢٨ يناير ١٩٩٧ . ع ١٢٣٦ . ص٢٨ .

(٣٧) نفس المصدر . ١٠ مايو ١٩٧٩ . ع ٤٤٣ . مج١٩ . ص١٠ .

(٣٨) صلاح سالم . مصدر سابق . ص٧٤ ، الأهرام . ٢٢ ديسمبر٢٠٠٣ .ع٤٢٧٤٩ . ص١١ .

(٣٩) مجلة المجتمع . ٣١ أكتوبر١٩٩٥ . ع١١٧٣ . ص٤٠ .

(٤٠) نفس المصدر . ١٤ مايو١٩٩٦ . ع١١٩٩ . ص٣٦ .

(٤١) مجموعة من المؤلفين . مصدر سابق . ص٣٤٦ .

(٤٢) ***الموسوعة العربية الميسرة*** . إشراف محمد شفيق غربال. بيروت : دار نهضة لبنان ، ١٩٨٧ . مج١. ص٦٩٦ .

(٤٣) مسعود الخوند . مصدر سابق . جـ١٣ ، ص١٦٩ .

(٤٤) ***تاريخ الحضارات العام***. إشراف موريس كروزيه ؛ ترجمة يوسف سعد داغر ، فريد م. داغر . بيروت: عويد للنشر، ٢٠٠٣ . مج٧ ص٥٧٩ .

(٤٥) مسعود الخوند . مصدر سابق . جـ٥ ، ص٧٨ .

(٤٦) مجلة شؤون الأوسط . أبريل١٩٩٩ . ع ٨٢ . ص٧٩ .

(٤٧) صحيفة السياسة الكويتية . ٥ مايو٢٠٠٦ . ع ١٣٤٦٤ . ص٢٢ .

(٤٨) مسعود الخوند. مصدر سابق . جـ١٤ . ص٢٩٥ .

(٤٩) عايش محمود زيتون . ***علم حياة الإنسان*** : بيولوجيا الإنسان . عمان: دار الشروق . ١٩٩٦ . ص٢٧.

الفصل الثاني

مفهوم المؤامرة

عادة مايبدأ الباحث بتعريف الموضوع الذي يرغب بالتطرق اليه عند بحثه في جوانب هذا الموضوع ليمهد ذهن القارئ لما يريد طرحه من أفكار، الا إنني استميح القارئ الكريم العذر لأنني لم أتبع هذا المنهج ، وذلك لأنني رأيت أن التطرق لمثل هذا الموضوع دون إيراد أمثلةعن الآراء المتعارضة لمفهوم المؤامرة و دون ذكر قصص تتعلق بالتاريخ عن أنواع المؤامرات وعن منهج التآمر وأدواته سيحرم القارئ الكريم من تهيئة ضرورية للإلمام المؤامرة .

ويمكن الاجتهاد في تعريف المؤامرة بفكرة تطرح للبحث والنقاش وهي أن البعض قد يعتقد أن مفهوم المؤامرة خاص بالإنسان وحده كحيوان مفكر كما تصفه بعض التعريفات ولكن الأمر يتعداه الى الحيوان غير المفكر. ولعلنا نلاحظ سلوك الحيوانات حينما تقوم بشكل فردي أو كمجموعة للإيقاع بفريستها وكيفية استخدامها لأساليب مختلفة تلجأ اليها بشكل فردي أوجمعي تتفق عليها وتوزع الأدوارفيما بينها حتى تطبق على ضحيتها فلا يفلت من براثنها الا من أسعفه قدره منها ليعيش يوما آخر يحاول أن يدرأ فيه خطر أعدائه. بل إن المرء يكاد يعتقد أن المؤامرات عند الحيوانات ، أو الإفلات منها عبارة عن أسلوب الحياة الرئيس الذي تعرفه هذه الحيوانات ، فهي تختلف عن بني البشر بأنها لا تعرف أسلوب تجييش بعضها لتقف صفا واحدا في وجه جيش آخر من أعدائها من الحيوانات ،ولكنها تجيد التآمر في مواجهة الضحايا والمنافسين ، وحتى نحن بني البشر لم نتبصر في أنفسنا ولم نفكر في يوم من الأيام ونحن نبحث في مفهوم المؤامرة ونتعمق في شتى جوانبه أنه في تلك اللحظات التي نفكر فيها يوجد في داخل أجسادنا مؤامرات تحاك ضدنا وتنفذها فيروسات تخترقنا وتلحق الضرر بنا وتتطفل علينا وأن حربا ضروساً تخوضها خلايا أخرى مدافعة عنا للقضاء على أولئك الدخلاء وأن بعض تلك الفيروسات وغيرها

تتخفى أحياناً وتسلك سلوكاً في أحيان أخرى تستطيع بواسطته خداع تلك الخلايا المدافعة عن أجسادنا من الداخل مما يمكنها من البقاء حية تقتات على ما نأكل أو نشرب.

ولعل ما يفرق بني البشرعن غيرهم من الكائنات هو أن مؤامرات تلك الكائنات مردها الى الغريزة ، وخاصة غريزة البقاء كأفراد وكنوع ، أما نحن فنتآمر ليس من أجل البقاء فحسب ولكن من أجل دوافع ثانوية ثقلنا بها عقلنا ووجداننا وثقافتنا السياسية والاجتماعية لتزداد بها قائمة الأعداء وأنواع المؤامرات ووسائل تنفيذها.

فالمؤامرة جزء من التركيبة الإنسانية التي لا تخلو حقبة تاريخية منها وكل مؤامرة في التاريخ لها أهدافها ودوافعها وهناك مؤيدون لها يدافعون عنها ويؤمنون بأفكارها وهناك منكرون لوجودهاويعارضون منيتبنى وجودها. والمؤامرات كثيرة ولكن بعضها يحظى باهتمام عامة الناس والمؤرخين والمحللين والبعض الآخر لايكاد يذكر أو يلفت الإنتباه ٠

ويمكن القول بأن **معنى المؤامرة** في اللغة هو : المشاورة أي التشاور بين مجموعة من الأفراد الذين يجمعهم هدف واحد واتفاق بين طرف أو أكثر هو إيذاء طرف آخر، والتشاور هنايعني أنهم عقدوا العزم على القيام بذلك الفعل وتدارسوا الكيفية التي يمكن من خلالها تنفيذ ذلك الإيذاء. وقد ورد ذكر المؤامرة في القرآن الكريم حيث وردت صفة التآمر نصاً في سورة القصص حينما جاء مؤمن آل فرعون الى سيدنا موسى يحذره بأن مؤامرة تحاك في الخفاء لقتله مصداقًا لقوله تعالى "وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن القوم يأتمرن بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين " القصص :٢٠

والمؤامرة اصطلاحا هي :عملية التخطيط لأهداف واضحة تم تحديدها بدقة متناهية لإيذاء خصم أو كل من يقف ضد مصالح المتآمر وذلك باختراقه عبر وسائل عدة يتم اختيارها لمعرفة مواطن الضعف لديه وتحديد الأسلحة والأدوات المناسبة لتحطيمه وإفقاده السيطرة على مايجري حوله وتفكيك روابطه مع الآخرين وقطع كل السبل التي قد تجعله قادراً على استعادة سيطرته مرة أخرى أو اكتشاف ما يدبر له في الخفاء .

ويمكن القول بأنها فعل معين مخالف للقانون يهدف الى تحقيق أمر غير مشروع ، وقد يكون هذا الأمرشخصياً أو سياسياً أو اقتصادياً أو غير ذلك من الأمور ، فالمؤامرة في مفهومها العام هي : التخطيط والعمل في الخفاء لإحداث تغيير يعاني معه الفرد أو الجماعة أو الدولة المستهدفة من مشكلات غامضة يصعب الوصول لأسبابها أو مسبباتها الموضوعية،وعادة ما تقوم بذلك جماعة في مواجهة خصم أو نظام أو أفكار مناهضة، وهي تنشأ عن قصد مسبق للقيام بعمل معين يتسم بعدم المشروعية لأن المشروعية تخرج الاتفاق من دائرة المحظور الى الإباحة ليكون واحداً من الأعمال المتفق عليها ، وهو مايعرف بالرضائية في القانون وغالباً ما يستلزم العمل المطلوب تنفيذه جماعة كبيرة خاصة إذا كان موضوع الاتفاق ذا صبغة عسكرية أو سياسية أومناقضةً لسياسة الدولة وقوانينها الدستورية.

وقد يكون الاتفاق جنائياً كما هو وارد في القانون الجنائي الكويتي على سبيل الحصر واشتراط ذلك القانون لوقوع جريمة المؤامرة أن يكون هناك فعل حقيقي ، أما مجرد العزم دون الإقدام على ارتكاب أي جريمة فإن القانون لا يعاقب على ذلك لأن الفاعل أو المدبر للمؤامرة قد يعدل عن تنفيذ عزمه ، ولأن مخالجة فكره تعتبر مجرد نيات ، وليس هناك عقوبة على النيات أو الأفكار الداخلية عامة ما لم يتم ترجمتها الى عمل ملموس كما أن المؤامرة يشترط لها قصد جنائي أي أن يكون الشخص عالما بحقيقة المؤامرة والا فلا يعاقب عليها، والتحريض على التآمر أو الحث على التخطيط للمؤامرة لا يعاقب عليه القانون ما لم يفض الى نتيجة معينة إذ أن الأقوال والرغبات والنزوات السياسية لا ترقى الى أن تكون أساساً لتهمة التحريض أو تسخر كأدلة ضد من يحرض على المؤامرة إذا لم تقترن بفعل مادي حقيقي يمكن البناء عليه كأساس للإدانة.

والمؤامرة تحاط دائماً بالسرية التامة ويصعب اكتشافها ، و ينتمي المخططون لها إما الى جهة داخلية (محلية) أو جهة خارجية (دولية) وكلا الجهتين يصعب معاقبة القائمين عليها لأسباب عدة منها مثلا : كون الدولة المتآمرة ذات قوة عسكرية هائلة أوذات وزن سياسي كبير أوذات علاقات إرهابية، فإنه لا يمكن معاقبتها على أي مؤامرة تكون ضالعة فيها لأن الإقدام على معاقبة أي دولة لا يكون إلا من خلال أحد

أمرين أحدهما هو قطع العلاقات الدبلوماسية وثانيهما هو إعلان الحرب عليها، وكلا الأمرين يصعب تنفيذهما لما تتمتع به الدولة المتآمرة من دالة على الجماعات الإرهابية أو لتمتعها بنفوذ سياسي ودولي قوي، والأمثلة على ذلك كثيرة .

أما إذا كانت المؤامرة صنيعة جهة ضعيفة فهي في الغالب الأعم تكون مدعومة أمنياً من دولة أخرى قوية تقف وراءها وتساندها وتسبغ عليها الغطاء الشرعي، كما هو الحال في حالة الانقلابات العسكرية التي قد تكون مدعومة من دولة أجنبية ذات نفوذ سياسي كبير.

وعندما تقوم دولة بالتآمر على دولة أخرى فإنها تستعمل كل وسائل العنف والإرهاب لتحقيق مآربها وتتخلى عن مبادئ الأخلاق وتسلك كل السبل لتحطيم وتدمير الدولة المستهدفة، فلا تتورع مثلا عن القيام بتدبير الانقلابات وإشعال الثورات وزرع الفتن بأنواعها المختلفة الطائفية والسياسية والعرقية ، وبث الفرقة بين مكونات المجتمع ومساعدة الأطراف المناوئة لها على تأجيج الصراعات والحروب الداخلية وتحريك خلاياها الإرهابية النائمة وإشعال حروب حدودية بينها وبين الدول المجاورة، مما يجعلها في حالة تأهب عسكري بشكل دائم استعدادا لأي نزاع مسلح قد ينشب فجأة بينها وبين أعدائها، كما أنها تسعى الى زعزعة استقرارها وتضييق الخناق عليها اقتصادياً وإحداث بلبلة في أسواقها واللجوء الى التغلغل داخل مؤسسات الدولة الرسمية لتوجيهها كما تريد ، والسعي الى احتكار الأعمال التجارية الضخمة لصالحها والمضاربة في أسواقها المالية تمهيداً للسيطرة عليها بعد التحكم فيها اقتصادياً حتى يكون بإمكانها رفع أسعار المواد الأولية والقضاء على كل عوامل الإنتاج لحض العمال على الفوضى وبالتالي إضعافها نهائياً بعد السيطرة على البنوك والأرصدة وإضعاف عملتها كما حدث مع دول شرق آسيا فيما سمي بأزمة النمور الآسيوية، وكذلك الأرجنتين التي أشهرت إفلاسها وعجزت البنوك المحلية عن رد الودائع المالية وحتى الرواتب لم تستطع الحكومة دفعها للعاملين، الأمر الذي أدى الى قيام المظاهرات وإحداث فوضى عارمة عمت كل أنحاء البلاد وشلت معها كل مرافق البلاد، وقد حدثت نفس المحاولات مع مصر وإن لم تنجح المؤامرة بالصورة التي كان مخططاً لها حيث استطاعت الحكومة المصرية السيطرة مرة أخرى على بقاء عملتها بصورة حية

واستعادت الحكومة جزءاً من التوازن بعد أن شهدت مضاربات شلت الأسواق المالية ودفعت الاقتصاد الى التردي بصورة مخيفة واستطاعت استعادة السيطرة مرة أخرى على بقاء العملة بصورة حية بعد أن شهدت انهياراً لم تشهده مصر خلال تاريخها القديم والحديث وكان المخططون لهذه المؤامرة يهدفون الى إخضاع مصر لهيمنة صندوق النقد الدولي والمؤسسات الدولية المانحة وبالتالي التحكم في منشآتها الاقتصادية وزعزعة استقرارها السياسي وتحجيم دورها في منظومة العمل العربية، والتاريخ المصري[1] يحدثنا عن مؤامرة كبرى حدثت في عهد الخديوي توفيق عام ١٩٣٦ حينما أجبرت مصر على رهن قناة السويس لبريطانيا العظمى وقتها وفاء للديون التي تراكمت على الخديوي توفيق حاكم مصر حينئذ نتيجة لنزواته الشخصية ومغامراته وانسياقه وراء المخططات البريطانية التي كانت تهدف لتحقيق ذلك الهدف منذ زمن بعيد لإخضاع مصر لسيطرتها للأبد والقضاء على دور القوى الوطنية البازغة وقتئذ والمنادية بالجلاء البريطاني عن مصر، وقد حقق لهم الخديوي ذلك الهدف ونفذت تلك المؤامرة المدروسة جيداً والتي تم التخطيط لها منذ اشتعال ثورة سعد زغلول عام ١٩١٩ والتي شعرت بريطانيا وقتها بأنها مهددة بالجلاء عن مصر في أية لحظة، ولذلك عكفت أجهزة المخابرات على تدبير مبررات لاستمرار احتلالها لمصر ووجت ضالتها في الخديوي توفيق بعد توليه حكم مصر.

مراحل التآمر وزرع الفتن وأدواتهما

إن المؤامرة علم وفن يتم حياكتها وتنفيذها بواسطة أفراد اوجماعات وفقا لحجم المؤامرة والهدف منها ، ويتعرض الإنسان منذ طفولته الى شيخوخته لنوع أو آخر من تلك المؤامرات ، إما على المستوى الشخصي أو الاجتماعي أوكفرد من أفراد الشعب،بل إنه يتعرض لتلك المؤامرات قبل ولادته أو بعد وفاته فللمؤامرة منهجها وفنها وخطواتها المنهجية التي يمكن الإجتهاد في تصورها كما يلي:

١ – العدو المستهدف :

حينما يخلو الإنسان الى نفسه فإن الأفكار تراوده في كل يوم وليلة، وحينما يخلد الى النوم فإنها تلاحقه على هيئة أحلام ليكون هو مؤلفها والمشارك في رسم سيناريوهاتها ، بل وبطلها في أحيان كثيرة ، ومن بين تلك الأفكار ما يبرز على شكل مؤامرة ينفذها بنفسه أو يعرضها على غيره ليشاركه فيها ،وقد يكون ذلك الشخص فردا عاديا أو قائدا لمجموعة دينية أو عرقية أو سياسية أو اقتصادية أو رئيس دولة أو جهة استخبارية وما الى غير ذلك من الجهات الفردية أو الجماعية ، ولكن العامل المشترك بين كل هؤلاء هو كم كبير من الحقد والكراهية والغدر والخيانة و الثأر والانتقام و المصالح الفردية والنزوات الشخصية اختزنها أولئك النفر في أنفسهم ضد غيرهم من الأفراد والجماعات الذين شاء حظهم العاثر أن يكونوا هدفا لمؤامرة تدبر ضدهم في الخفاء وهم عنها غافلون ، بينما يعتبرهم المتآمر أوالمتآمرون أعداء لهم بغض الطرف عن كونهم يستحقون كل هذا العداء أم لا ، وما إذا كانوا أبرياء من التهم الموجهة اليهم أم يستحقون العقاب ، فالعداوة تتواجد وتتوالد باختلاف العرق أوالدين أو المصالح بين الأفراد والجماعات والدول المختلفة والتنافس المحموم وغير الشريف على نهب ثروات الدول ، ولكي تكون هناك مؤامرة لابد أن يكون محورها أكثر من طرف، أحدهما متآمر وآخر متآمر عليه وهو العدو المستهدف من وجهة نظر المتآمر وغالباً ما يكون الطرف المستهدف غافلاً عن نوايا الطرف المتآمر إما لعدم توقعه ذلك ، خاصة إذا كان المتآمر قريباً منه إن كانت المؤامرة على مستوى الأفراد ، أو لأسباب ربما تكون شخصية بحتة أو عرقية إذا كان أحد أطرافها ينتمي الى مجموعة معادية لمجموعته العرقية أو المذهبية أو السياسية التي ينتمي اليها ، خاصة إذا كانت تلك الجماعة تضغط عليه ضغطا شديداً لتنفيذ مآربها ، فيضطر تحت وطأة تلك الضغوط الى تنفيذ أوامرها في الوقت الذي لا يخطر على بال تلك الضحية المستهدفة حتى مثل هذا الافتراض .

ومن هنا نبه القرآن الكريم الى خطورة الاعتداء على الآخرين دون تثبت فقال الله تعالى في محكم كتابه " ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين" الحجرات:٦

أما الدول فإنها تستبعد أن يتآمر ضدها حليف لها أو دولة توجد بينهما وشائج ود كثيرة، ولكن الطرف المتآمر وتحت ظروف سياسية معينة قد يكون طرفاً في مؤامرة لا يتوقع الطرف المستهدف منه القيام بها.

جمع المعلومات : [٢]

إن عملية جمع المعلومات عن العدو المستهدف وعن الظروف المحيطة به كافة هي الخطوة التالية التي يسعى لتحقيقها الطرف المتآمر وتعتمد المعلومات المطلوبة على نوع المؤامرة التي يفكر بتنفيذها الطرف المتآمر ،كما تختلف المعلومات المطلوبة من حالة الى حالة أخرى ، فإذا كانت المؤامرة تستهدف فرداً فإنها تدور حول حياته الشخصية والاجتماعية والسياسية ومحل إقامته ووظيفته وعمله والأماكن التي يرتادها ، أما إذا كانت المؤامرة تستهدف مجموعة عرقية أو مذهبية أو سياسية فإن دائرة المعلومات المطلوبة تتسع لتشمل أكثر من طرف من أطراف المجموعة المستهدفة وأماكن تواجدها وعلاقاتها الداخلية والخارجية ووضعها المادي ومصادر تمويلها وشعائرها وطقوسها الدينية وأعرافها وتقاليدها.

وإذا كانت المعلومات المطلوبة تتعلق بشركة أو مؤسسة تجارية أو صناعية فإن المعلومات المطلوبة في هذه الحالة تبدأ من نقطة البحث عن متعاونين من داخل هذه المؤسسات ومحاولة اختراق أنظمتها الأمنية وأسرارها التكنولوجية.

أما إذا كانت المعلومات المطلوبة حول دولة معينة فإن مصادر المعلومات عنها يمكن استقاؤها من أكثر من جهة كالصحافة والإعلام والأفراد والسفارات والعملاء وحتى المواطنين المتعاطفين مع الدولة المتآمرة الذين لديهم استعداد لخيانة بلدهم لسبب أو لآخر بإقناعهم والتأثير عليهم لتنفيذ المؤامرة في وقت لاحق ، وإذا كان القائمون على حياكة المؤامرة يمثلون شعبة من شعب المؤامرات في دولة ما أو منظمة أو شركة فإنهم يسعون للحصول على معلومات تتسم بالوضوح بحيث تكون المعلومة سهلة الفهم ولا يشوبها أي لبس أو غموض كما يجب عليهم التأكد من أن المعلومة دقيقة بحيث يتم الحصول عليها من مصادر موثوق بها وغير مضللة وأن تكون بياناتها الرقمية والوصفية متطابقة مع الواقع إذ أن أية معلومة خاطئة ستؤدي بالتالي الى قرارات

خاطئة في الإعداد والتنفيذ. ويحرص المتآمرون على التركيز على نوعية المعلومة وملاءمتها لأغراضهم التي يسعون لتحقيقها ،كما يحرصون كذلك على تحديث بياناتهم بصورة مستمرة ووصولها اليهم في الوقت المناسب ، ثم يعمدون الى مراجعتها وتبويبها وتصنيفها والمحافظة عليها بأوعية خاصة، ثم استرجاعها ومقارنتها بغيرها من المعلومات حتى يتبين لهم مدى مصداقيتها وخلوها من المعلومات المغلوطة أو المدسوسة ثم البحث عن خونة أو متعاونين محتملين للتعاون معهم حالياً أومستقبلاً ،ويقوم المشرفون على جمع المعلومات بعد ذلك بتحويلها الى القسم المختص بوضع خطة المؤامرة. ويقع على هذا القسم العبء الأكبر في رسم خطة المؤامرة و الاتصال بأعلى المستويات المستفيدة من المؤامرة أو من يقوم مقامها بهدف رسم ملامحها الأولية وتكلفتها المالية وتسخير الأجهزة الأخرى لتسهيل تنفيذها . ويقوم بتلك المهمة مجموعة متخصصة ومفكرة ومدربة على ربط المعلومات بمواطن إيذاء العدو المستهدف ودراسة ردود الفعل المتوقعة له والنقطة التي تتوقف عندها الخطة المرسومة فإما المضي في تنفيذ المؤامرة الى آخر المطاف وتحطيم ضحيتهم تحطيماً شاملاً أو الاكتفاء بالوقوف عند نقطة معينة يستسلم فيها الطرف المستهدف ويرضخ لمطالب منفذ المؤامرة أو لجزء كبير منها ،ولذلك يسعى القائمون على تنفيذ هذه المرحلة على اكتشاف نقاط القوة والضعف لدى العدو المستهدف واختراق الضعيف منها للقضاء على روحه المعنوية والإقلال من فاعلية قوة عدوه.فمن يمتلك المعلومة يمتلك القدرة على تحديد كيفية محاصرة عدوه المستهدف،

إن التقدم في تكنولوجيا جمع المعلومات سريع جداً مما يخلق صعوبات متزايدة، أمام الحكومات للمحافظة على الأسرار الهامة للدولة فنجد مثلاً الإرشاد الالكتروني باستطاعته اختراق جدران المنازل مثلما تستطيع العدسات والكاميرات رصد جميع التحركات.

ويمكن جمع المعلومات بأدوات كثيرة ، ومن أهمها التجسس[٣] ، وقد يكون الجاسوس عاملاً بسيطاً أو أستاذاً أو جندياً أو مراسلاً أو وزيراً أو طبيباً... وقد يكون الجاسوس رئيساً لدولة وعميلاً في نفس الوقت لمخابرات أجنبية، وبما أن كلمة الجاسوس نالت السمعة السيئة فقد حاولت مؤسسات التجسس أن تلطف من هذه

التسمية فأطلقت على نفسها مسمى وكالات الاستخبارات أو مسميات مختلفةلاتمت الى التجسس بصلة ،ونرى أن جزءاً هاماً من المعارك الاقتصادية والسياسية والدبلوماسية اليوم تقع في قلب عملية التجسس.فنجد مثلاً أن التجسس الدبلوماسي [٤] أصبح شائعا حتى بين الدول الصديقة، وقد أثارت الاتهامات التي وجهتها كلير شورت وزيرة التنمية الدولية البريطانية السابقة الى المخابرات البريطانية بالتجسس على الأمين العالم للأمم المتحدة كوفي أنان قبيل شن الحرب على العراق زوبعة كبيرة في بريطانيا وفتحت ملف التجسس على البعثات الدبلوماسية في العالم وتداعيات ذلك على العلاقات الدولية.

وقد اقتحمت حرب الجواسيس كل ميادين الحياة من سياسة واقتصاد وصناعة وحتى كرة القدم فعملية التجسس تعتمد على جمع المعلومات التي تحتاج الى تكلفة مادية عالية ،وهي تعتبر الدم الذي يجري في شريان الآت التآمر والتآمر المضاد.

وللتجسس هدف وهذا الهدف ربما يكون بلداً، ومع اختيار الهدف يتم اختيار طريقة الحصول على المعلومات وبالتالي تحديد منطقة وإطار العمليات وتدار عملية التجسس بواسطة إدارة هذه الإدارة ولا تعرف عن نفسها في ظل غطاء معين، وقد يكون هذا الغطاء دبلوماسياً في مقر البعثات الدبلوماسية داخل البلاد، والتجسس البحت هو مؤامرة وتنظيم وطبقاً لما يقوله كوبلاند هناك أربعة أنواع أساسية من الجواسيس: المجند والمسهل والعامل في الظلام والعميل الذي لا يعلم وهو الشخص الذي يجمع المعلومات لصالح دولة أجنبية دون أن يعلم.

لقد خرجت الحرب الباردة من باب المخابرات الأمريكية والسوفييتية ودخلت من النافذة ، إذ خلعت ثياب الجندية وارتدت ملابس مدنية والقت بسلاح المعركة لتخطط لاستخدام لتمسك بأجهزة التنصت واللاسلكي والفاكس.

إذ أن التنصت [٥] يعتبر من أهم أدوات جمع المعلومات، وهو سلاح ذو حدين مرة يستخدم في التجسس وأخرى يستخدم كسلاح في مكافحة التجسس ، ومن أمثلة ذلك أن أعضاء الحزب الشيوعي البريطاني فوجئوا في عام ١٩٧٥ م بوجود أجهزة تنصت داخل مبنى الحزب أثناء عمليات الإصلاح والترميم. وفي نهاية السبعينيات شكت

حكومة إسرائيل من قيام إحدى السفن السوفييتية من تسجيل كل المكالمات السلكية واللاسلكية عند مرورها أمام شواطئ فلسطين.

ومن أشهر عمليات التنصت فضيحة ووترغيت[٦] التي اضطر فيها الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون أن يستقيل في ٨ أغسطس عام ١٩٧٤م، إذ اكتشف البوليس في الفندق أن هناك أشخاصا مزودين بأجهزة استقبال قصير الموجة وأجهزة تخاطب لا سلكي.

وأغلب ما يقال عن طرد الدبلوماسيين من البلدان المختلفة سببه التنصت واستراق السمع.

ولا تنسى الذاكرة عندما بكت جولدا مائير [٧] حزناً على مصير هبة سليم "عبلة كامل" الجاسوسة المصرية لصالح إسرائيل والتي وصفتها بأنها قدمت لإسرائيل أكثر مما قدم زعماء إسرائيل.

وعلى الرغم من تكاليف الحصول على المعلومات النادرة، فالدول تتحمل الأموال الطائلة للحفاظ على اسرار معلومات الأمن الوطني، فتجد الولايات المتحدة الأمريكية تنفق حوالي ٥,٦ مليار دولار سنوياً على فرض السرية على معلوماتها، ورغم مكانة وأهمية المعلومات تصبح مثل أي سلعة ذات قيمة مادية معرضة للجريمة بما في ذلك التخريب والسرقة والتعدي أو التشويه[٨].

مما يشجع ذلك استغلال الجواسيس في التعدي على المعلومات وإتلافها وتخريبها بعد الاستفادة الكاملة منها لعدم فضح أمرهم أو كشف هوياتهم.فأصبحت الدول بلا حدود في عصر تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، فالحدود السياسية أصبح من السهل اختراقها من خلال الأسلحة بعيدة المدى والتخريب الالكتروني وحيث لا حدود فضائية للدول أصبح من السهل اختراق الفضاء الخارجي لها والتجسس على النظام الداخلي لهاعن طريق أقمار التجسس وشبكات الاتصال.

فالمعلومات ثروة ذات قيمة عالية وثمينة مصدر مهم من مصادر الثروة في المجتمعات مما يجعلها عرضة للتهديد بصورة دائمة ، مما جعل البناء التحتي المعلوماتي يعاني من ثغرات أمنية، ولقد زاد الاهتمام باستهداف البنية التحتية

المعلوماتية الوطنية مع بداية التسعينيات لأن هذا الاستهداف من شأنه أن يؤدي الى اضطراب كبير في عمليات التواصل في مجالات المال والأعمال والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد.

فبإمكان استخدام فيروس[٩] معين عبر الإنترنت أن يهدد كل المستخدمين في كل الدول ومن الممكن أن يخرب نظم المعلومات الكاملة لأي جهة حكومية أو غير حكومية.ولذلك فإن الأمن الدولي من المنظور المعلوماتي يعني حماية البيئة المعلوماتية الكونية من كافة التهديدات الراهنة والمحتملة.

وإذا كان الإرهاب الفضائي قادماً فإن الإرهاب عبر الإنترنت قد أصبح حقيقة ويمثل اضطراباً أمنياً ولقد أصبح الجواسيس وجرائمهم الالكترونية شائعة من اختراق وتهديد وتبديد وانتقام وتنفذ هذ ه الجرائم مجموعة من المجرمين عن بعد، وقد زادت القرصنة والابتزاز والاحتيال في وقتنا المعاصر بكل دقة واحتراف.

مواطن الإيذاء :

وبعد أن يتم تحديد العدو المستهدف واستكمال مرحلة جمع المعلومات حوله تتجه أنظار المتآمرين بعد ذلك للبحث عن مواطن الإيذاء لتحطيم العدواً أو رضوخه ،ومن أهم الأمور التي يركز عليها هؤلاء المتآمرون في هذه المرحلة هي البحث عن الوسائل المناسبة التي يتم إيذاؤه بها. وهذه الوسائل تتنوع وتتعدد بحيث تشمل جميع الخيارات وفقاً لكراهية المتآمر والمدى الذي قد يكون مستعداً للوصول اليه بغية تنفيذ مؤامرته ونوعية الأذى الذي يريد أن يلحقه بالخصم،فقد يكون الأذى معنوياً بهدف تشويه سمعة خصمه والحط من مكانته وزعزعة الثقة به وتحطيم روحه المعنوية وهو أذى لا يستهان به قد يفقد الخصم مركزه الاجتماعي أو السياسي أو الديني أو الاقتصادي أو التاريخى

(ص٧٢) ذكر أهمية الزمان إلى جانب المكان (ص٦٦) الديني والتاريخي ومن القصص التي يمكن أن تدل على أهمية تشويه صورة شخصية تاريخية فلا تعود تذكر من مآثرها إلا الطغيان ولا من سيرتها إلا التفكه والتندر ونقصد بذلك قصة قراقوش والذي لايكاد الناس يعرفون عنه إلا القرارات التعسفية الظالمة التي تثير

السخرية والإستهزاء ،ولكن الواقع فإن قراقوش هذا كان عصامياً وكان أحد الأسرى الروم الذين هرب من العبودية ليستقر به المقام في الشام ليلتحق بجيش أسد الدين شيراكوه (٥٦٤هـ) والذي كان بدوره من أبرز قواد جيش نور الدين زنكي ، وقد أظهر شجاعة وفروسية نادرتين في الحروب التي شارك فيها وقد لقب بإسم بهاء الدين قراقوش بن عبد الله الأسدي . أما كلمة قراقوش فتعني النسر الأسود وأما الأسدي فقد جاءت نسبة إلى أسد الدين الذي لقب أفراد من جيشه الأشداء بالأسدية . وبعد وفاة شيراكوه انضم الأسدية ومنهم قراقوش إلى جيش ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي , ومرة أخرى اثبت قراقوش جدارته بل عبقريته ليس في ساحات القتال ضد الصليبيين فحسب ولكن في الإنجازات الهندسية وتشييد القلاع وبناء السدود والقناطر والأبراج والخنادق والأسوار ، كما كان أميناً على الأموال التي بين يديه مما كان له الأثر الأكبر في تثبيت دعائم الدولة .وقد استدعاه صلاح الدين للإستفادة من خبرته القتالية والهندسية اثناء حربه مع الصليبيين في عكا وظل صامداً ولكن الإمدادات والتعزيزات التي جاءت للصليبيين مكنتهم من المسلمين فأخذوه أسيراً إلى أن افتداه صلاح الدين .ولكن هذه المسيرة المشرفة تصدى لها أحد المتآمرين عليه لتشويه سمعته وهو الأسعد بن مماتي الذي كن رئيساً على ديوان الجيش وديوان المال اعمته الغيرة لقربه من صلاح الدين ومن سوء حظ قراقوش أن ابن مماتي كان أديباً وشاعراً متمكناً فألف كتاباً اسمه "الفاشوش في حكم قراقوش" وأهداه إلى صلاح الدين ولكن الكتاب لم يغير من نظرة الإعجاب التي كان صلاح الدين يكنها لقراقوش ، ولكن ما أن توفي صلاح الدين حتى تم ترويج حكايات التهكم والاستهزاء التي جاءت في الكتاب وتناقلتها الألسن والمنتديات فتشوهت سيرة ذلك العصامي الذي لم يعد يعرف عنه إلا جانب واحد هو سوء السمعة . وكم ظلم التاريخ أفذاذاً بسبب المؤامرات ، وقد يتعدى الأمر ذلك الى الأذى المادي كالاستيلاء على أمواله وثرواته أو حتى اغتياله، وإذا كان الخصم شركة أو مؤسسة تجارية فإن الخطط المرسومة قد تؤدي الى خسارتها وانهيارها وإفلاسها أو تصفيتها أما إذا كان الخصم دولة فقد يصل الأمر الى تدهور أحوالها الاقتصادية أو تمزيقها أو فقدانها استقلالها السياسي أو حتى استعمارها ومحوها من الوجود كلية.

ولا يقوم بهذا الدور دول أو مؤسسات فحسب ، بل قد يقوم به أفراد عاديون نجد أن أجهزة الأمن بوزارة الداخلية المصرية [١٠] كشفت سر المؤامرة والشائعات التي حدثت في الأوساط الطبية داخل وخارج مصر والتي أثرت سلباً على سمعة الدواء والمستحضرات الأخرى من الإنتاج المصري بهيئة المصل واللقاح وأثرت على الدخل والاقتصاد القومي خلال تلك الفترة وهز الثقة في المنتج المصري والحاق الضرر بعمليات التصدير والتسويق.

وتبين أن موظفاً بقسم المعلومات بهيئة المصل واللقاح قام بإنشاء موقعين للبريد الالكتروني يحملان الاسم التجاري للهيئة على شبكة الإنترنت وأرسل عبر الإنترنت الى الشركات العالمية والمتعاملين مع الهيئة ووكلائها رسائل تتضمن سباً وقذفاً وتشهيراً بالشركة وتخوفاً من منتجاتها وخاصة "الأنسولين"، وتم القبض على الموظف الذي اعترف بارتكابه الواقعة بسبب تأخير صرف مكافأته ١٥ يوماً والمعاملة السيئة التي زعم أنه تلقاها وزملاؤه من قبل رئيس مجلس الإدارة.

وعلى المستوى الدولي نسوق مثال :الحاجة الى المياه أوحرب المياه [١١]التي أصبحت واقعا ملموساكمثال على اختيار مواطن الإيذاء للابتزاز والمساومة ، ففي الوقت الذي تسعى فيه معظم بلدان العالم العربي الى توسيع الرقعة الزراعية لمحاولة الاكتفاء الذاتي لبعض السلع والمنتجات الزراعية والتي يقابلها استهلاك أكثر من المياه، نجد أن من يتربص به الدوائر يحيك المؤامرات ضده للحيلولة دون ذلك ، فالعالم العربي لا يستطيع التحكم في المياه الواردة الى أراضيه دون الرجوع الى دول أخرى قد لا تربطه معها أحياناً علاقات طيبة، وهذا أيضاً من أكبر مواطن الإيذاء الذي تتخذه إسرائيل ورقة مساومة لتخفيف الضغط العربي عليها والخروج من المقاطعة والعزلة العربية.

ولولا المؤامرات الإسرائيلية وأطماعها التوسعية واعتبار مصادر المياه العربية امتدادا لتلك الأطماع ووضع كل العقبات التي تحول دون تمكين العرب من استغلال مصادرهم المائية في التنمية الاقتصادية لأمكن استغلال المياه الاستغلال الأمثل ، ولكن ضغوطها المستمرة على وتركيا وأثيوبيا من أجل التحكم في حجم المياه المتاحة

للدول العربية عرقل كثيرا من مشاريعها ، وقد قال تيودور هرتزل في يوم من الأيام "إن المؤسسين الحقيقيين للأرض الجديدة القديمة هم مهندسو مياه فعليهم يتوقف كل شيء من تجفيف المستنقعات الى ري المساحات المجدبة وإنشاء معامل توليد الطاقة الكهربائية.

ومثال آخر هو : موقع منطقة الشرق الأوسط [١٢] الذي يقع في بؤرة تقاطعات وتشابكات جغرافية استرتيجية لمجموعة من البحار والممرات والخلجان البحرية ذات الأهمية العالمية.

وتستأثر مصر بمكانة الصدارة على مستوى الأهمية الجيوستراتيجية في هذه الأهمية ، مما جعلها هدفاً لكثير من المشروعات والمخططات السياسية والاقتصادية التي تهدف الى حصارها في نطاق محدد لتحجيمها أو ممارسة الضغوط عليها للاستجابة للإملاءآت المغرضة حتى يتم عزلها عن باقي الدول العربية.

وقد برز الى الوجود مشروع [١٣] تبين فيما بعد أنه مؤامرة إسرائيلية لالحاق الأذى بمصر ، وكان المشروع عبارة عن شق قناة إسرائيلية ما بين خليج العقبة والبحر المتوسط في المنطقة الواقعة ما بين ميناء إيلات وأشدود باعتبارها التصور العملي لنموذج بديل لقناة السويس. و كان هذا المشروع يحمل في طياته تهديد العصا وإغراءات الجزرة لمحاولة تجريد مصر من نقاط ومحاور ارتكازها الاقتصادية بما فيها قناة السويس، وبالتالي ستضطر قناة السويس تحت وطأة منافسة قطع الرقاب من القناة الإسرائيلية الى الدخول في حرب خفض رسوم المرور على نحو يهدد عوائدها المالية ، إضافة الى تأثر شبكة الطرق الدولية البرية والسكك الحديدية التي تعمل في خدمة نظم النقل الدولي المتعدد الوسائل والتي سوف يكون لإسرائيل كلمتها في تقسيم شطيرة النقل التجاري الدولي ساحبة البساط من تحت أقدام قناة السويس .

<u>رسم الخطط :</u> [١٤]

يشتمل التخطيط للمؤامرة على دراسة العدو المستهدف دراسة مستفيضة لاكتشاف نقاط الضعف عنده ومواطن الإيذاء المناسبة للإضرار به أو ابتزازه، ودراسة كافة الوسائل التي قد تكون مؤثرة لإحكام السيطرة الكاملة عليه ٠

ومنفذو الخطط هم مجموعة من المتخصصين المفكرين والمدربين على ربط المعلومات بمواطن الإيذاء وردود الفعل المتوقعة للعدو المستهدف ومرونة الخطة المرسومة ضده ، أي إما المضي في تنفيذ الخطة الى آخر المطاف وتحطيم العدو المستهدف تحطيماً شاملاً أو التوقف عند نقطة الإستسلام .

ويحرص المتآمرون على التخطيط الجيد الذي يتطلب منهم أن يعرفوا إمكانياتهم وإمكانيات خصومهم هجوما ودفاعا ، و تعتبر هذه المرحلة من أهم المراحل، فكلما كانت الخطة مبنية على دراسة دقيقة لكل الاحتمالات كلما كانت الخطة محكمة والنتائج المرجوة منها سليمة، وبقدر ما تصاحب الخطة بدائل ممكنة كلما كانت الخطة محكمة ومرنة وقابلة للتنفيذ ومحققة للأهداف فالتخطيط المحكم للمؤامرة يتطلب تحقيق الممكن من الهدف المنشود ، وفي مرحلة التخطيط للمؤامرة يتم الحرص على أن تكون دوافع وأسباب حياكة المؤامرة ، سواء كان ذلك في مرحلة التخطيط أو في مرحلة التنفيذ واضحة ومحددة لدى جميع الأفراد والجماعات والدول المشاركة في المؤامرة ، وأن يكونوا جميعاً على استعداد لتحمل ما يمكن أن تسفر عنه المؤامرة من مغرم أو مغنم ٠

وتعتبر معرفة كل شيء عن الطرف الآخر من أهم مراحل التخطيط للمؤامرة، فليس هناك من يستطيع أن يدبر أو يحبك مؤامرة ضد طرف لا يعرفه.ولعل المعرفة بالطرف لآخر تتطلب من المتآمر:

١ – تحديد الهدف المنشود من وراء المؤامرة بوضوح.
٢ – تحديد الوسائل اللازمة لتنفيذ المؤامرة .
٣ – تهيئة الظروف المناسبة لتنفيذ الخطة بكفاءة.
٤– الواقعية والتفرقة بين ماهو ممكن وبين أحلام اليقظة والخطط الوهمية والطموحات الخيالية.
٥ – الأخذ في الاعتبار المستجدات المتوقعة والبدائل المناسبة لها.

السرية :

تلعب السرية دوراً كبيراً في التخطيط للمؤامرات بل إن دولاً قامت وأخرى اضمحلت بسبب لجوء الطرف المغلوب الى السرية ، والسرية عنصر مهم من عناصر المؤامرة بل إنها من أهم عناصرها على الإطلاق، فإذا ما انتفى عامل السرية افتضح أمر مدبريها ومنفذيها وفقدوا عنصر المباغتة والمفاجأة ، إذ أن من سمات المؤامرة أن يأخذ المتآمر خصمه على حين غرة حتى لا يشعر بالخطب الجلل الذي سيحيق به. وقد يموه المتآمر الأمر على خصمه فيخلق من حوله بيئة إعلامية أو سياسية تشعره بالاطمئنان والركون الى الدعة والاسترخاء حتى يتسنى له أن يسدد ضربته القاصمة التي تفقد الخصم توازنه أو قدرته على التفكير والتعامل مع الأزمة التي تحيق به فتشل تفكيره وتفقده القدرة على القيام برد فعل مناسب ، وغالباً ما يكتشف الضحية وهو يعاني سكرات الموت أو يتجرع مرارة الغدر أنياب أعداء كان يظنها بالأمس ابتسامة أصدقاء. وعادة ما يتم تداول الخيوط الأولى للمؤامرة وهي في مرحلة التخطيط و الى ما بعد مرحلة التنفيذ بأقصى درجات الكتمان والسرية، وهكذا تظل المؤامرة محصورة بين أشخاص محدودين ، ويستبعد من قائمة المشاركين فيها الثرثارون ،حتى وإن كانوا من أكبر المستفيدين من تنفيذها لكي لا تتكشف المخططات فيأخذ الطرف الآخر حذره واحتياطاته ، مما يؤدي الى فشل المؤامرة .

وتشتمل قائمة السرية على عناصر عديدة ابتداءً من المتآمر ذاته مروراً بالأطراف المتواطئة معه والمنفذة لمؤامرته وانتهاءً بأدوات المؤامرة أو الصاق المؤامرة بطرف غير ذي صلة بالمؤامرة.

لقد حافظت الولايات المتحدة على السر النووى [١٥] حتى على الرئيس الامريكى نفسه (هارى ترومان) برغم أن عشرات الآلاف من الأشخاص كانوا يشتغلون فى بناء القنبلة الذرية عدة سنوات فظل هذا السر الأكثر حماية بين أسرار الحرب لكن الكشف عن وجود السلاح النووى كان يمكن إستخدامه كسلاح للردع بدل من إستخدامه فى ٦أغسطس ١٩٤٥ على هيروشيما وبعد ذلك بيوم واحد ألقيت على ناجازاكى اليابانية ووجدنا فى نهاية الأمر أن فرط التعتيم والسرية والقدرة والوسائل القتالية تنطوى أحياناً على ضرر أكثر من الفائدة .

وتجدر الملاحظة هنا الى أن المؤامرة التي يقوم بها فرد لا تختلف في أركانها عن المؤامرة التي يقوم بها أطراف عدة باستثناء اختصار بعض الخطوات التي تحتاج اليها المؤامرة متعددة الأطراف والأشخاص ، فالمؤامرة الفردية يكون صاحبها هو المرجع والمخطط والمنفذ ، الأمر الذي يجعل مؤامرته أكثر سرية وأكثر طمسا لمعالمها.

وهكذا فإن السرية والمؤامرة تلعبان دوراً متلازماً في تكوين مذاهب وممالك وإزالة أخرى. فعند استعراض أحداث التاريخ تجد أن الحركات السرية أبادت دولاً لم يكن بالإمكان التعرض لها مباشرة وأن السمة الغالبة هي أن كل حكم أو فكر بائد يحتمي بالسرية ليتآمر على الحكم السائد في انتظار الفرصة المناسبة لتولي زمام الأمور.

المحاكاة والتنفيذ:

بعد أن يتم تحديد العدو المستهدف ورسم الخطة المناسبة للتآمر عليه واختيار مواطن إيذائه ، يقوم فريق التآمر بعد رسم خطة المؤامرة بمراجعة المستفيد من تلك المؤامرة أو الطرف الذي كلفه بالإعداد لها أو من ينوب عنه لإطلاعه على تفاصيلها وكيفية تنفيذها والوسائل التي سيتم بها تنفيذ المؤامرة ثم يقدم له قائمة بالمتطلبات المادية واللوجستية والسياسية لتنفيذ تلك المؤامرة وكذلك للتعرف علىمدى مقدرته على تحمل تكلفتها وتبعاتها في حال فشلها ، أو المكاسب التي سيجنيها جراء تنفيذ المؤامرة في حال نجاحها.

وبعد أن يتم لأطراف المؤامرة الاتفاق على تفاصيلها الدقيقة ينتقلون بعد ذلك الى مرحلة المحاكاة وهي المرحلة التي يتم فيها محاولة تطبيق المؤامرة نظرياً ، وذلك بمراجعة الخرائط والمخططات وتزوير الوثائق الشخصية لانتحال منفذي المؤامرة صفة شخصيات تبعد الشبهة عن المتآمر الحقيقي، ويتم في هذه المرحلة تفقد الأماكن على الواقع وإعداد مسرح المؤامرة وإجراء تنفيذها وهمياً لاكتشاف العقبات التي يمكن أن تطرأ أثناء تنفيذ المؤامرة وقد تطورت وسائل مراجعة الشوارع والطرق والأماكن بعد استخدام الإنترنت ووجود مواقع جغرافية [١٦] تساعد الباحثين في أبحاثهم ، وقد بدأ المتآمرون يستفيدون من تلك المواقع حيث أن بإمكانهم بواسطة الرجوع الى هذه المواقع اكتشاف

الأماكن وحتى المنازل والسيارات في الشوارع في أي مكان في العالم، فيستطيعون إجراء التدريبات ومضاهاة خططهم بشكل نظري مع الواقع الذي يشاهدونه على صفحات تلك المواقع وهم في أوكارهم دون الانتقال الفعلي الى مسرح المؤامرة وفي هذه المرحلة أيضاً يتم التأكد من المسافات الحقيقية وما إذا كان هناك أية منشآت أو أعمال حفر أو تعديل في مسار الاتجاهات والطرق حتى لايتفاجأ منفذوا المؤامرة بمستجدات لم تخطر على بالهم أو لم يحسبوا لها حساباً.

ومنذ لحظة الانطلاق الفعلي لتنفيذ المؤامرة الى مرحلة حساب النتائج والخسائر في حال فشل المؤامرة أو نفاذ المتآمرين بجلدهم في حال نجاحها ، يحبس المتآمرون أنفاسهم ويتابعون مجرياتها عن كثب ويهيئون أنفسهم لإعطاء أوامر اللحظات الأخيرة بعد أن اتخذوا قرارهم وكلما قطعت مؤامرتهم خطوة الى الأمام يبدءون بمراجعة الخطوة التالية حسب خطة تنفيذ المؤامرة التي أعدها لهم مخططوها إذ أن نكوص أحد الضالعين في تنفيذ المؤامرة أو حدوث خلل عند تنفيذها قد يسبب لهم حرجاً وربما فقدان أرواحهم.

<u>الخداع والتضليل</u> [١٦]

كما يستفيد المتآمرون من كل ما أعدواله العدة لمثل هذا اليوم ومن العمليات والخطوات التي سبقت مرحلة التنفيذ مثل الخداع والتمويه والتضليل ولنضرب مثالا على ذلك القضية الفلسطينة العادلة التي ناضل الجميع من أجلها بشتى الوسائل ، الا أن الكاتب أحمد صالح يقول في مقاله: إن بعض المنظمات الفلسطينية ومؤسساتها تعرضت لاختراقات ومؤامرات عدة طيلة مراحل جهادها ولم تنتبه قيادتها اليها ولم يتم الكشف عنها الا من قبل من حاكوا هذه المؤامرات أنفسهم، والقصة تبدأ مع رجل الماني هو الدكتور "**ماركوس وولف**" الذي عمل مديرا للمخابرات في المانيا الشرقية لمدة (٢٥ عاماً) ، وفي تلك الفترة عمد ذلك الرجل المهم على تقوية علاقاته وصلاته مع المنظمات الثورية في الشرق الأوسط وأهمها آنذاك الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

والجبهة الديمقراطية، واستطاع هذا الرجل إقناع القائمين على تلك الجبهات بتحويل أفكارهم الثورية الى هجمات انتحارية توجه نحو المدنيين في أوروبا، ولم تدرك القيادات الفلسطينية آنذاك أبعاد تلك المؤامرة ولا النتائج الوخيمة التي شوهت صورة الفلسطيني في العالم وحولته من صاحب قضية عادلة احتلت أرضه واغتصبت دون وجه حق الى إرهابي وقاتل كل همه وتفكيره وطموحه قتل مدنيين عزل أبرياء ليست لهم أدنى علاقة بما يحدث في فلسطين سوى أن ساستهم وحكوماتهم الحالية والسابقة ساندت الإسرائيليين في تمكينهم من احتلال فلسطين أو مساندتهم في المحافل الدولية أو حتى سكوتهم وعدم تأييدهم للكفاح الفلسطيني والمحصلة كانت أن أفرادا من بعض تلك الحركات الثورية الفلسطينية وقعوا في فخاخ تلك المؤامرة، فخطفوا الطائرات وفجروا أماكن هامة وسقط من جراء ذلك الكثير من الأبرياء ، وفي أوروبا تحديدا ومع سقوط أولئك القتلى والجرحى ، تهاوت السمعة العربية وكره العالم الثورة الفلسطينية.

ولم يتم اكتشاف تلك المؤامرة الى عند اختفاء سر ذلك الرجل مدير المخابرات في المانيا الشرقية الدكتور "ماركوس وولف" الذي انتهى عمله مع سقوط جدار برلين والنظام الشيوعي بالمانيا الشرقية ، وباختفائه أثيرت الكثير من التساؤلات عن الرجل وأين اختفى؟ وأين ذهب ذلك الرجل الذي كان مسانداً للقضية العربية؟ وأين إدعاؤه وزعمه بأنه خصم لدود لإسرائيل الذي أقنع به الثوار الفلسطينين للجوء الى هذه الطريقة في سبيل القضيةالعادلة.

وبعد تقصى الحقائق، اكتشف الثوار الفلسطينيون لاحقاً أن هذا الرجل كان موجودا في إسرائيل بعد اختفاء النظام الشيوعي، ولم يكتشفوا ذلك فحسب، بل اكتشفوا أيضا أنه نال المواطنة الإسرائيلية وهنا طرحت التساؤلات مع من كان يعمل مع هذا الرجل ؟ ولحساب من؟ ولماذا استضافته إسرائيل وأغدقت عليه الكثير من رفاهية الحياة ووفرت له بحبوحة العيش ؟، وفجأة أفاق الفلسطينيون على وقع تلك المؤامرة التي دبرت لهم وحقيقة هذا الرجل وصلته القوية بالمخابرات الإسرائيلية هذه صفحة من صفحات التاريخ وإن كان تم نسيانها الا إنها ستبقى درسا شاهدا على كيفية التغلغل في البنيان الفلسطيني وإمكانية اختراق منظماته الثورية واستدراجها الى فخ المؤامرات التي لم يستطيعوا كشفها الا بعد وقوعهم في فخاخهاوالحقيقة أن إسرائيل هي التي كانت وراء

تدبير تلك المؤامرة وهي التي دفعت بهذا الرجل الى نصب الفخاخ ، وكان الهدف من تلك المؤامرة هو تحويل مشاعر الشعوب الأوروبية التي بدأت تتعاطف مع مأساة الشعب الفلسطيني وتتجاوب مع قضيته وتسانده بوساطة المنظمات الأهلية، وكانت المؤامرة المرسومة من قبل الإسرائيليين هي تحويل الأنظار الأوروبية عن الفلسطينيين بعد أن اكتشفوا زيف الادعاءات الإسرائيلية وعنصريتهم وعدوانيتهم الشرسة تجاه شعب أعزل، وكانت تلك المؤامرة هي المصيدة التي وقع فيها بعض فصائل الثورة الفلسطينية و التي نجحت في تحويل تعاطف الشعوب الأوروبية بعيدا عن الفلسطينيين بعد أن طالت الاعتداءات معظم هذه البلدان، فتبدل شعورهم من تعاطف الى غضب وسخط تجاه الفلسطينيون،و قد تم اكتشاف هدف المؤامرة وهو عقاب للمتعاطفين مع الفلسطينيين من الأوربيين بتفجير بلدانهم من جهة ومن جهة أخرى خسارة الفلسطينيين لجماعات كانت تؤيدهم في العالم ، وخاصة أوروبا ، صحيح أنه تم حل لغز ذلك الرجل مدير المخابرات السابق في المانيا الشرقية لكن بعد فوات الأوان.

ودروس التاريخ كثيرة ومليئة بالمؤامرات السياسية، ولكن المهم من يقرأ أو يتوقف عندها موقف المحلل النابه الذي يدق ناقوس الخطر قبل فوات الأوان، واللغز الآخر أو المؤامرة الأخرى حدثت في تركيا وبطلها شاب تركي مسلم يسمى "الكارشنار" [١٧] وقد نجحت الكنيسة التركية في تنصيره، وبعد أن دخل الكنيسة ترقى فيها الى أن انتهى به المطاف الى أن يصبح راعي كنيسة طرطور البروتستانتية التركية، كما كان مشرفاً على أربع كنائس هي (فان – تبايس – هيكاري – شرنان) وتقع كلها في جنوب تركيا ، واستمرت حياته خادما يعمل جهده لرفعة شأنها، ولكن لسبب ما قدر لهذا الرجل أن يعود الى جذوره فاتخذ القرار المهم وهو العودة مرة أخرى الى الإسلام بعد اكتشافه أنه فرط بالدين الحق و كان مجرد أداة لضرب الإسلام ، ولم يكتف بذلك ، بل قرر أن يكون إيجابياً بفتح الملف في لقاء مع صحيفة (بيني شفق) التركية لأنه كان يعرف الكثير من الأسرار كراع للكنيسة وأراد أن يكفر عن خطأه فأدلى ا بتصريحات خطيرة هزت الأوساط السياسية والدينية هناك حيث أكد أن نشاطه التبشيري في تركيا كان بمعرفة و بمساندة مباشرة من الدبلوماسية الأمريكية، كما أنه قابل في حياته كثيرا من خبراء ال (**C.I.A**) الذين طالبوه بممارسة نشاطات تبشيرية

داخل الأوساط الإسلامية التركية ، وأمدوه بكل ما يحتاج له من نسخ الإنجيل والأموال لنجاح عمله التبشيري، ولولا أن الله عز وجل أراد أن يحل لغز ذلك النشاط التبشيري في تركيا والذين يقفون وراء ه بعودة ذلك الرجل الى الإسلام واستعجاله بالتصريحات قبل أن يكتم لسانه ويخرس نهائيا ، لما عرف أحد شيئا عن هذه القضية التآمرية، ولما تم اكتشاف هذا اللغز.

هكذاهي السياسة مليئة بالمؤامرات والالغاز وهناك عنصران أساسيان قادران على كشف هذه المؤامرات وحل تلك الالغاز هما والإنسان، الزمن .

التبريـــــر :

ويعتبر من جوانب المؤامرة المهمة فالتبرير رغم عدم انتباه الكثيرين اليه الا إنه يكاد أن يكون صنو كل مؤامرة ناجحة أو فاشلة، دولية أو جماعية أو فردية وهو لا يأتي كتصرف عابر ولكن مرحلة التخطيط للمؤامرة التي أسلفنا ذكرها تشتمل على تهيئة ذهنية مسبقة أو مصاحبة أو لاحقة لتنفيذ المؤامرة ويراعى فيها أن تصلح لحالتي النجاح أو الفشل ، فعند النجاح لا يكتفي المتآمرون بالضرر الكبير الذي يلحق بالخصم بل إنهم يبررون ما لحق به من أذى على أنه من صنع يده أوأن غضبة شعبية أو عيباً فيه أو إهمالاً منه هو الذي أدى به الى تلك النتيجة وفي أحياناً أخرى يكتفون بالصمت المطبق وكأن الأمر لا يعنيهم من قريب أو بعيد وأن ما لحق بالطرف المتضرر هو شأن داخلي أو عائد الى سلوكه المشين أو ربطه بأسباب بعيدة عن توجيه أصابع الاتهام للمتآمرين ، بل إنهم أحياناً يمشون في جنازته يذرفون الدموع عليه ، يأبنونه ويذكرون مآثره ومحاسنه بعد أن كانوا للتو قد غسلوا أيديهم من دمه وسلوك النفاق هذا سلوك مرسوم بدقة يصاحب المؤامرة أيضاً من أولها الى آخرها وهو سلوك الخداع والإيهام والمراوغة التي يجيدها صناع المؤامرات حتى يغرق المراقبون والمتعاطفون مع الضحية في بحر متلاطم من التكهنات والافتراضات والتفسيرات التي يقذف بها المتآمرون الى ساحات النقاش والتفسيرات عبر وسائل الإعلام المختلفة أو المنتديات والجماعات أو الأفراد المندسين مسبقاً بين فريق الضحية.

وليس هناك من شك أن معظم أسباب الحروب في التاريخ يرجع معظمها الى أسرار خفية والحرب العالمية الثانية لم تخرج عن هذا النطاق.

وقد صارح هتلر[١٨] كبار معاونيه قائلاً "سوف تخلق لي الدعاية السبب اللازم للحرب ولن يجرؤ أحد في المستقبل على سؤال المنتصر" فقد كان واثقاً من قدراته ولم يعد أمامه سوى العثور على المبرر الحقيقي للحرب والذي يعلم هو ومخابراته بأن الخدعة هي سلاحه الثاني الذي اعتمد عليه عندما تم تكليف ضابط المخابرات الملازم "الفريد هلمنت نوجوكس" وهو أحد الأعوان المقربين لرئيس جهاز الأمن السري في فرقة الـ S.S النازية الخاصة بهجوم مفتعل على محطة إذاعة "غلوتيز الالمانية" من الحدود البولونية بعد ارتداء الملابس العسكرية البولونية في يوم ٥ أغسطس ١٩٣٩ م،وذلك بصورة يكفل معها حصول القيادة الالمانية على البرهان الكافي للهجوم على بولونيا ،وقد أطلق على هذه العملية "الأطعمة المحفوظة" وبالفعل كما تم التخطيط بكل دقة للعملية حيث بدأ التنفيذ بمهاجمة الإذاعة واحتلالها لفترة وجيزة ومن ثم إذاعة بيان بصوت الماني يقول أن المانيا احتلت بولونيا ففي اليوم الأول من سبتمبر عام١٩٣٩م قام الجيش الالماني باجتياح الحدود البولونية بمئات الدبابات ومن خلفها أكثر من مليون جندي تغطيهم ٢٥٠٠ طائرة حربية، وكانت المفاجأة لجيش الدفاع البولوني ولم يستطع القيام بأية عمليات دفاعية سوى البعض منها وقد مني بالفشل.

وقد أذيع البلاغ الحربي على الشعب الالماني في الوقت الذي دخل فيه الجيش الالماني بولونيا مدعياً البيان العسكري بفتح القوات البولونية النار على الجنود الالمان مما اضطر الجيش الى الهجوم وذلك للدفاع عن أراضي الوطن وكانت الة الدعاية هي أهم أسلحة هتلر في هذه الحروب الكفيلة بحمل الجماهير على اعتقاد ما يشاء لها.

لذلك لم تصدق شعوب العالم أذنيها لهذا الغزو الذي كان يسبق تصريحات هتلر بالسلام والوئام ورغبة شعب المانيا في تجنب الخلافات مع جيرانه طالبا منهم حسن الجوار والصداقة والعلاقات الودية ولم يعلم أحد أنه يعد في الخفاء لضربته الكبرى فكان في أوج هذا للعالم يرفع غصن الزيتون.

وقد قدرت لتلك الرصاصات من قبل الضابط "نوجوكس" أن تكون ابتداء الحرب العالمية الثانية والتي امتدت كالنار في الهشيم حتى أغرقت العالم بالدمار والهلاك وملايين القتلى. (١٩)

أدوات التآمـــر :

لتحديد المقصود بأدوات المؤامرة، يجب علينا أن نبين أنها الوسائل التي يلجأ اليها المتآمر أو المتآمرون لتنفيذ مؤامراتهم ، ولا شك أن أساليب أو أدوات تنفيذ المؤامرة تعتبر من أهم العناصر لتحقيق أهداف المتآمر أو منفذ ي المؤامرة، فكل نوع من أنواع المؤامرات يحتاج لأدواته الخاصة وأسلوبه الذي يؤدي الى الوصول الى غاية منفذ المؤامرة فمثلاً المؤامرات الاقتصادية والعسكرية تركز على التجسس ، والمؤامرات السياسية تحتاج الى الفتن والاضطرابات ، والمؤامرة الإعلامية تلجأ الى الدعاية والشائعات ، كما أن أدوات المؤامرة الفردية قد تختلف عن أدوات المؤامرة الجماعية أو الدولية ، وإن شئنا أن نعدد بعض أدوات التآمر فهي كثيرة ويصعب حصرها في بحث واحد ،ولكننا سنحاول أن نضرب بعض الأمثلة التي من شأنها أن توضح الفكرة بشكل عام .

غسيل الدماغ :

إذا كانت المؤامرة موجهة للتأثير على الغير من أجل تغيير المعتقدات وتسخيرهم للقيام بأغراض تخدم أهداف المتآمرين ، فإن هناك قناعة عند المتآمرين في مثل هذه الحالة أن فكر الإنسان يمكن صناعته كما يصنع اللبن الرائب والملابس، وبالتالي فإنه لا يجب التردد في الإقدام على ذلك لأن من طبيعة البشر أنهم سوف يتقبلون في النهاية كل ما يقدم اليهم من معلومات أ و حقائق أو غيرها ، وبناء على ذلك فهم يخططون لنشر معلومات تؤثر في الطرف المستهدف من خلال الدعاية أو وسائل الإعلام المختلفة ، وسلاحهم هنا ليس أدوات الحرب المعهودة ولكنه الرسالة المبثوثة التي يوجهها صاحبها المستفيد منها وكيفية تأثيرها في المتلقي.

وإذا ما طبقنا ذلك على الأمور العسكرية والأمنية ، فإن هذه الأداة تعتبر من أقدم الأدوات المستخدمة في الحروب وفي التأثير السلبي على العدو، وهي تعرف بالحرب النفسية التي يحاول منفذوها الالمام بكل شيء عن عدوهم وعن معتقداته ومواطن رغباته وضعفه وقوته وثغراته بقصد سرعة التأثير على سلوكه وتحطيم روحه المعنوية.

ومثال ذلك [٢٠] : ما يتعرض له سجناء المعتقلات السياسية الذين غالبا ما يتم القبض على أحدهم في منتصف الليل ثم يقاد معصوب العينين الى جهة لا علم له بها ، ولا يترك للسجين أي راحة ولكنه يستدعى بصفة مستمرة للاستجوابات لا بإسمه بل برقمه تحت الأضواء القوية المسلطة عليه ، فيضطر الى أن يصف نفسه برقمه لا بإسمه، ويشعره السجانون بالطفولة في أفعاله فيأخذ حق الإذن في الذهاب الى "دورة المياه" وكثيرا لا يستجاب لطلبه. وحتى العمل الذي يكلف به يكون عملاً مضنياً كحمل بعض الصخور من مكان الى مكان آخر ثم توجيه الأمر اليه لإرجاعه الى المكان الأول مرة أخرى، فيصبح السجين أكثر خضوعاً تحت ضغط الخطر والتهديد الذي يحيط به فلا يشعر الا بالفزع والإرهاب ، ولا يسمح له بحمل الساعات ليفقد القدرة على تمييز الوقت فيشعر بالضياع ، ومن هنا لا تبقى لدى هذا السجين الا حرية الاختيار بين الحياة والموت وبذلك تشل ذاته، مما يؤدي الى حدوث تحولات جذرية في شخصيته ويصبح هذا السجين عجينة في يد سجانيه يتم تشكيلها كما يريدون ، فتتحطم هويته القديمة نهائياً ويصبح ضحية للعملية المخطط لها والتي تتم خطوة خطوة وتسلب الإنسان شخصيته وتعريها وتجعل منه عبداً لمريديه أو مجنديه، وهذه الحالة من الارتداد النفسي هي التي تهيئ الظروف لتجربة التحول ويكون مستعدا في هذه اللحظة للاعتراف بجرائم لم يرتكبها ولكنه يخترعها لنفسه ويرسم خيوطها من وحي خياله .

ويمكن استخدام هذه الأداة في تغيير شخصية الفرد بهدف السيطرة على عقله بوسائل فسيولوجية أو ميتافيزيقية ، وهي العملية التي تسمى بعملية غسيل المخ "الدماغ" عن طريق إعادة البناء الذهني أو التكتيك السيكولوجي له وتوجيهه لغايات مرسومة بعد أن يجردمن ذخيرته الفكرية القديمة ومعلوماته ومبادئه ثم إعادة تشكيله مرة أخرى وتحويل إيمانه بعقيدة كان يعتقد بهاما الى كفر بها ثم الإيمان بنقيضها ، ومن أهم أهداف

غسيل المخ هو تحطيم الفرد معنويا وتحطيم التمييز لديه وتذبذبه بين الشعور بالبراءة والذنب ، وبين الحقيقة والخيال حتى تنهك قوته رويداً رويداً عن طريق إضعافه بدنيا ونفسيا ومعاناته من الالم والحرمان والتحقير والإذلال والتهوين من شأنه.

وإذا ما تم استخدام هذا الأسلوب من قبل أفراد أو جماعات ضالة أو منحرفة أو جهات معادية لوطنه أومجتمعه فإنه يصبح على استعداد أن يكتسب عقائد مخالفة لبيئته وتقاليده ، بل وحتى يصبح عدوا لوطنه وأهله وذويه.

ويصف بعض المحللين الشخص هنا بأنه يموت ثم يولد من جديد في الصورة المحددة له وتتحطم هويته القديمة، وفي لحظة الانهيار والاستسلام الكامل يتم إنقاذ الذات بالأمل في ميلاد جديد عن طريق الإصلاح الفكري والسيطرة الكاملة على انفعالاته وتصرفاته بعد أن يتم عزله تماما عن العالم الخارجي، وبالتالي فإن تقبله لفكرة ذنب مزعوم أوغير حقيقي ارتكبه في حق غيره يدل على نقطة اللاعودة، وباختصار فإنه يمكن وصف هذا الأسلوب بأنه أحد أساليب الضغط والتدمير النفسي يقوم بها طرف ضد طرف آخر لنشر الخوف والرعب وإثارة الشك في نفسه ويتشابه منطق منفذ المؤامرة مع مقولة مكيافيللي :

" الغاية تبرر الوسيلة " فأياً كانت الوسيلة فهي سلاح يستخدمه المتآمر للتأثيرعلى سلوك غيره بهدف التحكم به والسيطرة الكاملة عليه لتنفيذ مخططاته ، ولا مانع لديه من استعباده لكي يطيع أوامره وينفذ مطالبه .

وقد تبين أن أكثر الأعمار تقبلاً لهذه العملية هم الشباب والمراهقون فهم يكونون جماعة صالحة للميلاد الأيديولوجي قابلة للتشكيل والتوجيه بطريقة محكمة وملائمة للمتآمر.

ومن أمثلة ذلك ما كان يقوم به من كانوا يسمون بالحشاشين[٢١]

غسيل الدماغ ويجدر بنا هنا أن نأتي على ذكر طائفة ضالة ألحقت الضرر الكبير بالمسلمين واغتالت قيادات إسلامية جاهدت ضد المغول والصليبيين ، هذه الطائفة هي طائفة الحشاشين الذين اشتق الأوربيون من إسمهم مصطلح " المغتال " assassin " "حشاشين و"اغتيال" assassination. وتبدأ قصة هؤلاء مع رجل جاء من فارس وحمل في نفسه الأحقاد على المسلمين وإسمه الحسن الصباح وكان صديقاً للشاعر

عمر الخيام ولنظام الملك وزير السلطان ملك الشاه، فأحسن إليه نظام الملك وقربه من السلطان ، فلما تمكن وأصبح ذا مال وجاه حاول الوشاية بصديقه نظام الملك عند السلطان ولكنه أنكرعليه غدره بصديقه الذي أحسن إليه وتشكك في نواياه ففر إلى مصر حيث كان العبيديون (الفاطميون)يحكمون مصر آنذاك بما كانوا يتبنونه من أفكار ضالة فتشرب أفكار الحاكم بأمر الله الذي ادعى الألوهية في آخر أيامه . ومن مصر انطلق إلى الشام حيث تظاهر بمحبة آل البيت ليكسب قلوب الناس فالتف الناس حوله فبدأ بعد ذلك ينحرف بهم إلى مفاهيم إلحادية مما أثارالناس والحكام المماليك ضده والناس عليه فلجأ إلى منهج إرهابي يغتال به معارضيه وأعداءه مبتدئاً بنظام الملك صديقه القديم لينتقل بعد ذلك إلى اغتيال كل من يقف بوجهه، وقد ظل يدرب فرق الإغتيال التي نجحت في نشر الرعب بين الدول والممالك الإسلامية ومواطنيها المعارضين له ،فكيف تمكن من السيطرة على أتباعه ليضحوا بأنفسهم في سبيل تنفيذ مؤامراته؟ والجواب هوغسيل الدماغ حيث كان يعمد إلى غسل عقول أتباعه حتى يسيطر عليهم فلا يعصون له أمرا .كان هو وأتباعه يربون الأطفال والأغرار والناشئة من أبناء طائفتهم الباطنية على احتقار الدنيا والزهد فيها والمخاطرة والتضحية بالنفس وتنفيذ أوامر الاغتيال الصادرة من شيخ الجبل كشرط للفوز بنعيم الجنة ، وإمعاناً من الحسن الصباح وأتباعه في غسل أدمغة هؤلاء المغرر بهم كانوا يسقونهم شراب القنب وهو نوع من أنواع الحشيش ، فإذا ماغابوا عن وعيهم نقلوهم إلى حدائق كانوا قد زرعوها بالقرب من المناطق المحيطة بقلعة الموت وغيرها من القلاع التابعة لهم ، فلا يشعر الشاب منهم إلا بالحدائق ، الغناء ، الأشجار الوارفة الظلال ، الفواكه المتنوعة ونبات الحشيش المخدر فيسقونه الخمر في كؤوس مذهبة ويحيطونه بالفتيات والجواري الجميلات ويسمعونه الأنغام الشجية فإذا ماتمتع بهذا الشراب المخدر والخمر المسكر وأدمن على هذا النعيم الزائف وغاب عن وعيه يتم نقله مرة أخرى إلى حيث كان قبل نقله إلى ذلك النعيم المصطنع ، وحينما يصحو مما هو فيه يجد نفسه أمام شيخ الجبل وهو زعيم الطائفة الذي يبادره بشرح مامر به وبأن ما رآه كان الفردوس المقيم الذي ينتظره إذا ماأطاع أوامره واغتال من يأمره باغتياله فلا يملك ذلك المدمن الولهان إلا تنفيذ أوامره حتى ينتقل إلى ذلك النعيم الذي ينتظره في

الآخرة والذي وعده شيخ الجبل به والذي عاش بعض ملامحه، فل عجب أن تجد الحشاش منهم يغمد خنجره في قلب ضحيته ولا يهرب من مكان جريمته حتى يقبض عليه فيقتل ليدخل جنته الموعودة .

الاغتيالات السياسية : [٢٢]

تعتبر الاغتيالات من أكثر الأدوات شيوعا على مر التاريخ ،ولكن الإنسان العادي لايلقي لها كثير بال لأنه يعتبرها من الأحداث السياسية التي ربما يتفاعل معها مؤقتا أو يتجاهلها جزئيا أو كليا وربما يعود السبب في ذلك الى أن موضوع الاغتيالات لايمسه بشكل شخصي ، وتعود خطورة الاغتيالات الى أنها تشمل شريحة مهمة من شرائح المجتمع فيتعرض لها رؤساء الدول ومجموعة مستهدفة من السياسيين ورجال الدين والصحفيين والكتاب والمفكرين وحتى الناس العاديين ،كما تضم قائمة الفئات المعرضة للاغتيال المجموعات المتنافسة من العصابات ورجال الأعمال وكذلك عمليات الانتقام و الثأر الفردية والعشائرية والمذهبية والعرقية ، وفي الواقع فإن عملية الاغتيال تعتبر عمل استخباراتي عالي الدقة يتطلب من المعد جمع معلومات عن الهدف المراد القضاء عليه ، أما التنفيذ فهو الشق المكمل للإعداد ويحتاج الى موهبة وتدريب خاص لضمان الدقة في الوصول الى الهدف المنشود .

ولا يقتصر أثر حادث اغتيال مسئول أو رئيس دولة على المغدوربه بحد ذاته أوعلى المقربين اليه ولكن الأمر قد يتجاوز ذلك الى اندلاع حروب بين الدول وإشعال حريق الفتنة بين الطوائف ، والتاريخ يشهد بأن كثيرا من الحروب الأهلية التي نشبت في الكثير من بلدان العالم يرجع بعضها الى الاغتيالات المدبرة ، ومثال ذلك [٢٣] أن : بعض المؤرخين يؤكدون أن من أهم أسباب اندلاع الحرب العالمية الأول اغتيال ولي عهد الإمبراطورية النمساوية وذلك أثناء زيارته لمدينة سراييفو عاصمة البوسنة (أحد أقاليم البلقان) في ٢٨ يونيو ١٩١٤ م حينما ظهرت هناك جماعة سلافية سياسية معارضة هدفها فصل جميع المناطق السلافية عن الإمبراطورية النمساوية والتي كانت مسرحاً لاضطرابات سياسية وعقائدية مختلفة.

وفي أثناء زيارة قام بها ولي العهد وتنقله بسيارته مع زوجته أمام حشد جماهيري هائل قام أحد الشبان متسللاً من بين الجماهير بمهاجمته بثلاث عيارات نارية من مسدسه فأصاب الدوق في حنجرته وأصاب زوجته التي القت بنفسها لتحمي زوجها ومات الاثنان بمجرد وصولهما الى المستشفى إثر الإصابة.

وقد يكون الهدف من عمليات الإغتيال توريط دولتين في نزاع لاعلاقة لهما به ، ومن أبرز الأمثلة[٢٤] على ذلك : ما قامت به إسرائيل في مصر عندما اغتالت في أواسط القرن العشرين اللورد موين البريطاني ، واستهدفت عملية القتل الإساءة الى العلاقات التي كانت قائمة بين مصر وبريطانيا قبل اندلاع الثورة المصرية عام ١٩٥٢ ، وجاءت كمحاولة لإفشال إجلاء القوات البريطانية التي كانت تجري عبر مفاوضات حينئذ رغم متانة العلاقات بين بريطانيا وإسرائيل وما لعبته بريطانيا من دور في تثبيت الكيان الصهيوني وزرعه ورعايته بل وانتزاع قرار من الأمم المتحدة بقيامه والاعتراف به الى غير ذلك من المساعدات المعروفة ، والغريب أن هذه المؤامرة لم تكتشف رغم الجهود الكبيرة التي قامت بها أجهزة الأمن ومحاولة الصاق التهمة بالكثير من مناهضي الاحتلال البريطاني والقوة الفاعلة في المجتمع المصري والزج بها في السجون الا أن المصادفة وحدها هي التي ساقت الى اكتشاف هذه المؤامرة بعد أن تم القبض على الجناة الذين كانوا يعملون لحساب إسرائيل واعترافهم بذلك وتأكد إرسال إسرائيل لهم الى مصر لتحقيق ذلك الهدف ، وافتضح أمر إسرائيل في العالم وأدى الى ردود فعل داخل بريطانيا مما أدى الى استقالة الوزارة الإسرائيلية التي كانت وراء هذه العملية إرضاء لبريطانيا .

وقد كان لحي الدفنة السكني في العاصمة القطرية الدوحة موعد مع حادث اغتيال آخر حيث كان الرئيس الشيشاني [٢٥] الأسبق سليم خان بندربابيف يقيم بصفة مؤقتة ويعيش حياة طبيعية ولا يمارس أية نشاطات سياسية ، وكانت زوجته وابنه مقيمان هناك، وكان يمضي جميع أوقاته في القراءة والكتابة حيث الف خلال إقامته في قطر كتاباً عن تطور القضية الشيشانية والمعروف أن بندربابيف كان قد تولى رئاسة جمهورية الشيشان عقب قيام قوات الأمن الروسية باغتيال الرئيس الشيشاني

جوهر دوداييف الذي قاد انفصال الشيشان عن موسكو بعد تفكك الاتحاد السوفييتي السابق.

وكانت الحكومة الروسية قد طلبت من قطر تسليمها الرئيس الشيشاني السابق، ولكن السلطات القطرية رفضت ذلك واستندت الى جود نص في الدستور يمنع تسليم اللاجئين السياسيين.

ولم يعلم سليم خان بندربايف ما كان يخبئه أعداؤه من مؤامرة تم التخطيط لها بدقة عقب صلاة يوم الجمعة الموافق ١٣ فبراير ٢٠٠٤ عندما انفجرت عبوة ناسفة في سيارته وأسفرت عن مصرعه وإصابة نجله داود بجراح وقد اتهم المقاتلون الشيشان أجهزة الأمن الروسية بتدبير اغتيال بندربايف بصفته واحداً من أبرز رموز المقاومة الشيشانية بينما ، ونفت موسكو تورط أجهزتها في الحادث .

ولا يمكن ذكر موضوع الاغتيال كأداة للمؤامرة دون الإشارة الى جريمة اغتيال رئيس وزراء لبنان الراحل المرحوم رفيق الحريري الذي أحدث اغتياله مع كوكبة من مرافقيه دويا هائلا ليس في لبنان وحده ولكن في العالم أجمع ، مما أدى الى تغييرات هائلة في لبنان وفي المنطقة على المستوى السياسي والجغرافي والتاريخي ، ولازالت تداعيات هذا الاغتيال مستمرة وسوف تظل كذلك لوقت غير قصير.

<u>الإنقلابات العسكرية :</u>

ومن الوسائل التي يلجأ اليها مخططوا المؤامرة الإستعمارية وسائل شبيهة بالإغتيالات السياسية ولكنها أكثر شمولاً واتساعاً وتتمثل بالدفع باتجاه الإنقلابات العسكرية كالتي حدثت في الأرجنتين [٢٦] ، ففي ٢٤ مارس ١٩٧٦ م أطاح انقلاب عسكري برئيسة البلاد إيزابيل بيرون زوجة الرئيس الأسبق (خوان بيرون) نتيجة تنفيذ المؤامرة التي خطط لها المتطرفون اليساريون بتكتيك الإرهاب والاغتيال برئاسة الجنرال جورج رافانيل فيديلا الذي عين نفسه رئيساً للجمهورية ووضع رئيس الجمهورية السابق تحت الإقامة الجبرية، واندلعت الفتنة في البلاد والفوضى نتيجة انتهاج الرئيس الجديد سياسة قمعية معتمداً في دعم حكمه على قادة الجيوش الثلاثة البرية والجوية والبحرية، وأعلنت أغلبية المصانع الوطنية إفلاسها فضلاً عن عدم الاستقرار السياسي

والاضطراب الاجتماعي، نتيجة الإضرابات والشعور بالعزلة الداخلية، ويقدر ضحايا هذه المؤامرة بأكثر من (١٠) آلاف شخص مجهولي المصدر.

وفي تاريخ ٢٥ أبريل عام ١٩٧٤م استطاعت عناصر من الجيش [٢٧] في البرتغال التآمرعلى الحكم الدكتاتوري الذي خيم على البرتغال منذ عام١٩٦٨ وقد كان السبب المباشر للانقلاب تمرد المستعمرات البرتغالية في أفريقيا مما أثر سلباً على اقتصاديات البرتغال كما أن الطلبة الذين أجبروا على الخدمة العسكرية في المستعمرات والقتال هناك لعبوا دورا كبيراً في التخطيط وتنفيذ هذه المؤامرة وتصعيد حدة المعارضة ضد الحكومة ولم تستمر رئاسة سبينولا سوى مدة ١٦ شهراً ثم اندلعت حالة من الفوضى والعنف أدت الى انهيار حكمه فى خلال سنتين.

<u>إستغلال المبادئ الساميـــة :</u>

ينحو الإنسان في أعماقه ومشاعره نحو المبادئ السامية كنصرة الضعيف والمظلوم وإحقاق الحق ولذلك فإننا نجد أن ذلك الشعور يجد صدي في الدساتير العالمية والبرامج الحكومية الديمقراطية منها والدكتاتورية، وأنشأت منظمات تدافع عن حقوق الإنسان وإنصاف المرأة وحماية المظلومين و الأقليات الدينية والعرقية وهو أمر رائع في حد ذاته و يعبرعن مبادئ سامية عكستها الأديان السماوية وعلي رأسها الدين الإسلامي الحنيف والتشريعات الدولية ، الا أن المعضلة تتمثل في الخيط الرفيع الذي يفصل بين الدفاع عن تلك المبادئ السامية وبين استغلالها لتحقيق مصالح خاصة مثل زراعة الفتن والاستيلاء علي السلطة والاستعمار وحتى الاضطهاد ، مما يجسد مؤامرات تحاك في الخفاء ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب .

ولنأخذ أمثلة على : ذلك حرية النشر والإعلام والثقافة والتعليم إذ كفلت المواثيق حرية التعبير عن الرأي والأفكار دون تدخل من الدولة في حق الناس في الكتابة عما يجول بخاطرهم ونشره وحقهم في تنوير الرأي العام ونقل المشاعر والأفكار واستخدام أدوات النشر المختلفة للتعبير عن ذلك ومن أمثلة ذلك أيضا حرية التعليم ومعناه حق كل فرد أو جماعة في التعليم بما في ذلك إنشاء المدارس المختلفة فكرياً وعقائدياً وكذلك حق المعلمين في اختيار طرق التدريس والمناهج المناسبة والكشف

عن العيوب التي تعتري المجتمعات المختلفة إضافة الي حرية إجراء البحوث والتجارب وإنشاء الجامعات والكليات المتخصصة للبحث عن الحقيقة العلمية دونما تدخل من السلطات الرسمية أو فرض قيود علي الباحثين والمتخصصين، وامتدت المطالبة بالحريات لتشمل في طياتها حرية العقيدة الدينية وحق ممارسة إتباعها لشعائرهم وإقامة دور عبادتهم دون اضطهاد من أحد، وتتسع قائمة الحريات لتشمل نواحي عديدة في المجتمعات والدول مثل حرية الاقتصاد ن تاركة الباب مفتوحاً أمامهم ليختاروا ما يشاءون من أفكار ومن يشاءون من حكام وسري ذلك الشعور ليضمن حرية التجارة وعدم إخضاعها للرسوم الجمركية وغيرها من العقود التجارية التي تحد من انتقال السلع من دولة الي أخرى مما يساعد في النهاية الي تقسيم العمل بين الأمم وجعل كل أمة تتخصص بنوع معين من السلع لتصدرها الي غيرها من الدول وفق ظروف كل دولة وإمكانياتها المادية والبشرية .

كل هذه المبادئ والأفكار السامية كانت عبر الأجيال المتعاقبة محل أخذ ورد بين أفراد الدولة الواحدة وبينها وبين السلطات الحاكمة وبين دولة وأخري فمن مناداة مطلقة بالحرية كما هو الحال في المذاهب الفوضوية الى مناداة بحرية مقيدة كما هو الحال في دول القانون والدساتير والأعراف الي رفض لكل ذلك من قبل الدول المستبدة وقد برزت في القرن العشرين مؤسسات وهيئات ومنظمات أهلية في معظم دول العالم تقوم بجهد مشكور هدفه التخفيف من معاناة الشعوب والدول المحتاجة الى المساعدة الإنسانية ، وكم كان رائعا أن ينخرط أبناء الديانات السماوية مع إخوانهم أبناء الملل والنحل الأخرى في جيش واحد للتصدي للمحن والأمراض والمجاعات والكوارث والجهل وأنوع كثيرة من أشكال التخلف والاستغلال البشع للإنسان وكرامته .

هذه الرحلة الطويلة للحريات والتي نادت بها الأديان والشرائع السماوية ، بل والحكام العادلون والشعوب والأفراد الذين عانوا من الظلم كانت من ناحية أخري أداةً للمؤامرات المتنوعة التي تخفي وراءها خططاً وأهدافاً لتماسيح السياسة التي تذرف دموعا سخيةً دفاعاً عن هذه الفئة أو تلك ، ولكن تلك الدموع ليست في الحقيقة سوى مظهرمن مظاهر الاستعداد للانقضاض علي الفريسة بإتباعها أسلوب تمزيق شعب لاستعماره أو لإحداث فتنة فيه أو تأليب غيره عليه أو الحط من شأنه أو انتقاص قدره بين بقية

الشعوب والأمم فلم يسلم هذا النشاط الإنساني الإيجابي لم يسلم من تغلغل أياد خفية الى تلك المنظمات الأهلية والدولية لتحاول تحقيق أهدافها الخاصة بها والبعيدة كل البعد عن المقاصد السامية لتلك المنظمات، في حين قام البعض الآخر بإنشاء منظماته المشبوهة والخاصة به بحجة الإنسانية والحرية وتقديم المساعدات والمعونات ، وقد قامت تلك المنظمات في الدول العربية وغيرها بإطلاق مسميات مختلفة على نفسها مثل الدفاع عن حقوق الإنسان ، والحريات ، والثقافات المتنوعة ، والتواصل الفكري وغيرها لتخفي من ورائها بعض أغراضها المشبوهة منها وقد تكشفت بعض الحقائق التي تشي بأن هناك نيات غيرسليمة لهذه الأنشطة والمنظمات الكثيرة خاصة بأن هذه المنظمات تتلقى دعماً غير محدود من مؤسسات ومنظمات دولية تدعمها دول شتى وتقف وراءها بكل السبل ، وهذا الدعم يتنوع بين الدعم السياسي والمالي والفني ، بل وإعطاء تسهيلات لقيادات هذه الأنشطة والمنظمات ومنحهم تأشيرات دخول مجانية وتوجيه دعوات لهم لحضور مؤتمرات ومنحهم جنسيات تلك الدول إن تطلب الأمر ذلك ، والأخطر من كل ذلك التمويل الذي قد لا تحده حدود والميزانيات المفتوحة والمجهولة المصدر والأسباب وراء ذلك لا تخفى على هذه المنظمات وليست بريئة تماما ولا تهدف الى مصلحة الشعوب وإنما العكس تماما، فكل أهداف مشروعاتها سرية بدءا من جمع المعلومات المتعلقة بشرائح المجتمع الهامة للتعرف عليها واختراقها ثم تجنيدها إن أمكن لمصلحة الأطراف الخارجية المتآمرة معها دورها الحقيقي مخابراتي وهناك أمثلة واضحة كل الوضوح تدل على ذلك ، وفي كثير من الأحيان تستمر تلك المنظمات المدعية في عملها ، الا أن بعضها يتم اكتشافه ، وقد أعلن في مصر أن أجهزة الأمن المصرية استطاعت القاء القبض على شبكة سرية يديرها أكاديمي معروف وضبطت المنشورات التي كانت بحوزة المركز الذي كان يرأسه و أنها تعرفت على الجهات التي يتم إرسالها اليها لدرجة أن الأمر وصل الى التعرف على طبيعة تكوين المجتمع المصري خاصة الشباب (ميولهم– اتجاهاتهم– الدرجات العلمية – نسبة الأمية – العادات والتقاليد – جوانب النقص في حياتهم – نقاط الضعف لديهم – مشاكلهم – معاناتهم) وهناك أمثلة عديدة للدعم اللامحدود لجماعات ثقافية و دينية وعرقية ومذهبية عربية وإيوائهم وتسهيل إقامتهم في بلدان لا

تضمر الا الشر للعروبة والإسلام بهدف إثارة الفتن الداخلية والقلاقل لأجهزة الحكم المستقرة التي تتبنى القضايا العربية والإسلامية لهذا فإن عمليات التمويل والدعم المشبوهة ما هي في حقيقتها الى مؤامرة تحمل في طياتها مخاطر كثيرة على كافة المستويات أمنياً وفكرياً وسياسياً، وتتطور عمليات التمويل للجمعيات والأنشطة الأهلية وإقامة المؤسسات المختلفة ليصل أمر بعضها الى حد تشكيل جماعات ضغط ، بل وأحزاب سياسية تكون أداة ضغط في يد من يحركها من الخارج .

وكثيراً ما تسعى بعض تلك المنظمات لصب الزيت على النار بين أطراف النزاع من خلال الإنحيازلطرف معين على حساب طرف آخر وهنا تبرز بوادر الفتنة عندها يشعر أحد الأطراف بالضيم، ويحدث هذا كثيراً في النزاعات المتوترة في العالم ، وأحيانا تلعب تلك المنظمات دورا سلبياً بالنسبة لنزاع العرقيات فتميل الى فريق دون آخر، إما لاعتبارات سياسية محضة أو لتحيز ديني أوعرقي

والى جانب المنظمات الدولية [٢٨] هناك منظمات غير حكومية تلعب دوراً في التآمر والفتن بعيداً عن أي رقابة دولية ووجدت في دول العالم الثالث المرتع الخصب لبث أفكارها الهدامة وتآمراتها المكشوفة لزعزعة الأنظمة السياسية القائمة بها وخلخلة التركيبة السكانية حيث تقوم هذه المنظمات بنشاطاتها تحت شعارات كثيرة بزعم تقديم المعونات للأقليات وحماية حقوق الإنسان، ولكن دورها الخفي وعمليات تأجيج نار الفتن الطائفية والنزاعات العرقية والتفتيت الديني فضلا عن الدور الذي تلعبه هذه المنظمات والجمعيات التابعة لها كواجهات مشروعة لأجهزة الاستخبارات الأجنبية ومن أمثلة هذه المنظمات لدرجة أن التشكيك امتد ليصل الى منظمات دولية معتبرة ولها احترامها بين الدول مثل منظمة العفو الدولية التي اتهمت بأنها تعمل بالتعاون الوثيق مع مجلس الكنائس العالمي ،وأنها تأسست عام ١٩٦١ كجناح متخصص من الاستخبارات البريطانية ، وأن من بين مؤسسيها "ديفيد استور" الذي عمل لفترة طويلة رئيسالتحرير صحيفة الأوبزرفر اللندنية، والإتهام الموجه الى منظمة أطباء بلا حدود بأنها ساعدت المتمردين في عمليات التنقيب عن الذهب في جنوب البلاد لتوفير الأموال اللازمة لشراء الأسلحة للمتمردين أثناء عملها في جنوب السودان منذ عام ١٩٧٩ م ، وكذلك صندوق السلام الذي يعدمن أهم قنوات توصيل منح الصندوق

القومي للديمقراطية للمعارضة السودانية لدعم جهودها الدعائية والاستخباراتية وقد خصص الصندوق ٤٠ الف دولار لتمويل الناشطين في السودان كي يقوموا بتوثيق وجمع المعلومات لإثارة موضوع حقوق الانسان. ومنذ تأسيس الصندوق عام ١٩٦٩م تولت إدارته "نينا سولارز" زوجة النائب الأمريكي السابق" ستيفن سولارز" المرتبط بشكل مباشر في نشاطاته برابطة (ADL) وهي من أهم منظمات اللوبي الصهيوني في أمريكا.

السحر والشعوذة :

لقد مارس بعض الناس السحر والشعوذة (العرافة– الكهانة) في كل أنحاء العالم منذ فجر التاريخ ، وبرغم التحريم نرى خلقاً كثيراً يمارسونه ولايظنونه حراماً وما يشعرون إنه الكفر وحد الساحرهو القتل لأنه كفر بالله ، فنرى المرأة تستخدم السحركأداة للتآمرعلى امرأة أخرى،ونرى الرجل يحاول الكيد لصديقه عن طريق اللجوء للسحرة ، ونرى المشعوذين يرتعون ويلعبون باستغلالهم للآخرين وعملية السحر تتم في السر وبتدبير وتخطيط من متآمر لإيذاء آخر أو تدميره أو تدمير أسرته أو أبناءه وذلك من أجل تحقيق المصالح التي يظن المتآمر أنها ستتحقق باستخدام السحر ويدفعه الى ذلك رغبة جموحة للكيد والإنتقام فيلجأ لمثل هذه الدسائس والجرائم التي تشيع الفاحشة في المجتمع.

ويتجه آخرون الى الاعتقاد بالسحر والإيمان به لتبديد الخوف والشك والغموض الذى يكتنفهم إذا شعروا بفقدان التحكم والسيطرة علىما ستؤول اليه الأوضاع، وفي كل الأحوال يعد اللجوء للسحر نقصاً في الثقة بالله والإيمان بالقضاء والقدر ، ولكن المتآمر لا يضع أمامه الا مصالحه وأهدافه في المقدمة.

وإذا كان استخدام السحر والشعوذة يستخدم في تنفيذ مؤامرات تمس الأفراد بغض الطرف عن الإيمان بذلك أو عدم الإيمان به، فإن وجهاً أكثر خطورة لهذا الموضوع يؤثر على الدول وربما يغير مصيرها. و ذلك حينما يلجأ متآمرونً الى مثل هذا النوع من السحر والشعوذة لتسليط السحرة والمشعوذين على قائد جماعة أو رئيس دولة فيسلبونه إرادته ويجعلون قراراته رهناً بإرادتهم ويسيرونه وفقاً لأهدافهم السياسية

والشخصية. وتخطر في بالنا قصة من قصص القرن التاسع عشر في مدينة سان بطرسبرغ [٢٩] الروسية حيث كانت الطبقة الأرستقراطية مولعة بمسائل السحر والتنجيم وتحضير الأرواح وقدرة ذوي القداسة والقوى الروحية والصوفية على الشفاء من الأمراض ، ومن هنا كان تعلق الإمبراطورة الكسندرا فيوديوروفونا زوجة القيصر نيقولا الثاني بأي أمل طبي أو روحاني من شأنه أن ينقذ ابنها وريث عرش روسيا من مرض نزيف الدم ، وكانت تحيط نفسها برجال القداسة الى جانب الأطباء لهذا الغرض ، وهنا أسرت اليها راهبتان متصوفتان في القصر بأمر راهب يملك قدرة روحية على الشفاء ولم يكن ذلك الراهب سوى "غريغوري راسبوتين" وقصة راسبوتين هذا بدأت في قريته التي ولد بها عام ١٨٦٩م في سيبريا وتحدث الناس عن صفتين امتاز بهما هذا الرجل الغريب الأولىهي امتلاكه لقدرات روحية وقدرات على الشفاء ، والثانية هي فجوره وعربدته وإفراطه في شرب الخمر، واضطر أن يهرب من قريته عقب اتهامه بسرقة حصان مخلفاً وراءه زوجة وأربعة أولاد ولجأ الى أحد الأديرة وأصبح راهباً فيه ثم أخذ يتجول بعد ذلك من مكان الى آخر بلا استحمام وبثياب رثة وقيود قيد بها يديه لأشهر طويلة وانضم بعد ذلك الى طائفة تعرف باسم خاليستي ومن غريب أمر هذه الطائفة هو اعتقادها بأن الفرد يتقرب الى الله بارتكاب المعاصي والذنوب ثم التوبة بعد ذلك وكانت هذه الفرقة الصوفية تمارس الضرب والجلد والممارسات الجنسية الفاضحة ، وأضفت عليه تلك النزعة الصوفية الشاذة والرهبانية المبتدعة والقدرة المغناطيسية هالة جذبت اليه أتباعاً ومريدين حتى ذاع صيته، وتحدثوا عن قدرته الروحية على العلاج وأنه رأى السيدة مريم العذراء تطلب منه الذهاب الى مدينة سان بطرسبرغ لمساعدة الأسرة المالكة .

وفي عام ١٩٠٧م تم الترحيب به في القصر الملكي أسبوعياً حيث كان يباشر معالجة ولي العهد والنزيف الذي يصيبه، ومن هنا جاء تمسك الإمبراطورة به وشيئاً فشيئاً أصبح من أقرب المقربين اليها ومستشارها الخاص ، وكذلك ازداد تعلق مريديه وأتباعه به ممن كانوا يرون أن التقرب الى الله يتم بارتكاب المعاصي من أجل التطهيرمن الآثام ، وكان راسبوتين ذلك الكاهن المجنون مسرفاً على نفسه بمعاقرة الخمر وتعدد العلاقات النسائية ومصاحبة العاهرات ، وقد اقتنع رجلا دين بأن راسبوتين يستخدم

قوى شيطانية تساعده على معجزة الشفاء فقررا قتله ، فاستدرجاه وضرباه بالصليب ولكن إصابته لم تكن مميتة وفي محاولة أخرى هاجمته عاهرة بسكين فطعنته بشراسة ولكنها لم تقض عليه وشفى من إصابته وازدادت شهرته وازداد قربه من القصر الملكي لدرجة أنه كان يساهم في تعيين وطرد الوزراء وكان تأثيره على الناس وخاصة النساء ساحراً لدرجة أن مدينة بطرسبرغ سميت بسببه مدينة إبليس ، ومن غرائب هذا الرجل أنه كتب خطاباً للقيصر عام ١٩١٦م يخبره فيه أن أقاربه ينوون قتله وأنه إذا ما تم قتله فإن ذلك نذير شؤم عليه وأنه إذا ما حدث ذلك فإن عائلته ستفنى بعد مقتله، ولم يمض على هذا الكتاب أكثر من شهر حتى تآمر على قتله أقارب القيصر وبعض السياسيين فأوعزوا الى إمرأة جميلة بدعوته الى منزلها فأكل كعكاً وشرب خمراً ولكنه لم يدر أنهما مسمومين ، وتفاجأ المتآمرون بأن جسمه استوعب السم ولم يكن كافياً لقتله فعاجله المتآمرون ضرباً بالهراوات وإطلاق النار وقيدوه ثم القوا بجثته في نهر نيفا ، ولكن لم يمض وقت طويل بعد ذلك حتى قامت الثورة البلشفية وتم إعدام القيصر" نيقولا الثاني" وعائلته بأكملها.

وقد برزت تساؤلات حول أسباب قصة نهاية راسبوتين وقدرته الخارقة ففسرت تلك القدرة على وقف نزيف ولي العهد أنه كان ينومه مغناطيسياً لإبطاء النبض لتقليل قوة اندفاع الدم في الجسد ، وأن السبب وراء تآمر أقرباء القيصر ضد راسبوتين هو أن قيصر روسيا وقيصر المانيا كانا أبناء عمومة وكان بينهما حرب، وأن الكسندرا من أقارب القيصرين ، وأنها ومعها راسبوتين كانا يتآمر ان ضد الحكم الروسي لصالح قيصر المانيا ويسعيان لسلام منفصل مع المانيا مما أوغر قلب بقية أفراد الأسرة الحاكمة الروسية ضد راسبوتين الذين يعينها على ذلك.

ونقطة أخيرة يجدر بنا أن نذكرها في هذا السياق وهي أن منهج راسبوتين الإباحي في التصوف يشابه الى حد كبير منهج بعض الزنادقة في التاريخ الإسلامي ، حيث استغلوا صفاء قلب وزهد بعض المتصوفة وتقربهم الى الله تعالى بالعبادات فاندسوا بينهم بحجة سلوك الطريق الى الله ثم ما لبثوا أن نادوا بسقوط التكاليف الدينية لأنهم وصلوا الى درجة اليقين بحجة أن العبادات للعامة ، وأن الذكر أفضل من قراءة القرآن ، وقالوا مثلما قال راسبوتين بأن المعصية أحياناً أفضل من الطاعة لأنها تقود الإنسان

الى التضرع الى الله طلباً للتوبة ، وأنهم كانوا يأتون المنكرات وتدخين الحشيش المخدر والرقص والغناء مع النساء ويعلون من شأن إبليس وفرعون ويصفونهم بأنهم يعلمون ما لا يعلمه الأنبياء ، وبناء عليه فليس من الضروري أن تتوافق أعمال الولي منهم مع شريعة النبي (ص) الى آخر ذلك من الهرطقات والخروج عن تعاليم الدين الحنيف [٣٠] .

وبرغم تحريم الإسلام للسحر تحريماً قاطعاً واعتباره من أكبر الكبائر ،الا أن كثيراً من المتوهمين جعلوا من أنفسهم أداة طيعة بيد المشعوذين ليجعلوا منهم هدفاً سهلاً لمؤامراتهم فيستغلونهم ويسلبونهم أموالهم وأحياناً أعز مايملكون، متناسين قول الله تعالى: "وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا ، يعلمون الناس السحر ..." البقرة:١٠٢ .

وقوله تعالى أيضاً مخبراً عن هاروت وماروت "وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد الا بإذن الله ، ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق" . البقرة:١٠٢ وقال تعالى : "ولا يفلح الساحر حيث أتى" طه:٦٩ .

أما رسول الله (ص) فقال: "اجتنبوا السبع الموبقات: الشرك بالله والسحر ..." حديث شريف (الموبقات هي المهلكات) .

<u>الفتن :</u>

الفتنة هي إحدى أهم أدوت المؤامرة وتهدف لإحداث نوع من الاضطرابات أو التوترات أو الصراعات بين فرد وآخر أو بين أفراد المجتمع الواحد أو بين مجتمع ومجتمعات أخرى أو بين دولة ودول أخرى وذلك باتباع أساليب المكر والخداع والكذب وتزييف الحقائق وغيرها من الاساليب التي من شأنها تحطيم الطرف المقابل ، وبذلك فإن باستطاعة مجموعة صغيرة من الأفراد أن يلحقوا ضررا كبيرا بعلاقات الناس والمجتمعات وحتى الدول مع غيرهم وذلك باستخدام ذلك الأسلوب الجهنمي ، وهي بكل تأكيد تندرج تحت ما قاله رسولنا الكريم (ص) "الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها"

ويعمد المتآمرون فى اللجوء الى الشائعات لأنها من أهم أدوات التآمر وزرع الفتنة ، حيث أنها تثير فضول الناس وتعمل على تشتيت افكارهم ويجد فيها المتخاصمون وسيلة لالحاق الضرر بمن يكرهونهم ، ويختلق زارع الفتنة فكرة معينة قصصاً كاذبة أو مشوهة أو جزءٍ منها صحيح وأكثرها كاذب فيضعون لها سيناريوهات يداعبون فيها خيال المتلقين حتى يقوموا بدورهم بتبنيها وإضافة بعض الالفاظ والقصص الأخرى لها وفقاً لأهوائهم واتجاهاتهم ليتناقلها الناس من شخص الى آخر حتى تصبح حديث المدينة أو ربما العالم ، وكم من بيوت هدمت وضحايا ظلمت بسبب هذا النوع من الفتن.

ولذلك نجد أن الأستاذ **مختار التهامي**[٣١] قد عرفها بأنها: " الترويج لخبر مختلق لا أساس له من الواقع أو تعمد المبالغة أو التهويل أو التشويه فيه برغم وجود جانب ضئيل من الحقيقة في ثناياه أو إضافة معلومات كاذبة مشوهة لخبر معظمه صحيح أو تفسيره بأسلوب مغاير للواقع والحقيقة ".

والإشاعة لا تخضع لرقابة قانون ولا لعادات أو لأعراف معينة ، فهي عملية غالباً ما تكون مجهولة المصدر ويظهر نجاحها أو فشلها بعد وقت قصير من رواجها ، أو أحياناً بعد فترات طويلة من تنفيذها ، ومع ذلك فنجاحها في الرأي العام وفي الفكر المضاد يكون ساحقاً برغم صعوبة تقديره ، كما أن الفشل في احتوائها قد يكون مدمراً ، وإن كان غير ملموس ، فالإشاعة تعتبر من الوسائل التي تستهدف التأثير على أفكار وآراء وعواطف ومواقف وسلوك الشعوب وتستطيع النيل من الفكر والعقيدة وكذلك الثقة في النفس وفي نظام الحكم القائم.

وبرغم أن الشائعات لا تتميز بالموضوعية والصدق والأمانة فهي الأقدر على التسلل الى أعماق الجماهير ، وتزداد خطورتها حينما لا يكتفي البعض بتصديقها بل يضيف اليها من عنده ، وهنا يظهر الخطر من ورائها ، فالإشاعة لا تخضع لرقابة قانون ولا لعادات أو لأعراف معينة ، فهي عمليةغالباً ما تكون مجهولة المصدر ويظهر نجاحها أو فشلها بعد وقت قصير من رواجها ، أو أحياناً بعد فترات طويلة من تنفيذها ، ومع ذلك فنجاحها في الرأي العام وفي الفكر المضاد يكون ساحقاً برغم

صعوبة تقديره ، كما أن الفشل في احتوائها قد يكون مدمراً ، وإن كان غير ملموس ، فالإشاعة تعتبر من الوسائل التي تستهدف التأثير على أفكار وآراء وعواطف ومواقف وسلوك الشعوب وتستطيع النيل من الفكر والعقيدة وكذلك الثقة في النفس وفي نظام الحكم القائم ، وبرغم أن الشائعات لا تتميز بالموضوعية والصدق والأمانة فهي الأقدر على التسلل الى أعماق الجماهير وتزداد خطورتها حينما لا يكتفي البعض بتصديق الشائعات بل يضيف اليها من عنده ، وعلى المستوى الإعلامي ،فإن ازدياد عدد الفضائيات وعصر السماوات المفتوحة والإنترنت ووسائل الإعلام المختلفة زاد من وعي الناس وثقافتهم السياسية ، الا إنه زاد من ناحية أخرى من سرعة انتشار الشائعات والروايات المغلوطة التي ترد على شكل خبر أو تحليل سياسي أو التركيز على الجوانب السلبية مع إهمال متعمد لجوانب إيجابية مهمة ، فشبكات الشائعات الفضائية والإعلامية والالكترونية تؤثر بقوة في الرأي العام وتوجهه توجيها يصعب معه الدفاع عن الرأي الآخر ، فلا شك أن أضرار الشائعات كبيرة جداً وأثرهاسلبي على العدو المستهدف لما تحدثه من تحطيم للروح المعنوية للجبهة الداخلية وللسمعة الدولية.

أما من الناحية العسكرية فإ ن الإشاعة[٢٩] جزءاً من الحرب الشاملة وتشن قبل الحروب وأثنائها وفي أعقابها و لها بالغ الأثر على الجيوش وقد استخدم "جنكيز خان" هذه الوسيلة (الشائعات) في الزهو بقواته لإرهاب أعدائه وبث الأوهام بأن جيوشه مثل الجراد لا يمكن أن يحصيها العدو وأن جنوده لا يعرفون الا الحرب حتى أن قادتهم المغول يبذلون جهداً كبيراً في تهدئتهم ومحاولة منعهم من القتال.

الغزو الفكري والثقافي :

لا ريب في أن الثقافة مرادفة للشخصية وهي بالنسبة للمجتمع مرادفة للشخصية القومية التي يتميز بها هذا المجتمع ، إنها تلك الخيوط المكونة من الأفكار والمعتقدات والتقاليد وأساليب التفكير وأنماط السلوك وجميع طرائق الحياة التي طورها الإنسان في المجتمع ، فهي جميع السمات الروحية والمادية والفكرية والعاطفية فالثقافة هي التي تجعل من الإنسان كائناً متميزاً بعقله وقدراته على النقد والالتزام الأخلاقي.

ولا شك أن ثورة الاتصالات والفضائيات أعطت ثقافة البلاد المتميزة في هذا المجال قدرات هائلة لم تتوافر لغيرها، وساعدها على ذلك فرض تبعيتها وأنماطها على الثقافات الأخرى.

ومن ناحية أخرى فإن الغزو الفكري والثقافي[٣٣] يعتبر أداة مثالية للتآمر على الشعوب الأخرى للنيل من ثروات البلدان الأخرى واحتلال مواقعها الإستراتيجية ، فتسعى هذه الدول عن طريق استغلالها للدعاية الموجهة للعبث بفكر وثقافة وحضارة الغير وفرض التبعية الفكرية التي لا تقل خطراً عن استخدام الأسلحة النارية ، فهي كدس السم بالعسل فتقتل وهي صامتة لأتها تستهدف الغاء الهوية الحضارية ، ويأتي التحدي الأكبر والمتبقي للثقافة في الدول الأخرى بتقبل بعض الأفراد لهذه الثقافة المعادية بل والدفاع عنها وتبني فكرها وبثه للآخرين برغم علمهم بأن هذه المؤامرة تحمل بين ثناياها بذور السيطرة الخارجية على الثقافة القومية ، ويبدو أن ثمة استعداد عند البعض لتقبل كل ما يقدمه الغير، بل واعتناق هذه الأفكار والدفاع عنها دون وعي أو تمحيص ، وبالتالي تنشأ مشكلة خطيرة هي تعطيل ملكات الفكر الإبداعي وشل القدرات الفكرية ومن ثم الاستسلام الذهني لمنجازات الغير ومذاهبه الدينية و الفلسفية وقيمه الاجتماعية والأخلاقية ، وأصبح تقبل أساليب الغزو الثقافي واقع ثقيل كاتم على أنفاس الأمم فامتد كالسرطان الى مختلف شعب الحياة سواء الأدبية أو الاجتماعية أو العلمية بل في دقائق الأشياء كالفاظ التحية وطرائق الكلام والطعام والملبس....

وعلى الرغم من أننا سنذكر مثالاً للدلالة على التشويه الحضاري التي سعت الصهيونية العالمية لالحاقه بنا كعرب وكمسلمين ،الا أنه لايجب أن يغيب عن أذهاننا أن هؤلاء ليسوا الوحيدين الذين يستهدفوننا،بل إن هناك من لايقل خطراً عنهم، ويكفي أن تراجع المواقع الالكترونية لتكتشف ذلك .

ولنأخذ مجال الثقافة والتعليم مثالاً علي التشويه المتعمد لكل ما هو عربي ، ذلك إذ أن المراجع العلمية والموسوعات والقواميس يتم إعدادها لتثقيف الناس واكتسابهم لشتي أنواع المعارف والعلوم، وينكب الناس علي قراءتها والاستفادة مما تحتويه من مواد علمية وثقافية مما جعل القراء يثقون بها علي اعتبار أنها كانت حصيلة بحث علمي دقيق ومحايد عكف عليها علماء متخصصون يبتغون تثقيف القراء تثقيفاً عادلاً،

الا أن هذه المراجع الرصينة لم تخل من دس تتآمر به علي شعوب معينة لتعلي من شأن قوم وتحط من قدر آخرين لكي يستند التآمر الفكري عليهم على سندً علميً في مناهج التعليم والدراسات العلمية ولكي نضرب مثالاً علي ذلك فنورد تعريف العرب كما جاء في قاموس أمريكي يعرف العربي بأوصاف منحطة ففي الطبعة الجديدة من قاموس " **وبستر** " [٣٤] الذي يماثل في الولايات المتحدة من حيث الأهمية والمرجعية المطلقة قاموس **أوكسفورد** عند الإنجليز ، تظهر في معجم المفردات كلمة "عربي **Arabian**" وأمامها المرادفات الآتية والتي نورد هنا ترجمتها العربية مكتفين ببعضها :

(المتشرد ، المتسكع ، العالة ، الشحاذ ، المنحرف ، البائع ، المتجول ، المدعي أو المزايد) وأمام مدخل معاداة السامية الشرح أو التعريف التالي مرقوماً برقم (٢) بعد التعريف الشائع في طبعته الأخيرة تعريفا ثانيا : (معاداة الصهيونية: التعاطف مع خصوم دولة إسرائيل) .

وإزاء هذا التحيز والتعسف والتعصب الواضح ضد العرب انبرت د./ وفاء كامل فايد عضو مجمع اللغة العربية في دمشق وأستاذ علم اللغة العربية بكلية الآداب جامعة القاهرة للدفاع عن كرامة العرب القومية فقدمت مع آخرين احتجاجاً لهيئة المعجم ومؤسسة " **وبستر** " فكان الرد بمثابة الإصرار علي الاستمرار في الخطأ وتركه بلا تصحيح تحت حجة أنه مستند في تعريفه للعرب الي ما يطلقه عليهم الغربيون وغيرهم وأنه منقول من التراث الشفهي لهم ولكننا لا نجد استناداً لهذا التراث الشفهي حينما يتم تعريف اليهودي أو الاسرائيلي ، وأضافت د./ وفاء كامل بأن الأمر يتطلب تضافر كل الجهود القانونية والدبلوماسية والقضائية والرسمية لحذف هذه الالفاظ والتصميم علي العدول عنها.

ومضت الدكتورة وفاء تقول : إن مؤسسة " **وبستر** " أصدرت الطبعة الثالثة والجديدة من القاموس متضمنة التعريف الذي أقره الكونجرس في أكتوبر عام ٢٠٠٢ بخصوص معادة السامية التي لم تعد تشمل العداء لليهود بوصفهم أقلية دينية وعرقية فحسب كما ذهبت الي ذلك طبعة " **وبستر** " الأولي والثانية بل شمل التعريف العداء للصهيونية والتعاطف مع أعداء دولة إسرائيل .

وترى د./ وفاء فايد [٣٥] أن مسئوليتنا كمثقفين وأكاديميين وحقوقيين تتطلب تعرية مثل هذه المزاعم المستندة الي القانون والتي تدعي أنها أكاديمية سواء صدرت عن الكونجرس واتخذت صيغة قانون مجحف ومنحاز أو التي وردت في معاجم صدرت عن جهات أكاديمية ، فمثل هذه التخريجات التي تنتحل صفة الأكاديمية والقانونية تستهدف المزيد من إذعان الأمة العربية بتشويهات فكرية وثقافية مغرضة عارية عن الصحة تماماً وتشكل جزءاً من الحملة الأيديولوجية المعادية للعرب والمسلمين .

وتعود د./ وفاء لتطالب الرأي العام العربي والأجنبي من المتعاطفين مع العرب في كل مكان بالاحتجاج علي مثل هذه الافتراءات ونفس المطالبة تشمل الجامعة العربية والحكومات العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي والجامعات والأكاديميات العربية والإسلامية لترفع صوتها للاحتجاج لدي حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ولدي كل الجهات المشرفة علي إصدار قاموس " **وبستر** ".

وتشدد د./ وفاء مطالبتها للمحامين العرب الشرفاء مقاضاة القائمين علي المعجم الأمريكي أمام المحاكم الأمريكية أو الأوربية وتستصرخ الشرفاء الغيورين علي كرامتهم من أبناء الوطن العربي أن يساهموا في حملة تبرعات وتمويل حملة الدفاع عن الشرف حيث أن مقاضاة كهذه ستكون مكلفة من الناحية المادية من حيث تعيين الخبراء اللغويين وما الي ذلك لإثبات العكس" قانونياً خاصة وأن المؤسسة المعنية أرسلت رداً هو رفض أكثر منه اعتذاراً مؤكدين أنهم سوف يتداركون هذا الأمر عند الشروع في إصدار الطبعة الجديدة من هذا المعجم أي بعد مرور فترة تتراوح بين سبع الي عشر سنوات .

الحواشي المرجعية

(١) عبد الرحمن الرافعي . ص٢٣٠ .

(٢) ينبرغ آدم . مصدر سابق . ص٧ ، ٢١ .

(٣) عمر هارون خليفة . مصدر سابق . ص٧ .

(٤) صحيفة الأنباء الكويتية . ٢٨ فبراير ٢٠٠٤ . ع ٩٩٩٩ . ص١ ، ٢١ .

(٥) يوسف أبو بكر . مصدر سابق . ص٦٦ .

(٦) فريد الفالوجي . مصدر سابق .

(٧) يوسف أبو بكر . مصدر سابق . ص٦٦ .

(٨) سعيد الجزائري . مصدر سابق . ص١٥٩ .

(٩) كلاين ، راي . مصدر سابق . ص١٥ .

(١٠) صحيفة الأهرام المصرية . ١٩ ديسمبر ٢٠٠٣ . ع ٤٢٧٤٦ . ص٢٤ .

(١١) صلاح سالم . سابق . ص٢٢٣ .

(١٢) حمد سعيد الموعد . مصدر سابق . ص١٥٢ .

(١٣) صحيفة الأهرام المصرية . ١٩ ديسمبر ٢٠٠٣ . ع٤٢٧٤٦ . ص٢٤ .

(١٤) ذياب البداينة . مصدر سابق . ص١٨١ .

(١٥) عوفر ، تسفي ، آ في كوبر. مصدر سابق . ص٧٤ .

(١٦) صحيفة الوطن الكويتية (الموقع الإلكتروني) . أحمد صالح . ***المؤامرات تطل من جديد***. ١٢ مايو ٢٠٠٥ .

(١٧) نفس المصدر. ١٢ مايو ٢٠٠٥ .

(١٨) دورندان ، غي . مصدر سابق . ص ٢٥ .

(١٩) أحمد بدر . مصدر سابق . ص ٢٥ .

(٢٠) نفس المصدر . ص ٢٥ .

(٢١) صلاح أبو السعود . مصدر سابق . ص ٨٤ .

(٢٢) يوسف أبو بكر . مصدر سابق . ص ٥٧ .

(٢٣) صلاح منتصر. مصدر سابق . ص ١٢ .

(٢٤) هاليفي ، إيلان ، ألفريد ليلينتال . مصدر سابق . ص ٩٢ .

(٢٥) صحيفة الأهرام المصرية . ١٦ فبراير ٢٠٠٤ . ص٢ .

(٢٦) ***الموسوعة السياسية التاريخية*** . مصدر سابق . ص٣٤٨ .

(٢٧) نفس المصدر . ص ٣٤٤ .

(٢٨) مجلة المجتمع . ١٨ يونيو ١٩٩٦ . ع ١٢٠٤ . ص٢٠ .

(٢٩) عبد الوهاب الكيالي . مصدر سابق . ص٤ .

(٣٠) عبد الرحمن عبد الخالق . الصوفية .

(٣١) مختار التهامي. مصدر سابق . ص١٢٢ .

(٣٢) محمد عبد القادر حاتم . مصدر سابق . ص١٨١ .

(٣٣) عبد الستار فتح الله سعيد . مصدر سابق . ص٧٦ .

(٣٤) صحيفة الأهرام المصرية . ١٩ أغسطس ٢٠٠٥ . ص١٣ .

(٣٥) مجلة المجتمع . ٨ أكتوبر ٢٠٠٥ . ع ١٦٧٢ . ص٣٢ .

الفصل الثالث

المؤامرة على العرب والمسلمين

في فجرالإسلام

واجه الرسول الكريم (ص) وصحبه الكرام ومن تلاهم من الصالحين مصاعب جمة وتحديات كبيرة في سبيل رفع كلمة لااله الا الله ، وكان بعض تلك التحديات ذا طابع محلي وكان البعض الآخر خارجي ، ولكنها كانت تهدف في الأساس الى القضاء على هذا الدين عن طريق محاربة العرب الذين حملوا راية الإسلام والذين ماانفكوا يواجهون المؤامرات والدسائس منذ فجر الإسلام الى يومنا هذا . ويمكن الإشارة في الفقرات التالية الى الملامح عن بعض أولئك المتآمرين:

اليهود [١] :

يعود النزوح اليهودي الى الجزيرة العربية الى مراحل زمنية يرى البعض أن بدايته كانت بعد موت موسى عليه السلام، وإن اختلفت المصادر التاريخية في تحديد كيفية وزمن النزوح، الا أن البعض منها قال إنه خرج من القوم كاهنان من ولد الكوهن بن هارون ومعهما أهلهما قريظة والنضير فكونا القبيلتين الكبيرتين في شمال الحجاز واستوطنوها بعد حروب طويلة مع العماليق أولئك العرب الذين وفدوا من اليمن واستقروا في يثرب والذين تجمعوا في قبيلتين كبيرتين هما الأوس والخزرج ، ويرى فريق آخر من المؤرخين أن بداية النزوح اليهودي الى الجزيرة العربية جاء نتيجة لاجتياح الملك البابلي "بختنصر" لفلسطين وتدميره لمعابد اليهود ولهيكلهم وحرق التوراة وقتل الكثير من اليهود وسبى النساء والأولاد، ويعتقد أن الهجرة اليهودية المؤثرة الى الجزيرة العربية بدأت عام ٧٠م عندما بطش القائد الروماني تيطس باليهود ثم جاء بعده القائد هارديان فأحرق الحائط الذي يبكون أمامه وأحرق معابدهم وهدم العديد من مبانيهم، فهرب الكثير من اليهود الى ارض الحجاز حيث أرست القبائل اليهودية الأولى دعائم الوجود اليهودي وما حولها. وهناك هجرة يهودية كبيرة داخل أرض الجزيرة العربية

نفسها ستمت عام ٥٢٥م عندما حفر يهود اليمن خندقا كبيرا وأحرقوا فيه المسيحيين فاستنجد ملك الروم المسيحي بالأحباش فأرسلوا جيشا برئاسة أبرهة الأشرم فهزم اليهود وهم تحت امرة ملكهم " ذى فواسى ففر كثير من يهود اليمن الى يثرب ليعيشوا مع قبيلتي الأوس والخزرج ، واستقر اليهود في يثرب ، وخيبر وتيماء بشمال الجزيرة العربية وعاشوا وراء حصون وقلاع خاصة بهم ، ومع مرور السنين اصبح اليهود في الجزيرة العربية يماثلون العرب في ملبسهم وعاداتهم ولغتهم وحذق البعض منهم في قرض الشعر لما وجدوا في اللغة العربية من غزارة وجمال ساعدتهم على ذلك ، فأصبح بعضهم من الشعراء الفصحاء، كما أصبح لهم شان في الحوادث السياسية التي سبقت ظهور الإسلام وصارت أسماء قبائلهم عربية وتسمى اليهود بأسماء العرب وقامت بين بعضهم وبين بعض العرب علاقات الزواج والمصاهرة .

وكان من المفترض أن ينشد يهود الجزيرة الفارين من الاضطهاد المسيحي في فلسطين الأمان والحرية في مجتمعهم الجديد ، الا أن تسلط أحبارهم عليهم وتفسيرهم للتوراة وفق أهوائهم جعلهم يطوعون شريعة التوراة الى الشكل الذي يرونه يناسب مصالحهم ، والذي يحقق لهم المزيد من السيطرة على اليهود ، فأصبح للأحبار الكلمة العليا بينهم وأصبحت مقدرات اليهود رهنا بيد الأحبار وزاد الفجور والبغي مع اختفاء الشرائع السماوية وحرم أحبار اليهود على بنى دينهم الاقتراب من الكعبة الشريفة في مكة فهم يعرفون أن إبراهيم الخليل علية السلام هو الذي رفع قواعدها ومعه ابنه إسماعيل علية السلام وكانوا يعرفون أن الكعبة هي بيت الله الذي أمر إبراهيم ببنائه لكنهم لم يقربوا البيت العتيق لعلمهم أن الذبيح هو إسماعيل علية السلام الذي انحدر منه العرب هو الذي اشترك مع الخليل في البناء وليس أخوه إسحاق علية السلام الذي انحدر منه اليهود، فكان ذلك هو السبب الذي أبعدهم عن بيت الله وتركوا الشرك يرتع حوله حتى تتدنس حرمة البيت وتظل بعيدة عن التقديس فيسودون وحدهم بدينهم ، ولم يدركوا ان الله عز وجل قد قدر الأمر من قبل وأن دينه ظاهر على الأمر كله ولو كره الكافرون. وقد زاد في عدواتهم للعرب إحتفاظهم بعصبيتهم القومية فلم يأقلموا أنفسهم مع العرب ولم يندمجوا معهم ، بل حرصوا دوما على التفاخر بيهوديتهم واحتقارهم للعرب فأسموهم أرحبيتن (الوحوش) والارذال المتأخرين، وكانوا يرون أن أموال

العرب مباحة لهم يستولون عليها كيفما شاؤوا،ولم يتحمس اليهود في نشر دينهم إنما كان أمر الدنيا هو همهم الأكبر فتخصصوا في الفال والسحر والنفث، وكانوا يرون في أنفسهم أنهم أصحاب علم وفضل وقيادة وروحانية واحترفوا التجارة والصناعة فكونوا ثروات هائلة وارسوا صناعة قوية للسلاح وكل ما يستخدم فيه المعدن من الأواني والقدور والدروع وغيرها ، وقد كانوا يبيعونها للعرب باستعمال أسلوب الربا في الإقراض ، والذي أدى في النهاية الى عجز العرب عن السداد الى ان أخذ اليهود أراضي العرب واحتكروا تجارة الخمر والتمور والشعير والأغنام واصبح لليهود في يثرب الكلمة العليا في كل ما يتعلق باقتصاديات تلك المنطقة من الجزيرة العربية ، وعاش اليهود في يثرب منتهجين مبدأ التآمر وزرع الدسائس والغش بين القبائل العربية المجاورة يفرقون بعضها عن بعض ويعملون على نشوب الحرب واستمراريتها وبقائها دائمة بين هذه القبائل، وكان كلما احتاج فريق الى المال سارع اليهود الى إقراضهم لا بقاء نار الحرب بينهم متقدة وهم يتهللون فرحا كلما شاهدوا المذابح أمامهم لانهم يحفظون بذلك بقاءهم وكيانهم بالمنطقة ويجنون في نفس الوقت أرباحا ربوية تحقق لهم ثروات وأملاك هائلة .

وعندما غرقت البشرية [٢] في متاهات الظلام وغياهب الجهل وانتشر الشرك بالله واتخاذ الأنداد وعمت الفوضى في الأخلاق وحاربوا ما جاء على لسان إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، بعث الله تعالى محمد (ص) داعياً الى الله آمراً بالعدل والإنصاف فحث على مكارم الأخلاق ونبذ الشرك وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار ، كما نهى عن الفواحش وقول الزور وبث الفتن وأكل مال اليتيم وقتل النفس التي حرم الله الا بالحق ، وآمن به الكثير، ومن هؤلاء صحابته الذين كانوا العون له حيث اختارهم الله لصحبة رسوله الكريم في فترة بعثته. دخل رسول الله محمد(ص) المدينة فوجد بها ثلاث فئات :

الأولى المسلمين من قبيلتي الأوس والخزرج الذين تمسكوا بعصبيتهم القبلية وكانت بينهما في الجاهلية حروب ضروس ، فآخى رسول الله (ص) بينهما، أما الفئة الثانية فقد كانت المنافقين وعلى رأسهم عبد الله بن أبى سلول [٣] ،وكانت الفئة الثالثة هم اليهود الذين كانوا يحيطون بالمدينة وقد ضمتهم ثلاث قبائل كبيرة هي بنوقينقاع

وعاشوا داخل المدينة في حي وسوق خاص بهم بنو النضير وكانت ديارهم بضواحي المدينة بنو قريظة وكانت ديارهم في مواجهة بنى النضير بضواحي المدينة وقد آمن بدعوته كثير من اليهود والنصارى وغيرهم من الملل ، الا أن المكابرين ممن تآمروا على الأنبياء والرسل وموسى وعيسى من اليهود وغيرهم رأوا أن الدين الجديد قد أصبح منافسالهم ويوشك أن يقضي على نفوذهم وينتزع زعامتهم ، فكرهوا محمداً ونظروا اليه وأتباعه نظرة الحسد والحقد والبغضاء وبدت عداوتهم واضحة حينما رأوا الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ،

وقد كان المكابرون منهم ينتظرون أن يكون النبي المبعوث من عند اليهود، مع أنهم كانوا يعلمون بانقطاع النبوة فيهم بوفاة النبي يحيى علية السلام، الا أنهم كتموا عداوتهم له (ص) عندأول وصوله الى المدينة ، وعقد معهم عليه السلام معاهدة ترك لهم فيها مطلق الحرية في الدين والمال والتعاهد على عدم الخيانة والتعاون عسكريا ضد أي هجوم يقع على أي طرف منهما الا أنهم سرعان ما بدأوا يحيكون أول المؤامرات ضده رغم انهم اكثر الناس علما بأنه نبي مرسل من عند الله فأخذوا يكيدون الدسائس ويخرقون المعاهدات الواحدة تلو الأخرى وكلما كانوا يرون اتساع دائرة الإسلام ونفوذه كلما ازدادوا حقدا وحنقا عليه .

وكان انتصار الإسلام في غزوة بدر (٤) نقطة تحول رئيسية في العلاقة بين المسلمين واليهود بالمدينة حيث توقع اليهود أن يقضى كفار قريش على المسلمين وعندما جاءت النتيجة عكس ما كانوا يرغبون بدأوا يحيكون المؤامرة لقتلة(ص) عندما كلف بنو النضير اليهودي (عمرو بن جحا ش) بالقاء حجر ضخم على رسول الله للخلاص منه ومن دعوته .

وقد ذكرت كتب السير مؤامراتهم ودسائسهم للقضاء على الإسلام عن طريق :

١ – إثارة الأحقاد والبغضاء بواسطة الأوس والخزرج واستفادوا مما كان بينهم وبين رجال المسلمين من الحلف والجوار في الجاهلية للاحتماء بهم مما قد يلحق بهم من أذى في إثارة الفتنة .

٢ – تشكيك المسلمين في دينهم وهذه المؤامرة للنيل من الضعفاء من الناس على أمر دينهم عندما اتفقوا على إظهار الإيمان أول النهار والصلاة مع المسلمين حتى

إذا جاء آخر النهار ارتدوا ليقول الجهلة إنما ردهم لدينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب في دين الإسلام .

وقد أخبرنا الله تعالى بذلك في قوله الكريم "وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون"

آل عمران:٧٢ .

٣ – دخول جماعة من اليهود في الإسلام لكنهم في حقيقة الأمر من المنافقين وكان في إسلامهم تجسس على المسلمين ولنقل أخبارهم الى اليهود وحلفائهم من المشركين، وكان جلوسهم مع المسلمين لإثارة الشكوك في قلوب الضعفاء وللاتصال بمن كان من الأوس والخزرج .

وكانوا عندما يستمعون لأحاديث المسلمين يسخرون منهم ويستهزئون بدينهم ولإبطال فتنتهم نزل الوحي بالنهي عن الاتصال باليهود والاطمئنان اليهم ، وبقطع صلة المسلمين بهم خوف الفتنة عليهم.

فقال تعالى"يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالاً ... " الى آخر الآية الكريمة آل عمران:١١٨:١١٩ .

وبذلك قطعت هذه الآية على المسلمين مباطنة اليهود والركون اليهم للأضرار التي لحقت بهم من هذا الاتصال .

ولم يكتف هؤلاء النفر من اليهود بالمؤامرة والفتنة التي يثيرونها بين المسلمين بل أخذوا يقفون الى جانب كفار قريش معلنين عداءهم الصريح للإسلام.

فصبر الرسول (ص) عليهم الى أن نقضوا العهود، عند ذلك رأى ضرورة مواجهة من أرادوا منهم إجهاض دعوته عسكرياً لتأديبهم وهم :

<u>يهود بني قينقاع (حلفاء الخزرج) :</u>

عندما تفاقم أمرهم واشتد بغيهم جمعهم رسول الله فوعظهم ودعاهم الى الهدى وحذرهم مغبة البغي ولكنهم ازدادوا في شرهم وغطرستهم وازدادوا جرأة واستمروا بإثارة القلق والإضطرابات والمؤامرة والتحرش فى صفوف المسلمين في المدينةً .

وقد روى ابن هشام عن أبي عون أن امرأة من العرب قدمت لبيع جلب* لها في سوق بني قينقاع وجلست الى صائغ فجعلوا يراودونها على كشف وجهها ، وعندما رفضت عمد الصائغ الى طرف ثوبها فعقده الى ظهرها وهي غافلة ، فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا عليها فصاحت مستنجدة ، فجاء رجل من المسلمين الى الصائغ فقتله فاجتمع اليهود على المسلم فقتلوه فاستنجد أهل المسلم بالمسلمين على اليهود وحينئذٍ نفذ صبر رسول الله (ص) فاستخلف على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر وأعطى لواء المسلمين لحمزة بن عبد المطلب وسار بجنود الله الى بني قينقاع وحاصرهم في حصنهم أشد حصار ، فقام عبد الله بن سلول فشفع فيهم عند رسول الله ، ففك قيودهم وأمر بإجلائهم .

يهود بني النضير :

عندما خرج رسول الله (ص) الى بني النضير يستعين بهم في دفع دية قتيلين من بني عامر قتلهما عمر بن أمية ، فتآمروا على رسول الله عندما انتدبوا لذلك عمرو بن جحاش بن كعب ليلقي عليه صخرة من فوق البيت عند خروجه في نفر من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم ، فأتى رسول الله (ص) الخبر من السماء بما تآمروا عليه فخرج ورجع الى المدينة بسرعة ، وأمر الرسول بالتهيؤ لحربهم والسير اليهم ، فتحصنوا منه في الحصون ، وأمر الرسول بقطع النخيل والتحريق فيها ، فقذف الله في قلوبهم الرعب وسالوا رسول الله أن يكف عن دمائهم ويجليهم مقابل ما حملت الإبل من المال ففعل ، ثم خرجوا من ديارهم الى خيبر ومنهم من سار الى الشام .

يهود بني قريظة (حلفاء الأوس) [٦] :

كان بين بني قريظة ورسول الله (ص)عهد وميثاق لكنهم نقضوا العهد في غزوة الأحزاب عندما تآمروا مع إخوانهم يهود بني النضير في بث الفتنة بين أحزاب العرب من قريش وغطفان وتشجيعهم على محاربة المسلمين، ولو سارت الإمور على ما أرادوا لقضوا على الرسول (ص) وأصحابه ولانتهى أمر الإسلام في تلك المعركة.

ولما انتهت غزوة الأحزاب بهزيمة المشركين عندما زلزل الله أقدامهم ، نزل جبريل الى الرسول الكريم (ص) ليأمره بأن يواصل المسير الى يهود بني قريظة فحاصرهم النبي وقذف الله في قلوبهم الرعب واستسلموا ثم استنزلوا فحبسهم الرسول (ص) بالمدينة، ثم خرج الى سوق المدينة فخندق بها خنادق ثم بعث اليها فضرب أعناقهم في تلك الخنادق لأنهم في كل مرة يستكينون عندما تضيق الدوائر بهم ثم يعودون الى التآمر مرة أخرى في أول سانحة تسنح لهم لقتله.

<u>يهود خيبر</u>[٧] :

كانت خيبر مدينة كبيرة ذات حصون على بعد حوالي ٨٠ ميلاً من المدينة فأصبحت بعد جلاء اليهود من المدينة ملجأً لكثير من اليهود الكارهين للإسلام ، وأهل خيبر هم الذين حزبوا الأحزاب ضد المسلمين وأثاروا بني قريظة على الغدر والخيانة ثم أخذوا بالاتصال بالمنافقين الطابور الخامس في المجتمع الإسلامي. فأراد رسول الله أن يستريح منهم ويأمن شرهم ، فبدأ بغزوهم وفتح حصونهم حصناً تلو الأخر حتى إذا أيقنوا بالهلكة سالوه أن ينفيهم ويحقن دماءهم ففعل ، وقد كانت نهاية خيبر هي نهاية نفوذ يهود جزيرة العرب. ولم تكن حروب النبي (ص) معهم أو إجلاؤهم عن جزيرة العرب الى أماكن بعيدة ، الا آخر وسيلة ليأمن شرهم وليتقي فتنهم ومؤامراتهم التي ما انفكوا يحيكونها ويشعلونها بين المسلمين ومثال ذلك : أن رأس اليهود "كعب بن الأشرف" [٨] كان من أشد اليهود حنقاً على الإسلام وكان غنياً مترفاً معروفاً بجماله في العرب شاعراً من شعرائها ، فلما بلغه خبر انتصار المسلمين وقتل صناديد الكفر من قريش في بدر قال : أحق هذا ؟ فهؤلاء أشراف العرب وملوك الناس ، وبدأ عدو الله في هجاء الرسول الكريم وبمدح قريش وتحريضهم عليه ، فنزل على المطلب بن أبي وداعة السهمي وجعل ينشد الأشعار يبكي فيها على قتلى قريش على يد المسلمين

ليثير حفائظهم ويوقظ فتنتهم ويزكي حقدهم ويثير حفائظهم ويدعوهم الى حرب النبي (ص) ، فلما علم النبي بعث اليه محمد بن مسلمة لقتله ، وعندما علمت اليهود بمصرعه دب الرعب في قلوبهم وعلموا أن النبي لن يتوانى في استخدام القوة حين يرى أن النصح لا يجدي نفعاً لمن يريد العبث بالأمن وإثارة الاضطرابات وعدم احترام المواثيق فلم يحركوا ساكناً لقتله بل لزموا الهدوء وتظاهروا بإيفاء العهود واستكانوا .

وحين بدأت المواجهات بين المسلمين واليهود ترك اليهود على أثرها ديارهم بالمدينة هاربين الى بلاد الفرس، أما الجناحين الباقيين من اليهود فقد حاسبهم الرسول عليه السلام بعد صلح الحديبية جراء عدوانهم على الإسلام وتحالفهم ضد المسلمين فحاصرهم ودك حصونهم حتى طلب اليهود الصلح على أن يرحلوا نهائيا عن المدينة ، ورغم كل ذلك عرض عليهم النبي محمد علية الصلاة والسلام أن يظلوا في الأرض يزرعونها كما كانوا يفعلون من قبل على أن يتقاضوا نصف ما تنتجه الأرض من محصول نظير عملهم ففضلوا الرحيل ، وبرحيلهم انتهى آخر فصول تواجدهم بالجزيرة العربية وتوزعوا أشتاتاً في بعض البلدان العربية والأوربية .

الا إن ذلك الرحيل الإختياري الذي فضله اليهود على العيش بسلام بين المسلمين كان مقدمة لمرحلة جديدة من المؤامرات والفتن التي كانت فتنة عبدالله بن سبأ من أشدها شراسة والتي لازالت آثارهاالمدمرة ماثلة أمامنا الى يومنا هذا.

وقد بدأت القصة بعد وفاة النبي (ص) حيث تولى الخلافة أبو بكر الصديق، وكان أحق الصحابة وأفضلهم وأعلمهم وأحكمهم على تحمل أمر الأمة بعد نبيها. فأجمع الصحابة على بيعته بالخلافة وارتضوه إماماً وقائداً وقد أوصى بالخلافة من بعده لعمر بن الخطاب فكتب بذلك كتاباً أوصى فيه المسلمين باستخلاف عمر من بعده ، فواصل بالمسلمين مسيرة الخير والهدى مقتدياً بخطى من سبقوه بعد أن أجمع الناس عليه وبايعوه وبعد أن حطمت سيوف الإسلام في عهده عروش الكفر والطغيان بدأت مكائدهم ومؤامراتهم للقضاء على الإسلام ، فانتدبت المجوسية أبا لؤلؤة المجوسي لينفذ أول مؤامرة لهم ضد الإسلام بطعنة مسمومة من خنجر أودت بحياة سيدنا عمر بن الخطاب الذي قال : "الحمد لله الذي لم يجعل موتي بيد رجل يدعي الإسلام" ، وبعد استشهاد الفاروق تولى أمر الأمة ذو النورين عثمان ابن عفان ، فقرر اليهود الثأر

لأسلافهم بإحداث المؤامرات والفتن لتفريق شمل المسلمين وزعزعة استقرارهم وعقيدتهم وأوكلوا الأمر لعبد الله بن سبأ لما علمت اليهود فيه من مكر وخبث ومؤهلات تمكنه من إحداث فتنة عظيمة في كيان الدولة الإسلامية ليحاول إفساد العقيدة في نفوسهم ،وكان ابن سبأ يهودياً من أهل صنعاء واسمه عبد الله ، وكانت أمه سوداءالبشرة ولذلك لقب بابن السوداء لما ظهر شره وقد تظاهر بالإسلام في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ولقب بابن سبأ بعد إسلامه .

<u>خطة ابن سبأ لتنفيذ مؤامراته</u> [٨] :

١- التشكيك في الخليفةالمعاصر :

أ – كان العنصر الأول الذي انتهجه بن سبأ هو السعي لتكوين أتباع ومؤيدين وأعوان وفي إعداد مراسلين يبعث بهم الى الولايات والأمصار ومن ثم تكوين أنصار جدد ومريدين يأتمرون بأمره في أرجاء الدولة الإسلامية.

ب – كما ركز بن سبأ في دعوته على الطعن في شخصية عثمان بن عفان.

ج – التزامه بمنهج السرية في دعوته فقد بث دعاته وكاتب من استفسر في الأمصار ودعاهم الى الحرص على السرية في دعوتهم ، وحثهم على التظاهر بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والكتابة الى أبناء المناطق المختلفة بكتب يظهرون فيها عيوب ولاتهم فقال لهم : إبدأوا بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تستميلوا الناس وادعوهم الى هذا الأمر فبث دعاته وكاتب من كان قد استمالهم من سكان هذه المناطق ،وحثهم على السرية في نشر الدعوة حتى لايتصدلها العارفون بحقيقة الأمر لإحباطها لأنهم كانوا يبطنون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يعلنون.

وقد حقق ابن سبأ [٩] النجاح الذي كان يريده حيث شاعت أفكاره وانتشرت سمومه وأفكاره المغلوطة حتى وصلت الأخبار الى الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه نفسه فاستشار المسلمين في أمرهم فأشاروا عليه أن يبعث من يستطلع أخبار المناطق ففعل ذلك. وجاء الرسل وأخبروه أنهم لم ينكروا شيئاً أنكره أعلام المسلمين ولا عوامهم وأن الأمراء يقسطون بين الرعية ويقومون عليهم .

فكتب عثمان الى أهل الأمصار كتاباً يذكر ما بلغه من الإشاعات والطعن في القائمين على أمر المناطق يقول فيه بعد أن حمد الله وأثنى عليه " أما بعد ، فإن أخذ العمال بموافاتي في كل موسم وقد سلطت الأمة فقد وليت على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يرفع على شيء ولا على أحد من عمالي الا أعطيته وليس لي والعمال حق قبل الرعية الا متروك لهم ، وقد رفع الي أهل المدينة أن أقواما يشتمون وأخر يضربون فياض ضرب سراً وشتم سراً ، من إدعى شيئاً من ذلك فليواف الموسم فليأخذ بحقه حيث كان منى ومن عمال أو تصدقوا فإن الله يجزي المتصدقين ، فلما قرء في الأمصار أبكى الناس ودعوا لعثمان وقالوا إن الأمر لينذر بشر ، ولم يرض ابن سبأ وزعماء هذه الفتنة من هذه السياسة الحكيمة الرشيدة ، فابن سبأ لم يرد الإصلاح ولم يدخل الإسلام الا لهدف في نفسه، وهذا الموقف الحكيم من الخليفة الراشد يتعارض وأهداف هذا اليهودي الحاقد فلجأ الى ابتداع فكرة إرسال كتب مزورة الى من يريد تحريضه على عثمان وولاته بأسماء طائفة من كبار الصحابة ثم كتب مزورة باسم الخليفة نفسه ، فقد روى ابن كثير أنهم زوروا على لسان عائشة رضي الله عنها كتاباً تأمر فيه الناس بالخروج على عثمان ، فلما علمت بالأمر نفت ذلك وقالت لا والذي آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كتبت لهم سوداء في بيضاء حتى جلست مجلسي هذا ، وادعوا كذلك أن سيدناعلي بن أبي طالب بأنه قد كتب الى الثوار يطلب فيه منهم أن يقدموا عليه المدينة فتصدى لهم رضي الله عنه وفند أكاذيبهم قائلاٍ " والله ما كتبت اليكم كتاباً " ثم ابتدع فكرة إرسال الكتب المزورة الى من يريد تحريضه على عثمان وولاته بأسماء طائفة من كبار الصحابة ثم الكتب المزورة باسم الخليفة نفسه. (البداية والنهاية لابن كثير ٧/٧٥)

الا أن ابن سبأ نجح في تعبئة المناوئين ضد عثمان وتلفيق أقوال الى كبار الصحابة غير صحيحة روجوا لتبرير ما ذهبوا اليه وللتشويش على البعض بأنهم على صواب وليسوا مثله وإنما جاءوا لفعل ذلك من أجل الإسلام والمسلمين ، وبهذا تكون الرسائل التي حاكها ابن سبأ قد انتهت ونجحت في إحداث ثورة مسلحة ضد عثمان رضي الله عنه ، ففي السنة الخامسة والثلاثين وصلت الحركة السبئية ذروتها واستكملت الثورة المبيتة والمعدة عناصرها سلفاً وذلك عندما تكاتب السبئيون من مصر والكوفة والبصرة

وتواعدوا على أن تخرج كتائب ثورتهم الى المدينة ، فأحاط الثوار بالمدينة وذكروا لعثمان أموراً فتلطف بهم وأجاب على تساؤلاتهم ، وقد أدرك المسلمون أنهم أصحاب شر فأشاروا على الخليفة بقتلهم وأبى عثمان الا تركهم فانصرفوا وقد تواعدوا على المجيء في شهر شوال من السنة نفسها حتى يغزونه وكأنهم حجاج .

ولما جاء الموعد خرج الثوار قاصدين المدينة وحاصروا عثمان رضي الله عنه في بيته واستمر الحصار من أواخر ذي القعدة الى يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة ، فلما كان ذلك اليوم قال عثمان للذين عنده في الدار من المهاجرين والأنصار وكانوا قرابة السبعمائة أتوا لحمايته ومنهم عبد الله بن عمرو.

وعبد الله بن الزبير والحسن والحسين ومروان وأبى هريرة رضي الله عنهم أجمعين. فقال لهم: " أقسم على من لي عليه حق أن يكف يده وينطلق الى منزله ، وقال لرفيقه: من أغمد سيفه فهو حر ،وأما السبب في ذلك فهو أن عثمان رضي الله عنه أراد حقن دماء المسلمين والحفاظ على بقية كبار الصحابة وصغارهم الباقين في المدينة ،لأن في هلاكهم ضياع للمسلمين ولذا أمر الصحابة جميعاً بالقاء السلاح والزمهم بيوتهم ، وكان عثمان رضي الله عنه قد رأى في المنام رؤيا دلت على اقتراب أجله فاستسلم لأمر الله ، وشدد الثوار على عثمان رضي الله عنه ومنعوا عنه الماء ومنعوه من الصلاة بالناس ثم ارتكبوا جريمتهم بأن تسوروا عليه داره وقتلوه وكان بين يديه كتاب الله صائم لم يفطر في شهر الله الحرام في أرض الله الحرام ، وبدأ أهل كل منطقة من الذين استطاع استمالتهم بنشر الأمر في المناطق الأخرى ، وبذلك هيأ ابن سبأ الأرضية الخصبة التي ستنطلق منها خططه ومؤامراته ، وانتشرت دعوة أبن سبأ حتى بلغت المدينة فذهب بعض القوم الى عثمان رضي الله عنه فقالوا: يا أمير المؤمنين أيأتيك عن الناس الذي يأتينا ؟ قال: لا والله. فأخبروه بالذي عرفوه فقال : أنتم شركائي وشهود المؤمنين "فاشيروا علي".

كانت هذه تحركات ابن سبأ داخل الدولة الإسلامية وعلاقاته بالآخرين ويذكر الطبري في هذا المقام : أن ابن سبأ شكل شبكة التآمر هذه وخطط لها وكان عقلها المدبر وشملت الشبكة جميع المناطق الإسلامية حيث انتشرت الأعمال التخريبية المهددة لبنية الدولة وسلطتها .

٢- التشكيك في الخلافة السابقة :

حمل ابن سبأ في دعواه الضالة فكرتين للتشكيك بالخلافة روج لهما بعناية فائقة بين أهل المناطق التي اختارها مثل مصر و الحجاز و الكوفة و البصرة و بلاد الشام واليمن ٠

وتضمنت الفكرتان اللتان روج لهما ابن سبأ ما يلى :

١ – القول بأحقية محمد ﷺ بالرجعة حيث وجد لها صدى وقبولا لدى العامة من الناس والمغرضون عندما طرحها عليهم ، وأخذوا يتكلمون فيها ويتجادلون حولها ، وقال: "العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ، ويكذب بأن محمد قد يرجع ، وقد فسر الآية الكريمة "إن الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد" القصص الآية ٨٥ تفسيراً مضللاً ليقول بأن محمداً أحق بالرجوع من عيسى عليهما السلام .

٢ – قال لهم إنه كان هناك الف نبي، ولكل نبي وصي وكان علي وصي محمد ﷺ،وهو نفس المعتقد الذي كان يعتقده قبل إسلامه في يوشع بن نون (خادم موسى عليه السلام) فقال في إسلامه بعد وفاة النبي (صلعم) بمثل ذلك ، ثم قال محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين وعلي خاتم الأولياء ومن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله ﷺ ووثب على وصي رسول الله ﷺ وتناول أمر الأمة مستهدفاً تمزيق دولة الإسلام والتجني على خليفة المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه حيث قال: إن عثمان أخذها بغير حق وهذا وصي رسول الله ﷺ فانهضوا في هذا الأمر فحركوه .

وبعد أن اكتملت مؤامرة عبد الله ابن سبأ باستشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه انتقل أمر الأمة الى سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه بمبايعة الصحابة له خليفة رابعاً للمسلمين ، ولكن ابن سبأ لم يكن يهمه أمر تولي سيدنا علي رضي الله عنه الخلافة ، بل كان يريد الفتنة فأخذ يدعو أتباعه ومن اغتر به الى أن ولاية سيدنا علي لا تتم الى بالبراءة من أعدائه، وهم في نظره الخلفاء الراشدون السابقون له في الخلافة ، فكان ابن سبأ أول من أظهر البراءة من أبي بكر وعمر وعثمان والصحابة ، كما نص على ذلك كبار علماء الشيعة المتقدمين كالأشعري ، القمي ، الكشي والنوبختي ، فقد نقلوا جميعاً في كتبهم هذا النص :

" وحكى جماعة من أهل العلم من أصحاب علي عليه السلام أن عبد الله بن سبأ كان يهودياً فأسلم ، وولي علياً عليه السلام وكان يقول وهو على يهوديته في يوشع ابن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة " فقال في اسلامه بعد وفاة النبي ﷺ بمثل ذلك ، وهو أول من أشهر القول بفرض إمامة علي عليه السلام وأظهر البراءة من أعدائه" .

وهكذا استطاع عبد الله ابن سبأ بما بثه بين أتباعه من عقيدة الوصية والرجعة والبراءة من الصحابة ، ثم إظهاره الغلو في سيدنا علي وأبنائه أن يضع الجذور الأساسية لفرقة تستمد مبادئها وأفكارها من اليهود في ثوب إسلامي ، ونسبت هذه الفرقة اليه وأطلق عليها السبيئة ، ثم نهلت فرق أخرى من معين الفكر السبئي كل على قدر ضلالته وبعده عن الإسلام ومن بين تلك المعتقدات التي توجه الحركة السياسية للمستقبل اليهودي وأطماعه فهم يؤمنون بأن العالم كله ملك لهم ، لذلك بدأت مؤامراتهم ضد المسيحية ومن ثم الإسلام بدءاً من الدولة العباسية التي كان لليهود الدور الأكبر في تدميرها.

ولعب اليهود دورا في جلب المسلمين الى أيبيريا ليس حبا فيهم وانما للقضاء عليهم وطردهم منها ، بعد ذلك عن طريق ضربهم بالمسيحيين أهل هذه البلاد .

٢-الفرس[١٢]:

استتب الأمر للدين الحنيف الذي التف حوله العرب ،ولكنهم واجهوا منذ عهدهم الأول مشاكل كبيرة تتهدد وحدتهم بسبب المسؤليات الملقاة على عاتقهم بالمحافظة على هذا الدين وإبلاغ رسالته الى غيرهم من الأمم كما أمرهم الله ورسوله الكريم (ص) ، فكانت المشكلة التي واجهتهم هي أن الدولة الإسلامية نشأت بين إمبراطوريتين كبيرتين كانتا تتحكمان في مصير المنطقة آنذاك وهما الإمبراطورية الفارسية والإمبراطورية الرومانية في ظل جهالات عمياء تسود أوروبا كلها، الأمر الذي أثار حفيظة الإمبراطوريتين على العرب بأن تكون لهم دولة حيث ظلوا عبر قرون عديدة مجرد قبائل مترحلة لا يجمع بين بعضها الكثير من الصلات القوية ،وقد خضع البعض منها للنفوذ الفارسي والآخر للروماني ، لذلك كان أمرا طبيعيا أن تجد الدولة الإسلامية كل مقاومة عند قيامها خاصة بعد أن أصبحت تهدد كيان هاتين

الإمبراطوريتين، واستطاعت فعلا خلال مرحلة تاريخية قصيرة أن تحرر كثيراً من المناطق العربية التي كانت محتلة من قبل هاتين الإمبراطوريتين ، بل إن كثيرا من المناطق التي كانت تعتنق عقائد غير إسلامية سرعان ما اعتنقت الديانة الجديدة بعد أن تبين لها الرشد من الغي .

كان الفرس يحتلون المحطة الأولى لتبليغ الرسالة السامية وللفتوحات الإسلامية، مماجعل العرب الواقعين تحت سيطرتهم يقبلون على الدين الجديد بحماس شديد ،بل إن الفرس أنفسهم وجدوا في الدين الجديد معاني إنسانية لم يعهدوها من قبل في أديانهم السابقة كالمساواة والتخلص من العبودية لملوكهم ولرجال الدين المسيطرين عليهم بالمعتقدات الباطلة ولما وجدوا فيه من عدل وإنصاف ، فانصرفوا عن المعتقدات البالية السابقة التي أخضعهم لها الحكام وسيطرة الدهاقنة وهم التجارو ملاك الإقطاعيات ، وقد حسن إسلام كثيرمنهم وساهموا مساهمة مشرفة مع إخوانهم العرب في نشر الدين الإسلامي الحنيف ولكن كان من بينهم من لم يدخل نور الإسلام الي قلوبهم ولم يستوعب أن يختل النظام الطبقي المجحف الذي حكموا به الفرس أو أن يتحرر العرب من سيطرتهم، وهالهم أن يروا كيانهم السياسي وبلادهم ومصائرهم في يد المسلمين فصبوا جام غضبهم وحقدهم على العرب الذين جاؤوا بهذا الدين الجديد الذي انجذب اليه الفرس قبل غيرهم وسيطرت عليهم فكرة استعادة ملك إمبراطوريتهم القديمة والسيطرة مرة أخرى على العرب ، وقد بدأ تآمر هؤلاء على العرب منذ الوهلة الأولى التي أحكمت فيها الجيوش الإسلامية سيطرتها على بلاد فارس.

كانت القبائل الفارسية القديمة المستقرة تؤمن بأن "مزدا" هو الههم وأنه يقف الى جانب الخير ضد عقيدة الشياطين التي يؤمن بها اللصوص وقطاع الطرق والقبائل الرحل ، واعتقدوا أنه يرسل الأنبياء مثل زرادشت الذي ادعى في القرن السابع قبل الميلاد بأنه نبي مرسل من مزدا ، وقال بأن الصراع بين الخير والشر هو صراع بين النور والظلام وأن امتزاجهما معاً ولد الخير والشر والصلاح والفساد وهكذا فالعالم عبارة عن صراع بينهما الى أن يتغلب الخير على الشر ويخلص الخير الى عالم خاص به ، كما ينحط الشر الى عالم آخر خاص به أيضاً .

وقد اعتنق ازدشير الأول وابنه سابور هذه العقيدة بعد إضافة طقوس مثل تقديس الماء وتأليه الشمس كمصدر للنور ، وظهر بعد ذلك ماني عام ٢١٥ بعد ولادة السيد المسيح عليه السلام وأضاف للعقيدة الزرادشتية أبعاداً أخرى مسيحية كعقيدة التثليث، وأخذ عن الهنود عقيدة التناسخ ، وقال بأنه آخر الأنبياء ونجح في إدخال اثنين من حكام ذلك الزمان سابور بن ازدشير الى مذهبه ، الا إن بهرام بن هرمز ابن سابور قام بقتله لأنه يدعو الى الزهد في وقت كان فيه بهرام يبني دولة عسكرية ، فلجأ أتباع ماني الى العمل السري وانتظار يوم الخلاص الى أن ظهر منهم رجل اسمه مزدك بن بامداد في أيام قباذ والد كسرى أنوشروان عام ٤٨٧م وقال بأن الاقتتال سببه عدم المساواة ولذلك يجب التساوي بين الناس في كل شيء ومن أركان ذلك التساوي وإباحة الممتلكات مثل الماء والأرزاق والزوجات ، وقد انضم اليهم "جاماسب" أخو قباذ ثم قباذ نفسه فتحولت الدولة الى شيوعية اغتصبت من خلالها الأموال والأعراض وضاعت الأنساب حتى أن الرجل لم يعد يعرف إبنه ولا الابن يعرف أباه مما أدخل البلاد في فوضى عارمة ، فلما جاء عهد كسرى بن قباذ تصدى لهم ورد الأموال الى أهلها وحاربهم وقتل مزدك وأنصاره وعاد الى المجوسية ، فلجأوا مرة أخرى الى العمل السري وسايروا الأوضاع ولكنهم في حقيقة الأمر كانوا يتآمرون على كسرى أنوشروان . ولما جاء نور الإسلام أقبل الفرس على الدين الجديد بحماس وصدر رحب لما وجدوا فيه من تسامح و عدالة لم يعهد وها من قبل في عهد كسرى بن هرمز بن كسرى ، الا أن بعضهم اعتنق الإسلام ظاهريا ليمارسوا عادتهم القديمة في الخفاء وأخذوا يخططون بسرية الى أن تمكنوا من الظهور مرة أخرى بعد أن كانوا قد تظاهروا بالإسلام ، وقد اعتقدوا في بداية الأمر أن قتل الرجل الأول في دولة العرب كفيل بإنهاء وجودها أو بذر الشقاق بين قياداتها بحيث يتمخض الأمر الأمر في النهاية الى التناحر والاقتتال بين العرب أو بينهم وبين بقية المسلمين ، بما في ذلك من اعتنق الإسلام من الفرس ، وعند تلك اللحظة يتمكن حكام الفرس ورجالات دياناتهم القديمة من إعادة تنظيم جيوشهم واستعادة زمام الأمور من يد الحكام العرب، غير أن ذلك لم يجد نفعا لأن المسلمين من عرب وغير عرب كانوا في عهد الخلفاء الراشدين قد دفنوا تعصبهم

الجاهلي البغيض بعد أن انتسبوا الى ماهو أجل وأسمى من العنصرية التي تشيع البغضاء بين الناس فكانوا بذلك في أوج مظاهر وحدتهم وقوتهم .

وحينما أدركت القيادات الفارسية المخلوعة الحاقدة على الإسلام ودهاقنتها صعوبة تطبيق إستراتيجيتهم المباشرة ،انتقلوا للإستراتيجية غير المباشرة التي ذكرناها آنفا، فأرسلوا أحد المجوس واسمه " أبو لؤلؤة فيروز المجوسي" ليتحين الفرصة لاغتيال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بعد أن استطاع التسلل والتظاهر بالعمل كحداد مسالم ، وفعلا تم له ذلك ونفذ جريمة الاغتيال ، وقد قتل القاتل نفسه بعد تنفيذ المؤامرة وبعد أن ضاق الأمر علية ليموت سره معه، ولم يكتف المتعصبون الفرس بذلك بل تعاونوا مع اليهودي المتظاهر بالإسلام عبد الله بن سبأ في بث الإشاعات التي كان ينادى بها ثم التشهير بالقرارات الإدارية لعثمان بن عفان وأخيراً في محاولة قتله .

وبعد معركة حطين انقسم العرب على أنفسهم ، وقد جاء هذا الانقسام لاجتهادات واعتبارات قبلية فكان ذلك أول تمزق يصيب العرب ، غير ان ذلك التمزق لم يكن وليد رغبة أوصدفة عارضة وإنما جاء نتيجة بعض الأطروحات الغريبة التي بدأت تطرح في الساحة العربية فقد انتشر عبد الله بن سبأ وبعض الفرس في أوساط العرب وأحيائها وراحوا ينفثون سمومهم في تلك الأوساط حتى أن بعض السبئية وبعض المانوية والمزدكية نشطوا في إثارة الادعاءات والدعاوى السياسية والدينية الخاطئة بين صفوف العرب ، و تظاهروا بالالتفاف حول الإمام على بن أبى طالب رضي الله عنه وخلعوا علية صفة الالوهية وقالوا له أنت الاله، غير أن الأمام على استنكر فعلتهم تلك، ومن المعروف أنه رضي الله عنه قد أمر بإحراق الجماعات المغالية وكتبهم حيث روى أنه أمر بنار فأججت ثم القاهم وكتبهم في النار ، وعملوا بعد ذلك على إثارة الفتنة بين العرب من أجل جرهم الى منازعات داخلية تسهل عليهم أمر القضاء عليهم، وقد عمل زادويه الفارسي على تدبير المؤامرة الثلاثية التي استهدفت على بن أبى طالب ومعاوية بن أبى سفيان،عمرو ابن العاص، وقد فشل المتآمرون في قتل الثاني والثالث في نفس الليلة المحددة لتنفيذ المؤامرة ولم يذهب ضحية ذلك الغدر سوى الإمام على كرم الله وجهه ، ففي ليلة السابع عشر من رمضان في السنة الحادية والأربعين للهجرة تسلل

عبد الرحمن بن ملجم الى المسجد وتمكن من طعن الإمام وهو ينادى لصلاة الصبح فسقط شهيدا ثم القى القبض على المجرم الآثم فأحرق.

في أوخر العصر الأموي انصرف دهاقنة الفرس ومن والاهم الى العمل السرى ضد العرب وقد ارتأت القيادات الفارسية آنذاك أن الخروج على الدولة العربية بات أمرا ضروريا، غير انه ليس في الإمكان أن يأتى خروجهم هذا مؤطراً بنزعة فارسية محضة ، خاصة وأن العرب آنذاك كانوا يملكون الكثرة والقوة في الدولة، لذلك لم يكن أمامهم من سبيل لتحقيق أغراضهم الا استغلال حب العرب والمسلمين لال بيت الرسول (ص) فساروا في ركبهم والالتفاف حول ال البيت والعمل على انقسام العرب بين مؤيدين للأموين ومعارضين لهم ، فإذا انتصرت هذه الحركة كان الحكم في ظاهره للعرب وفي حقيقته حكما فارسيا يخدم المصالح والحكومات الفارسية، ورأى أبو سلمة الخلال كبير الدعاة للدولة العباسية أن الفرصة قد باتت سانحة لتمزيق العرب والانتهاء من حكمهم ونقل الأمر الى الفرس أنفسهم، لذلك ظل يعمل على محورين أحدهما هو مقاتلة الأمويين والآخر هو الدس بين أبناء على وأبناء العباس مما سيؤدى الى انقسام العرب مرة أخرى بعد انتصارهم على الاموين الى فريقين متخاصمين ، فريق مؤيد للعلويين وفريق آخر مؤيد للعباسيين، وهكذا استمرت المؤامرات تحاك ضد الدولة الأموية طيلة مراحل تاريخها ، خاصة مع ابتعاد بعض حكامها عن روح الإسلام ، فلما سقطت دولة الأمويين حلت محلها الدولة العباسية التي لم يكن حكامها بأفضل حال من أسلافهم الأمويين الى أن وصلت في بعض عصورها الأخيرة الى التدمير الكامل للدولة، أما من الناحية العقائدية فقد حاول كل فريق من معتنقي الديانات الفارسية القديمة إحياء أمجاده ، فظهر القرامطة الذين أرادوا إعادة أمجاد المزدكية فاحتلوا مناطق في الكوفة والبحرين والإحساء واليمن وبلاد الشام ، وكان دعاتهم يحضون على شيوعية النساء ، والإباحية ، وظهرت كذلك الأبومسلمية الذين قالوا بإمامة أبي مسلم الخراساني بعد مقتله ، وبأنه حي لم يمت ولم يقتل ،ثم تفرعت عنها فرق كثيرة كالرزامية والبركوكية الذين زعموا بحلول روح الاله في أبو مسلم الخراساني وهي نفس معتقدات المجوسية القديمة.

٣-الروم [١٣] :

إذا أردنا أن نتحدث عن التحديات والمؤامرات التي واجهها العرب في هذا المجال وفي علاقة الإسلام بالغرب فلا بد لنا من الرجوع الى أحداث ماقبل ظهور الإسلام بقليل حيث كان الصراع مستعرا بين الفرس والروم ، وكان الفريقان المتناحران يستغلان القبائل العربية التي كانت تسكن على تخوم الدولتين للإقتتال فيما بينهما نيابة عنهما ، فكان الفرس يدفعون بالمناذرة لقتال الغساسنة الذين كان الروم يزجون بهم لقتال المناذرة ، الا أن الأمر استقر للروم في نهاية الأمر حينما استولى الإمبراطور البيزنطي هرقل عام ٦٢٨م على المدائن، فاعتبر ذلك نصراً للروم وللمسيحية على الفرس وعقائدهم. ولم يكن الروم أو الفرس يعلمون أن دينا جديدا كان قد بزغ نجمه وهفت قلوب الناس اليه زرافات ووحدانا لما وجدوا فيه من إنقاذ من الضلالة والشرك، فأقبل عليه المسيحيون واليهود وذوو المعتقدات الأخرى وفاضت أعينهم بالدمع عند تلاوته ، وتأثر به امبراطور الروم وملك الحبشة، الا أنهما خشيا بطش رجال الدين المسيحي ، وفي الجانب الآخر تصدى له جمع من رجال الدين المسيحيين الشرقيين التابعين للنفوذ البيزنطي ، فأرسلوا رسلهم محذرين من ظهور نبي وصفوه بالمزيف الذي جمع كتابات العهدين القديم والجديد والذي حسب زعمهم جاء بهرطقة مسيحية جديدة ومنذ عام٦٣٤م بدأت الكتابات البيزنطية بالنيل من الدين الجديد ومن نبيه محمد (ص) ، وقد زاد من حقدهم عليه نجاح الفتوحات الإسلامية التي وصلت الى بلادالشام في الأعوام (٦٣٦-٦٣٧م) وترحيب الأقباط المصريين بالمسلمين لما كانوا يلقونه من معاملة جائرة من المسيحيين البيزنطيين ومعاملة حسنة من المسلمين ،ثم تواصل الزحف الإسلامي على مصر وشمال أفريقيا، فانبرت الأقلام البيزنطية لتشوه هذا الدين الحنيف وتصف نجاحه بأنه غضب من الله ، واستمرت حملة تشويه صورة الإسلام والمسلمين عند الغرب في كتابات المؤرخ الإنجليزي بيديه (٦٧٣-٧٣٥م) ، ووصفهم البابا أربان الثاني في فرنسا ١٠٩٥م في خطبه بأنهم جنس وثني ينحدر من ذرية قابيل أبناء العاهرات،وخرج الراهب يواقيم الفلوري (١١٤٥-١٢٠٢م) بنظرية مؤداها أن الإصحاح الثالث لرؤيا يوحنا تقول بأن وحشا سيطلع من البحروله سبعة رؤوس يشيرون الى أعداء المسيحية ، وأن الرأس الرابع يشيرالى محمد (ص)

كما زرع اليهود الفتن المتتالية بين المسيحيين والمسلمين والتي أثمرت في النهاية عن الحرب الصليبية، وهذا ما يؤكده الكثير من المؤرخين، إذ يرون أن غزو السلاجقة لآسيا الصغرى هو البداية الحقيقية للحروب الصليبية التي شنها المسيحيون على المسلمين، فلقد أشاعوا أن السلاجقة من المسلمين وكان التخطيط اليهودي الخزري يهدف من وراء تلك الإشاعة أن يهب المسيحيون فيسارعون الى نجدة إخوانهم في بيزنطة ضد المسلمين فينشغل الجانبان في حرب ضروس تفنى الفئتين ويخلو المجال لليهود، وهذا ما حدث بعد أن تمكن اليهود عن طريق السلاجقة من زرع بذرة الخلاف العقائدي بين المسيحيين والمسلمين لقرون طويلة استمرت علي مدى عمر السلاجقة ثم العثمانيين والي ما بعد ذلك والسلاجقه" هم نسبة الى زعيمهم سلجوق الذي امتلك حفيده طغرل بك الجناح الشرقي [١٤] في كل بلاد إيران وقد أضطر الخليفة العباسي أن يعهد اليه بالحكم بإسمه وحماية الدولة العباسية"، وقد أنشأ السلاجقة دولتهم عام ١٠٧٧م واتخذوا من مدينة قونية في الاناضول بتركيا عاصمة لهم واطلق المؤرخون جميعا على السلاجقة صفة الإسلام. وفكرة الحروب الصليبية هي في حقيقتها فكرة يهودية خزرية نشأت ثم انتهت دراميا لكنها خلقت قدرا من الأسطورية لا تزال تعيش بينهم حتى يومنا هذا صورها بنيامين دزرائيلي رئيس وزراء إنجلترا في رواية رومانية تاريخية بعنوان " حكاية الى روي ؟ الرائعة " تعكس عقيدة اليهودية المتعصبة واقتناع رجال السياسة اليهود في العالم بتلك الأفية البعيدة عن الإيمان بالله عز وجل وما حجبة عنا من الغيب ، وقد جاء السبب الفعلي للحروب الصليبية نتيجة للغزو السلجوفي لآسيا الصغرى ، فقد هال حكام بيزنطة زحف السلاجقة في قلب آسيا الصغرى واستيطانهم بها فأرسلوا يستنجدون بأوروبا من أجل دفع ذلك الخطر الداهم طلب الإمبراطور البيزنطي " والكسيس كوفين الأول" من إمبراطور هولندا عام ١٠٨٨م مساعدته في حربه ضد السلاجقة ووجد البابا " أربان الثاني" بابا الفاتيكان الكاثوليكي أن الفرصة قد سنحت للكاثوليك لتوحيد الكناس المسيحية فدعا الى نجدة المسيحيين في الدولة الرومانية الشرقية، وهكذا تجمع الصليبيون وساروا لرد السلاجقة عن أراضي الإمبراطور البيزنطية ثم استمروا في غزوهم وقتال المسلمين في الشام ومصر وتونس على مدي الفترة من ١٠٩٦-

١٢٩١م الى أن انتهوا بالعودة الى أراضيهم دون تحقيق نتائج إيجابية سوى إراقة الدماء التي أريقت من السلمين والمسيحيين علي السواء. ويعود اسم الحروب الصليبية نسبته الى صليب صغير أحمر مصنوع من القماش كان يلصق علي كتف كل فارس مسيحي يزمح السفر الى بلاد الإسلام للحرب .

وما ان عاد الفتح الإسلامي من جديد حتى بدأت المؤامرات تحاك ضد الإسلام بعد ان اصبح الغرب أكثر وعياً في عصر النهضة الأوربية . وعاش الغرب أربعة قرون كاملة في ظل السيطرة العثمانية بقوتها وضعفها، وظل الغرب يراقب سقوط الإمبراطورية العثمانية بعد أن أضحت هرمة ورجلاً مريضاً كما كان الغرب يطلق عليها ، وهو ماسيرد ذكره لاحقا .

الحواشي المرجعية

(١) محمد سيد طنطاوي . مصدر سابق . ص

(٢) علي عبد الرحمن السلمان . مصدر سابق . ص٥ .

(٣) محمد سيد طنطاوي . مصدر سابق . ص٢٦٧ .

(٤) نفس المصدر . ص٢٨٠ .

(٥) نفس المصدر . ص٢٦٤ .

(٦) صفي الرحمن المباركفوري . مصدر سابق . ص٣١٤ .

(٧) محمد سيد طنطاوي . مصدر سابق . ص٣١١ .

(٨) صفي الرحمن المباركفوري . مصدر سابق . ص٢٤٢ .

(٩) علي عبد الرحمن السلمان . مصدر سابق . ص٣٤ .

(١٠) علاء الدين المدرس . مصدر سابق . ص٥٧ .

(١١) نفس المصدر . ص٦٠ .

(١٢) ***العلاقات العربية الإيرانية*** . مصدر سابق . ص٦ .

(١٣) ***الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي*** . مصدر سابق ص١٩ .

(١٤) نفس المصدر . ص٥٩٦ .

الفصل الرابع
العرب وسياسات الإقصاء

كان العرب[١] يعيشون كقبائل متحالفة ومتنافرة في مناطق يغلب عليها الطابع الصحراوي ، وقد كانت صحراؤهم قاحلة وطاردة لغير سكانها الذين الفوا العيش فيها ، وكانوا يرتحلون من مكان الى آخر طلباً للمرعى أو على شكل قوافل تجارية، فلم يكونوا كثيري احتكاك بغيرهم ، وهو الأمر الذي ساعد على حفظ تراثهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم من التغيير والذوبان ، فامتازوا بفصاحة اللسان ودقة البيان والقدرة على الفهم والتعبير فكانوا مهيئين لاستيعاب مفردات الرسالة الجديدة ومعانيها ونقلها الى غيرهم من الأمم .

وكان بعض مالديهم من عادات و ثقافة وفكر وتراث يعد مفخرة في المقاييس الإنسانية كالنخوة والكرم والصدق والأمانة والمروءة وماشابهها من الصفات الحميدة بينما كان البعض الآخر منها سلبياً وجاهليا بكل ماتحمله هذه الكلمة من معنى كالتعصب القبلي الأعمى الذي أطلق عليه القرآن الكريم وصف الجاهلية والذي جعل واحدة من حروبهم ضد بعضهم تستمر أربعين سنة من أجل ناقة، وشاعت بينهم عبادات وفدت اليهم من الخارج إثر احتكاك بعضهم بغيرهم من الشعوب والأمم ، فأرسل الله اليهم رسول البشرية ليرسخ في نفوسهم ماشاع بينهم من قيم إنسانية ويحرم عليهم ماشذ منها عن الطريق المستقيم ، وينهاهم عن عبادة غير الله سبحانه وتعالى ، وليحملهم أعباء نقل تلك المفاهيم السامية الى غيرهم من بني البشر.

ولد النبي[٢] محمد صلى الله عليه واله وصحبه وسلم عام ٥٧١م واستمرت بعثته الشريفة الى عام٦٣٢م ، لم تكن براهينه التي يقنع بها الناس تعتمد بشكل أساسي على المعجزات والخوارق، بل كاد أن يكون بلا معجزة سوى تحرير العقل وبلا خوارق سوى إطلاق الفكر وبلا دليل غير كلمات الله وقد سعى الى توحيد العرب تحت راية لااله الا الله ، فوجهه سبحانه وتعالى في البداية الى مخاطبة بني قومه، إذ قال تعالى في كتابه الكريم " وأنذر عشيرتك الأقربين " ثم وسع سبحانه وتعالى الدائرة ليشمل بدعوته أهل المدينة ومن كانوا خارجها فقال سبحانه وتعالى"وكذلك أوحينا اليك قرآناً عربياً لتنذر أم

القرى ومن حولها " ثم وجهه سبحانه وتعالى مرة أخرى لهداية جميع بني البشر، فقال تعالى " إنا أرسلناك للناس كافة "

آمن العرب برسالته السامية منذ البداية ، ولكن الجاهليين منهم والمستأثرين بالسيادة لم يرتقوا الى مستوى تلك الرسالة ولم يعينوا نبي الهدى في نشرها أو مواجهة التحديات والمؤامرات التي تستهدفها،كما أسلفنا آنفاً ، بل كانوا جزءاً منها أو سبباً فيها بدافع من جهل أوقلة في وعي أو رغبة في مطامع آنية وعلى الرغم من النعمة النادرة التي أنعمها الله عليهم بنقلهم من هامش التاريخ الى بؤرته حينما بعث فيهم من يختتم الرسالات السماوية فإن الجاهليين لم يدركوا المغزى البعيد لتلك الرسالة السامية فشنوا الحرب عليه وعلى أصحابه، وتعرض الرسول الكريم(ص) وأصحابه المؤمنون الى كل أنواع المؤامرات، وخاض وصحبه الكرام معارك مثله مثل غيره من الرسل والأنبياء لإرساء كلمة الحق ، واستمر الكفار في مكابرتهم في الوقوف نداً لدعوة الحق التي جاء بها سيد الخلق فعقدوا اجتماعاً تزعمه الوليد بن المغيرة وضم جميع وجهاء قريش لتوحيد الهجوم عليه ، واتهوه بالسحر وبأنه كاهن وشاعر وبأنه مجنون وراحوا في اجتماعهم يدرسون سبل اجهاض دعوته.

وحتى حينما اقتنع حكماء و صناديد من قريش بالإسلام مثل حمزة وعمر رضي الله عنهما بالمعاني السامية للإسلام لم ينضم الجاهليون الى دعوة الوحدة ، بل استكبروا وكابروا ولجأوا الى الضغط الاقتصادي وعقدوا معاهدة لحصار المسلمين تضمنت عدم الزواج من أي مسلم والا يبيع أهل مكة للمسلمين أو يبتاعوا منهم شيئاً ولم يكتفوا بذلك بل سلطوا الرسول الكريم (ص) الحمقى والسفهاء ليرمونه بالحجارة ويسخرون منه في الطائف.

وقد كانت دعوته(ص) تهدف الى تحقيق المساواة والعدل وسنحت مرة أخرى فرصة الإتحاد على الحق عندما بايعه أهل المدينة بيعة العقبة الكبرى ولكن دعاة الجاهلية لم ينضموا اليهم وتنادى رؤساء مكة ومشركوها للإجتماع في دار الندوة لتدبير مؤامرة ضد النبي الكريم فاقترح فريق منهم أن يقيدوه في الحديد ثم يلقوه في السجن حتى يموت جوعاً ، واقترح آخرون أن ينفى من مكة ويطرد منها فتنفض قريش يدها منه ، واقترح أبو جهل أن يختاروا من كل قبيلة أو عائلة شاباً قوياً يسلح بسيف ثم يضربونه ضربة

رجل واحد ، وأحكمت أطراف المؤامرة واتفق على موعد التنفيذ وكشف القرآن الكريم تدبير الذين كفروا في قوله تعالى: "وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين" الأنفال:٣٠ فأوحى الله الى نبيه أن يهاجر من مكة الى المدينة، وقد أراد النبي منذ تلك اللحظة تأسيس دولة الإسلام ، وقد تم له ذلك بفضل من الله تعالى ، ولم تأت محاولاته لتوحيد كلمة العرب ، الا ليجعل منهم قدوة لإخوانهم المسلمين وكان العرب مؤمنين بالأخوة الإسلامية ولم يكن اهتماهم منصباً على من يحكمهم بقدر اهتمامهم على الكيفية التي يتم بها حكمهم وحكم المسلمين وغير المسلمين بالعدل والمساواة ،فمن لم يكن أخاً لهم في الدين كان أخاهم في الإنسانية، ، وذلك لأنهم كانوا متأثرين بهدي الإسلام الذي ساوى بينهم وبين غيرهم استنادا لقوله تعالى "ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم" فلم يقل سبحانه وتعالى ياأيها المسلمون أو ياأيها المؤمنون ، بل قال تعالى ياأيها الناس ليشمل الناس جميعاً المسلمون والمؤمنون وغيرهم ، وكذلك قول المصطفى (ص) لافضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى والعمل الصالح ، وقوله (ص) اسمعوا وأطيعوا ولو ولي عليكم عبد حبشي على رأسه زبيبة .لقد كان العرب حريصين على وحدة الكلمة ووحدة الصف واعتبروا أن من ينضم الى ركبهم يصبح واحداً منهم، وقد كانوا يدركون أن الدين الإسلامي لم يكن موجها للعرب وحدهم وأن أجناسا وأقواما ،بل وحتى ديانات أخرى سيعيش أبناؤها ضمن أفراد المجتمع الإسلامي ، مما جعلهم مهيئين منذ البداية للاندماج مع غيرهم تحت راية الإسلام ، تألم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ذات مرة لوفاة سالم مولى حذيفة والذي كان عبداً ، فلما سئل عن سبب ذلك الحزن أجابهم بأنه كان ينوي جعله خليفة للمسلمين من بعده كما جاء أبو ذر الى بلال راجياً منه أن يطأ خده ويسامحه لأنه قال له بعد مشادة بينهما يا ابن السوداء ، فعنفه النبي (ص) وقال له إنك إمرء فيك جاهلية وقد أتى ذلك الحرص الشديد على كرامة الآخرين بنتائج محمودة ، إذ شعر الجميع بالعدل والمساواة وانخرطوا جميعا في بناء حضارة قل أن يوجد لها مثيل ، كانت حماسة العرب لدين الله كبيرة بعد أن اعتنقوا الإسلام ، ولم يكونون يصبون لمغنم ولم يكن حب الدنيا يساوي ذرة من حب الآخرة ، ولكن ما إن

تراخى بأس الجاهلين حتى إندس بينهم متعصبون من نوع آخر تظاهروا بتقبل الإسلام ظاهريا ولكنهم أضمروا الشر وتآمروا على الإسلام والمسلمين ، وخاصة العرب منهم ، فتمكن بعضهم عبر التاريخ من الكيد للعقيدة السمحاء وأمعنوا فيها تحريفا وتشويها بينما تعمد آخرون إقصاء المخلصين من حملة الرسالة العرب عن دورهم المنشود ، وتعاون آخرون منهم مع أعداء العروبة والإسلام ، واستولى آخرون على مقاليد الحكم وجعلوه حكرًا على دوائرهم العرقية والمذهبية جاعلين من العرب والمسلمين وقودا لحروبهم .

أما العرب المؤمنون بالرسالة حق الإيمان فقد واجهوا خيارات صعبة بعد وفاة النبي الكريم(ص) وانتقال الخلفاءالراشدين الى رحمته تعالى واستشهاد سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين،وبعدوصول خبر مقتل الحسين الى عبدالله بن الزبير في المدينة خلع ابن الزبير بيعة يزيد بن معاوية فبايعه الناس في مكة والبصرة والعراق والجاز ومصروااليمن وجزء كبير من أهل الشام عام٦٤هـ واعتبروا أن الخلافة الراشدة قد انتهت عند ذلك(٧٣هـ . ٢٩م)

وأن مرحلة جديدة قد لاحت نذرها المشؤومة في ذلك التاريخ المبكر للإسلام وهي مرحلة الملك العضود الذي استبدل الشورى والاختيار الموضوعي للحاكم والقبول المسئول لتولي المنصب أمام الله والسنن التي سنها رسولنا الكريم وصحبه الكرام بأنواع مختلفةمن أشكال الحكم التي تستند على العصبيات العرقية والقبلية والعقائدية وعلى الغيبيات والأشكال المتعددة لنظريات التفويض الالهي .

وفي الوقت الذي كان العرب والمسلمون الأتقياء يتقربون فيه الى الله سبحانه وتعالى بنبذهم للعصبية و للجاهلية، دخل الإسلام أقوام اضطهدوا العرب ولم يساووا حتى بينهم وبين غيرهم ممن حمل العرب رسالة الإسلام اليهم ، وحتى الدولة الأموية العربية وهي القريبة من المسلمين الأوائل والتي كان من المفترض بها أن تراعي من نزل القرآن الكريم بلغتهم تداولت الحكم فيما بينها واستأثرت به وعلى الرغم مما للأمويين من فضل في بناء الدولة الإسلامية واستكمال الفتوحات الإسلامية في أفريقيا وبلاد المغرب [٣] والأندلس وبلاد ماوراء النهر وبلاد الترك وبلاد الروم ، الا أن التعصب والإستفراد بالحكم وإقصاء الحكماء والمخلصين الأتقياء جعل الأمويين يواجهون فتناً ومؤامرات وثورات أعيتهم وقضت على دولتهم مثل ثورة التوابين الذي ندموا على

تخاذلهم ،إذ كانوا قد شجعوا الحسين رضي الله عنه على القدوم اليهم ثم تخلوا عنه ، وثورة المختار الذي زعم أن محمداً بن الحنفية أرسله للأخذ بثأر سيدنا الحسين ، وثورات الخوارج وابن الأشعث ، ثم سقوط دولتهم على أيدي العباسيين.

وما إن تمزق شمل العرب والمسلمين واختلفت كلمتهم،حتى بدأت روح الجاهلية تعود اليهم من جديد بانقسامهم الى شامية ومضرية ويمنية وعرب حجازية وبربر،وانعكس ذلك علىفتوحاتهم في الأندلس ، وكان جل جندهم من العرب،وبدأت محاولات الفتح الأولي عام (٩٢هـ .٧١١م) وقد كان مقدراً لها أن تكون أكثر سلاسة لولا محاولات الخوارج تاليب البربر ضد القادمين الجدد من العرب ، ولولا العداء الذي كان محتدماً بين العرب الأوائل الذين وفدوا الى الأندلس من الحجاز والذين لم يكونوا يكنون وداً في أنفسهم للأمويين بعد استيلاء الأمويين على الحكم وبين عرب الشام القيسيين الذي قادوا الفتوحات الأموية في الأندلس، وبسبب عودة الروح الجاهلية بالاقتتال بين المضريين واليمانيين

وبعد انهيار الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية هرب عبدالرحمن الداخل الي أخواله البربر ليؤسس دولة بني أميه في الأندلس فلجأ أعداؤه الي شرلمان قائد الصليبيين للقضاء عليه ، وواجه الداخل الصعاب الى أن أسس دولة في الأندلس ازدهرت في حكمه وحكم خلفائه الذي حكم منذ عام(١٣٨هـ .٧٥٥م)، ولكن التنازع على الحكم أدى الى الفرقة والشقاق بين الأمويين لدرجة أنهم كانوا يستعينون بنصارى الشمال ضد بعضهم البعض في الحرب ، فتعثرت مسيرة العرب والمسلمين بسبب خلافاتهم ، فلما سئم الناس منهم ومن خلافاتهم ثاروا عليهم وأعلن الوزير محمد بن جهور إنتهاء الدولة الأموية عام ٤٢٢هـ ، وبزغ حكم جديد هو حكم الدولة من قبل مجموعة من الوزراء، وقد كان بالإمكان أن يكون ذلك حلاً عملياً مع مراعاة الإستناد على الشورى واختيار الأكفأ من الوزراء ، الا أن الأنانية التي زينت لكل أمير أن يستقل بإمارته ، فانقسمت الدولة الي عشرين مقاطعة وسميت تلك الفترة بفترة ملوك الطوائف التي استمرت مابين الأعوام (٤٠٠-٤٨٤هـ) (١٠٠٩- ١٠٩١م) ولكن ماهو أمر من ذلك أنهم نسوا أن هناك عدواً يتحين فرصة اختلافهم وهو "ألفونسو السادس ملك قشتالة" الذي وحد تحت إمارته أستوريا وليون وقشتاله، وكان ملوك الطوائف[٤] يخشون غضبه ويطلبون

وده ويستعينون به في مواجهة أحدهم للآخر،فطمع بهم وأراد القضاء عليهم. وكادت الأمور أن تؤدي الى انهيارهم جميعاً لولا قيام يوسف بن تاشفين بقيادة قوات غيورة على الدين بدحر "الفونسو" عام (٤٨٠ – ١٠٨٧ م) ولم يكن ابن تاشفين يطمع في الإستيلاء على حكمهم ، ولكن ملوك الطوائف[٤] كانوا يعودون للإقتتال فيما بينهم بعد كل مرة ينقذهم فيها ابن تاشفين فقام بوضع نهاية لذلك بتوحيد تلك الممالك رغم أنف المعترضين منهم مؤسساً بذلك دولة أسماها "دولة المرابطين" الذين حكموا الأندلس منذ عام (٤٨٤هـ – ١٠٠٩م) الي عام ٥٣٩هـ وتم بذلك حفظ الأندلس من الضياع في تلك الفترة من التاريخ خاصة أن حكمهم كان يتسم بالصلاح والتقوى ، الا أنه وبعد وفاة ابن تاشفين عام ٥٠٠هـ تحركت نوازع العودة الى الملك القديم عند بعض من فقدوه وافتقدوا معه حياة الترف والبذخ فثاروا على المرابطين واستقل كل أمير بأمارته من جديد ، وعادت الممالك الى أكثر مما كانت عليه قبل حكم المرابطين من انقسام واختلاف وتشاحن وعادت معها قصص الأطماع الصليبية من جديد الى أن ظهر من أحفاد العلويين الادارسة فارس ورع كان متأثرا بآراء ابن حزم فتصدى للصليبيين ولبقايا عهد المرابطين ووحد الأندلس مرة أخرى وأسس دولة الموحدين التي استمرت منذ عام (٥٣٩ هـ . ٦٢٠هـ) ولكن الصليبيين جمعوا فلولهم من فرنسا والمانيا وانجلترا وايطاليا عام (٦٠٩هـ . ١٢١٢م)، ولم يستطيعوا القضاء عليهم لولا طموح المتمردين عليهم و المنافسين لهم الذين اضعفوا قوتهم فهزموا جمعيا ولم يبق للعرب الا غرناطة التي حكمها بنو الأحمر منذ عام (٦٣٠ هـ . ١٢٢٣ م) وفي تلك الفترة توحد ملك الصليبيين بزواج ايزابيللا ملكة قشتاله وفرديناند ملك اراغون للقضاء على المسلمين ، ولكنهم مع ذلك فشلوا في القضاء على حكمهم لولا خيانة أبو عبدالله ابن حاكم غرناطة الذي حارب أباه بتشجيع من الصليبيين حتى مات أبوه كمداً ،ثم حارب عمه عبدالله الزغل الذي تولي الحكم من بعد أبيه ، فاستغل فرديناند وايزابيللا الفرصة واستوليا على قلاع رندة ومالقه ، ولم يكتف أبو عبدالله بالخيانة ، بل بعث يهنئهما بالانتصار ظناً منه أن الأمر سيستتب له بعد ذلك، ولكن ايزابيللا وفرديناند قلبا له ظهر المجن وحاصراه بجيوشهما مدة ثمانين يوماً حتي عانى أهل المدينة من المجاعة فاستسلم أبو عبدالله عام (٨٩٧ هـ .١٤٩٢م) وخرج باكيًا لتقول له أمه قولتها المشهورة "إبك مثل النساء ملكاً

مضاعاً لم تحافظ عليه مثل الرجال " أما أهل غرناطة العرب المغلوبون على أمرهم والذين ضمن الصليبيون لأبي عبدالله أرواحهم وأموالهم وعقيدتهم وفق شروط التسليم فقدعانوا الأمرين بعد أن نكث الصليبيون تلك الشروط وشرعوا يوسعونهم قتلاً وتدميراً ولم يرحموا منهم شيخاً أو طفلاً أو امرأة فانتهكوا الحرمات واجبروا المسلمين على اعتناق المسيحية أوالموت

وعودة مرة أخرى الى المشرق العربي[٥] حيث انتهي حكم الأمويين عام (١٣٢هـ . ٧٩٤ م) وحل محله حكم العباسيين الذي لم يكن حال العرب فيه بأفضل من سابقه ،حيث أخذ مناصروهم من غير العرب يحيكون المؤامرات ليبنوا لأنفسهم أمجاداً على حسابهم، ولما انتصر أبو العباس السفاح على الأمويين أمعن في الأمويين تقتيلا وذبحاً، ثم جاء من بعده أخوه أبو جعفر المنصور عام (١٣٦. ١٥٨ هـ) (٧٥٣ .٧٧٤ م) ليواجه ثلاثة من المنافسين له وهم عمه عبدالله بن علي الذي رفض البيعة للمنصور وبايع نفسه ، وأبا مسلم الخراساني الذي أصبح نفوذه يهدد المنصور في خراسان ، وابن عمه محمد بن عبدالله من بني هاشم المنتخب من الهاشميين ، ولكن الأمر انتهى الى قضائه على متحديه ثم جاء عهد هارون الرشيد الذي توجس شراً من البرامكة فقضى عليهم قبل أن يقضوا عليه ، ولما جاء عهد المأمون الذي اختلف فيه مع أخيه الأمين قرب اليه الفضل بن سهل الفارسي الأصل والذي قام بدوره بتثبيت الفرس على حساب العرب ، ولما جاء من بعده المعتصم حارب بابك الفارسي الذي أحل الخمر ونكاح المحارم ثم ادعي الالوهية وأراد إعادة المجوسية والقضاء على ملك العرب وتحويله الي الفرس وتحالف مع ملك الروم فقاتله المعتصم وقضى عليه ، ثم مال على الروم وانتصر عليهم في موقعة عمورية ، وكان من بين جنده قواد عرب واتراك فكان جزاء القادة العرب منه هو إقصاؤهم وسلم الأمر الي القادة الأتراك، وأحس المتوكل بازدياد نفوذ القواد الأتراك وتحكمهم بالدولة ، فأراد تقليل نفوذهم والحد من صلاحياتهم ولكنهم شعروا بذلك فقتلوه ، وازداد بعد ذلك نفوذهم وأصبح الخلفاء العباسيين طوع بنانهم بعد وفاة المتوكل لدرجة أنهم دخلوا ذات مرة على الخليفة المعتز وطلبوا منه ان يخلع نفسه عن الحكم فرفض فأوسعوه ضرباً وعذبوه وهو يبكي حتى خلع نفسه وعينوا بدلاً منه المهتدي بالله .

ويمكن القول بأن الحكم الفعلي منذ عهد احمد المستعين الذي حكم منذ (٢٤٨ هـ . ٢٥٢ هـ) كان بيد القادة الأتراك ، واستمر الأمر على ماهو عليه الي عهد الخليفة الثالث والعشرين المطيع والذي كان فيه الخليفة تحت سيطرة البويهيين الفرس ، واستمروا الحال الى ما هو عليه حتى خلافة القائم (٣٤٤هـ .٦٧٠هـ) حيث عادت السيطرة للسلاجقه منذ عهد المقتدي الي نهاية عهد المستنصر ، وفي عام ٦٥٦هـ نزلت بسكان بغداد والعرب ضربة قاصمة بعد ان انهي المغول الخلافة العباسية ببغداد كما يمكن القول بأن الحكام الإسميين كانوا هم العباسيون ولكن الحكام الفعليين[٦] كانوا سلالات متعاقبة مثل :

١ – الدولة الرستمية من (١٦١ هـ . ٢٩٦هـ)

٢ – دولة الادارسة من (١٧٢ هـ . ٣٧٥ هـ)

٣ – دولة الاغالبة من (١٨٤ هـ . ٢٩٦ هـ)

٤ – دولة بني زيري من (٣٦٢ هـ . ٥٤٧ هـ)

٥ – الدولة الطولونية من (٥٤ هـ . ٢٩٢هـ)

٦ – الدولة الإخشيدية من(٣٢٢ هـ . ٣٥٨هـ)

٧ – دولة بني حمدان من (٢٩٣هـ . ٣٩٢هـ)

٨ – الدولة السامانية من (٢٦١هـ . ٣٨٩هـ)

٩ – الدولة الغزنوية من (٣٦٦هـ . ٥٨٢هـ)

١٠–الدولة الخوارزمية من(٤٧٠هـ . ٦٢٨هـ)

١١–الدولة الغورية من (٥٩٨هـ . ٦٨٦هـ)

أما العبيديون الذين واكبوا تلك المرحلة من التاريخ فقصتهم بدت وكأنهاقصة من كان له ثأر مع العرب أوالإسلام أو أراد البحث عن مجد مزيف ، وقد شهد التاريخ ظهورأقوام يدعون في البداية انهم من ال البيت الكرام أو مناصرين لهم ثم لا يلبثون أن ينشقوا عن المؤيدين الحقيقيين لآل البيت من السنة والشيعة لتتكشف حقيقة مزاعمهم التي ساقوها لمصالحهم الشخصية أو الفئوية ، ومن أولئك المدعين شخص اسمه سعيد بن أحمد من مواليد الكوفةعام٢٦٠ هـ من أحفاد ميمون القداح وخطط الباطنيون لنشر دعوتهم فنقلوا الإمامة اليه وخلعوا عليه اسم عبيد الله بن محمد بن اسماعيل بن

جعفرالصادق (عبيد الله المهدي) وحاولوا نشر دعوتهم في اليمن ولكنهم لم ينجحوا لوجود اتباع الإمام زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم أجمعين ، ولكنهم حينما أرسلوا داعيتهم أبا عبدالله الشيعي لينشر دعوته في المغرب تعاطف الناس معه لحبهم لال البيت الكرام ،واستمال عبيد الله المهدي وزراء الأغالبة وتعاطفوا معه لكنه تنكر لهم بعد ذلك وطردهم من مدينتهم رقادة بعد أن حشد أبو عبدالله الشيعي جيشاً من الناس للقضاء عليهم. وقد قال في مدحه أحد أتباعه أبياتاً يوم قدومه الى رقادة تدل على حقيقة عقيدتهم في الحلول :

حل برقادة المسيح حل بها آدم ونوح

حل بها الله ذو البرايا وكل شيىء سواه ريح

وحينما استتب الأمر لعبيد الله أنكر فضل أبي عبدالله الشيعي [٧] فقتله وقتل أخاه العباس حتى يستفرد بالسلطة ، وأسس دولة أسماها الفاطمية عام

(٢٩٧هـ . ٩٠٩م) ولكن أهالي المغرب ثاروا عليه لغدره ثم ثاروا على أبنائه من بعده فاتجهوا الى مصر بقيادة جوهر الصقلي بعد أن أعطى لأهلها العهود بأن لايتعرض لمذهبهم السني، وقد دخلها المعز لدين الله عام

(٣٦٢ هـ . ٩٧٣م) ولكنه أبعد جوهر الصقلي عن الأضواء حتى لاينافسه وقذف به في الحروب بعيداً عن الحكم حتى أفل نجمه ، ثم نكث بعهوده لأهل مصر وأخذ يحاول تغيير مذهبهم ، وحين قدومه أراد بعض العلويين التأكد من درجة قرابتهم لابن عمهم الجديد القادم الى مصر فتقدم الى موكبه ثلاثة منهم هم أبو جعفر الحسيني وأبوإسماعيل الحسيني ، وابن طباطبا أحد أحفاد الحسن السبط وسألوه: الى من ينتسب مولانا ؟ فأشار عليهم بالإنتظار حتى يجمع الناس فلما اجتمع حشد كبير منهم سال الأشراف إذا كانوا كلهم موجودين ، فقالوا له بأن المعتبرين منهم موجودون فاستل سيفه الى النصف وقال لهم : هذا نسبي ،ثم نثر فوق رؤوس الحاضرين الذهب وقال : وهذا حسبي ففهم الجميع رسالته وهي اقبلوني كما أنا والا...

وإمعاناً من المعز في عدائه للمسلمين قرب اليه غير المسلمين من يهود ونصارى واسندا اليهم المناصب العليا ، وسارعلى ذلك أبناؤه من بعده فلم يكتف العزيز بالله بتعيين وزير يهودي هو يعقوب بن على بل تزوج من نصرانية استطاعت أن تقنعه بأن

يحجب المناصب العليا عن العرب المسلمين وان يعين بدلاً منهم أقاربها وبني ملتها ، ثم عين منشا بن إبراهيم اليهودي والياً على بلاد الشام ، وكان لإثنين من النصارى هما منصور بن مقشر وعيسي بن نسطورس الكلمة العليا فتره حكمة واستمر الأمر كذلك الي أن جاء الحاكم بأمر الله والذي تسلط على أهل مصر بآرائه المتناقضة حيث كان مصاباً بمرض انفصام الشخصية فقلد الوزارة منصور ابن عبدون النصراني ثم هدم كنيسة ، وأمر بسب الصحابة على المنابر ثم عاد عن ذلك وأمر النساء بعدم الخروج من المنزل ، وفي عهده وفد اليه جماعة من الفرس وكان من أشهرهم محمد بن إسماعيل الدرزي الذين اعتنقوا المذهب الاسماعيلي ولكنهم زادوا عليه فكرة تاليه الحاكم فأعجبته هذه الفكرة وقربهم اليه على حساب العرب المصريين ، وكان هذا الدرزي هو السبب في انتشار تلك الأفكار في بلاد الشام.

ولما جاء المستنصر بالله [٨] الفاطمي قرب اليه اليهود واسند اليهم المناصب الرفيعة وذلك لان والدته كانت أمةً في بيت يهودي اسمه سعد بن إبراهيم التستري قبل أن يتولي إبنها الخلافة ، فلما أصبح إبنها خليفة قربت ذلك اليهودي وأصبح ذا حظوة في في ذلك العهد فتحيز لبني ملته علي حساب العرب المسلمين ، أما في عصر نفوذ الوزراء في العهد الفاطمي فقد كان الوالي المعين هو بهرام الارمني النصراني، ولكنه طمع عام ٥٢٩هـ بالوزارة وحاصر القاهرة بجنوده فولوه إياها حيث عاني العرب المصريين من تحيزه لبني قومه الأرمن النصارى ، وقد كثرت في العهد الفاطمي الاستعانة بالفرنجة لتثبيت حكمهم مما أغري الصليبيين بالقيام بالحملة الصليبية الأولي التي هزموا فيها سلاجقة الروم وأسسوا إمارات مثل إمارتي ارمينية والرها، وهزموا كذلك سلاجقة فارس فاحتلوا إنطاكية واحتلوا اللاذقية بعد حرب مع سلاجقة الشام .

وقد اسعد ذلك الفاطميين الذين كانوا يريدون القضاء على السلاجقة المسلمين في الشام ، فعقدوا اتفاقا مع الصليبين بحيث يكون شمال الشام لهم بينما تكون فلسطين للفاطميين ، واعتقد الفاطميون أن الأمر استتب لهم، الا أنهم ذاقوا بعد ذلك مرارة الغدر، إذ نقض الصليبيون عهودهم وهجموا على بيت المقدس ونكلوا بأهلها وغرقت المدينة بدماء العرب المسلمين.

ثم مضوا بعد ذلك يحتلون المناطق الاخري وينكلون بأهلهاالمسلمين ، ولكن الله هيأ للمسلمين بطلاً هو عماد الدين زنكي الذي اظهر بطولة نادرة ، وإدارة عسكرية فذةً حتى استطاع أن يدحر الصليبيين ، ولكن يد الغدر الباطنية امتدت اليه فاغتالته وهو يجاهد في سبيل الله عام ٥٤١هـ ،الا أن الله عوض العرب والمسلمين بنور الدين صاحب حلب وبأخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل فتتبعهم نورالدين حتى أخرجهم من أنطاكية ، وأراد نور الين أن يبين للناس كافة ولأهل مصر خاصة معنى الترفع عن أنانية الحكام والدعوة لتوحيد المسلمين فأمر صلاح الدين الأيوبي في عام ٥٦٧هـ أن يدعو في أول خطبة جمعة في مصر للخليفة العباسي ، ولما توفي رحمه الله ظن الصليبيون أن المسلمين سيعودون الى سابق عهدهم في الخلافات ، خاصة بعد ظهور بوادر الضعف حينما تولى أبنه الصالح إسماعيل الحكم بعده والذي كان صغير السن ،ولكن صلاح الدين لم يكن ليترك الأمور لتتردى ويحل بالمسلمين الدمارمثلما كان يحدث في كل مرة ،فتصدى صلاح الدين لهم وللفاطميين الذين تآمروا معهم ،وكتب التاريخ ملاحمه المجيدة الغنية عن الذكر والتي شهد له بها الأعداء قبل الأصدقاءالى يوم وفاته عام٥٨٩ هـ ، وقد استلم الحكم من بعده أبناؤة وأقرباؤه فكان منهم الصالح ومنهم الطالح وتعرضوا لتهديد جديد من الخوارزميين الذين شتتهم جنكيزخان فتجمعوا في أصفهان ، وكادت الأمور أن تفلت من أيدي الأيوبيين لولا تصدي الصالح أيوب للصليبيين ولعمه إسماعيل الذي تعاون معهم ، وقد ساعده على ذلك تجنيده للمماليك وتحالفه مع الخوارزميين ، ولما توفي سار ابنه توران شاه [٩] على نهج أبيه في التصدي للصليبيين ، ولكن زوجة أبيه شجرة الدر تآمرت عليه بالتعاون مع المماليك الذين خشوا من نفوذه، ثم تولت شجرة الدر الحكم ولكنها عزلت نفسها لما لمسته من صعوبة في توليها لمقاليد الحكم، واتفق المماليك عام ٦٤٨هـ على تولية ابنها الأشرف موسى الحكم وعمره ٨ سنوات على أن يتولى أحد مماليك الملك الصالح وهو عز الدين ايبك الوصاية عليه ، وكانت شجرة الدر تريد أن تحكم من خلف ستار فلجأت للزواج منه اعتقاداً منها بأنها ستسوسه و ستتمكن من السيطرة عليه ، الا أن أيبك ارتاب بها فخلع ابنها وسلب الحكم منها وانتهى بذلك حكم الأيوبيين وحل محله حكم المماليك،ولكن" أيبك" نفسه مات مغدوراًعام٦٥٥هـ فتم تعيين ابنها كحاكم

وعمره ١١ سنه ، ولكن سيف الدين قطز خلعه وقام بأمر الحكم ، وفي عهده سقطت بغداد بيد التتارعام(٦٥٦ هـ .١٢٥٨م) واستمر الأمر على ذلك الى أن مات آخر سلطان مملوكي هو الناصر محمد بن قلاوون فتنازع المماليك من بعده على الحكم مما أدى الى انقراض دولتهم وورثهم بعد ذلك المماليك الشراكسة(البرجية) الذين سيرد ذكرهم لاحقاً.

ولابد لنا أن نورد لمحة عن المغول أو التتار الذين أذاقوا العرب والمسلمين الأمرين بعد أن مهد لهم ابن العلقمي الطريق بخيانته للمسلمين بعد أن حاز ثقة الخليفة العباسي واستوزره وجعله أقرب المستشارين اليه.

أما لفظ التتار[١٠] فيطلق على قبائل المغول والترك والإيغور والسلاجقة وغيرهم من سكان صحراء غوبي التي تقع في شمال الصين ، وكانواوثنيين ويعبدون الكواكب ، ولكن غلب عليهم اسم المغول لسيطرة جنكيزخان المغولي لكثرة انتصاراته ولشهرته. وامتدت غزوات المغول من أقصى الشرق مروراً ببلاد المسلمين الى حدود اوروبا بما في ذلك منطقتنا العربية . ومن آثار حروب المغول تعرض العرب والمسلمون لهجمات مدمرة ، من أبرزها هجمتان شرستان الأولى قادها هولاكو والثانية كانت بقيادة تيمورلنك، وكان من عادة المغول أن يقسم الحاكم امبراطوريته بين أبنائه من زوجته الأولى، فقام جنكيزخان

(١١٦٧- ١٢٢٧م) بتقسيم المناطق التابعة له وفقاً لذلك العرف السائد بينهم ، وقد كناكعرب الى جانب بلاد فارس وخراسان من نصيب ابنه" تولاي " الذي أذاق العرب هو وإبنه هولاكو (١٢١٧ . ١٢٦٥م) ومن تلاه من حكام المغول من بعده الذل والهوان ومر العذاب وأسسوا دولة اسمها "الدولة الأيلخانية" ، فبعد سقوط بغداد مضي المغول الوثنيون ينشرون الخراب والدمار وحكموا مناطق عربية وإسلامية كثيرة ، واضطهدوا العرب والمسلمين وعينوا النصارى كوزراء مكانهم ، وقد كانت زوجة هولاكو المحببة نصرانية فتحالف مع بني ملتها ضد المسلمين ، ثم ورثه إبنه أباقا خان (١٢٦٥ . ١٢٨١م) الذي كان متزوجاً من إبنة إمبراطور القسطنطينية وامتلأ بلاطه بالقسيسين وراسل ملوك الغرب وبعث لهم بالسفراء ليتحالفوا معه ضد المسلمين ، وتسلط الحاكم التتري" إبل سيان " مع مؤيديه من النصارى عليهم وتجبر نائب هولاكو "كتبغا"

وأخذت مدن الشام تسقط واحدة تلو الأخرى لتتكرر نفس معاناة السلب والنهب والإعتداء على الأرواح والأموال والأعراض ، فتحرك علماء الدين في مصر بقيادة القاضي بدر الدين السنجاوي والشيخ عز الدين بن عبدالسلام وألهبوا غيرة المسلمين وجمعوا الأموال منهم للإنفاق على معركة التصدي للتتار، وتحرك سيف الدين قطز فهزم التتار في معركة عين جالوت بجيش يقوده بطل مغوارهو الظاهر بيبرس الذي أعاد للأذهان سيرة صلاح الدين في تصديه للصليبيين وبايع بالخلافة أحد أبناء العباسيين الذين فروا من بطش المغول في بغداد وهو المستنصرعام(٦٥٩هـ .١٢٦١م) ، ولما قتل المستنصر وهو يحارب التتار خلفه الحاكم بأمر الله ليؤسس للعباسيين حكماً في مصر، وقد تصدى بيبرس في فترة توليه للأمور من سنة
(٦٥٨ هـ . ٦٧٦ هـ)(١٢٦٠-١٢٧٧م) للصليبيين وللتتار وللباطنية (الحشاشون) وقد أعانه على ذلك" بركه خان حفيد جنكيزخان وابن عم هولاكو، الذي اهتدى قلبه للإسلام ، فوقف بوجه أبناء عمه الى أن توفاه الله عام(٦٧٥ هـ .٢٦٧م) ،
وفي عام٦٧٦ هـ تولى السلطان قلاوون مقاليد الحكم في الفترة ما بين
(٦٧٨ هـ . ٦٨٩ هـ) وتصدى فيها ومن بعده أبناؤه للتتارالذين هاجموالشام وأعانهم على ذلك فقيه مجاهد هو ابن تيمية (١٢٦٣-١٣٢٨ م)الذي كان عالماً ومجاهداً الى يوم وفاته ، ثم مالبث الإسلام أن يدخل في قلوبهم وحكموا بلاد العرب والمسلمين وحدثت حروب بينهم بسبب اعتناق بعضهم الإسلام وبقاء البعض الآخر على وثنيته وبسبب اتخاذ أكثرهم المذهب السني مذهباً له بينما مال بعضهم الى التشيع وبسبب تنازعهم على مناطق الحكم الخاصة بكل منهم، ، ثم جاء بعد ذلك أرغون (١٢٨٤ – ١٢٩١ م) الذي كان يكره المسلمين وأزاح عمه تكودار أحمد الذي أسلم ، وحارب كل حاكم مغولي يعتنق الإسلام ومنع المسلمين من تولي المناصب المهمة وحرم عليهم الظهور في بلاطه، وجاء من نسله "اوليجايتو" الذي كان نصرانياً ثم أسلم واعتنق المذهب الشيعي وأجبر الناس على التشيع ليحارب بهم المماليك السنة ،واتجه الى مكة لمحاربة أهلها السنة ولكنه مات قبل أن يحقق مبتغاه ثم جاء من بعده ابنه "أبو سعيد" الذي عاد المذهب السني في عهده .

أما الهجمة الهمجية الثانية على الحضارة العربية فقد شنها تيمورلنك (١٣٣٦ – ١٤٠٥م) الذي قاد حروباً بربرية ضد كل من واجهه بعد قضائه على منافسيه من المغول . وقد امتدت حروبه الهمجية من آسيا الى عمق روسيا مما أعطى فكرة سيئة عن الإسلام الى يومنا هذا والإسلام بريء مما قام به ، فهو لم يكن ينتمي الى الإسلام الا بالإسم ، بل إن العرب والمسلمين كانوا أكبر المتضررين من بربريته ، فقد غزا حلب عام ١٤٠٠م فاحتل مدنها وأحرقها واستحل مدنها لمدة ثلاثة أيام واحتل بغداد عام ١٤٠١م فمضى يوسع أهلهاالعرب ذبحاً ودماراً وتقتيلاً ودمر مكتباتها ومحا أوجه الحضارة وارتهن العلماء عنده فيها مما أسهم في ضعفها وانهيارها . وكانت هوايته هي أن يكوم جماجم الجيش المهزوم ليجعل من تلك الجماجم هرماً ، وبعد وفاته اختلف أبناؤه وأحفاده الى أن ضعفت الدولة التيمورية في فارس فورثها الصفويون .

أما العثمانيون فالحديث عنهم يطول شرحه نظراً لطول فترة حكمهم وارتباطه بتاريخنا المعاصر ، إذ بدأ تاريخهم عام ٦٩٩هـ وتسلموا مقاليد الخلافة الإسلامية عام٩٢٣هـ وانتهت دولتهم عام١٣٣٧هـ ، ورغم سلبيات حكمهم ، الا أنه كانت لهم إشراقات في مواجهة الصليبيين ، ولكن أعداءهم حرصوا على تشويهها بسبب طابعها الإسلامي فلما تخلص العرب من حكمهم فيما بعد رسخت في أذهانهم الكثير من سلبياتهم ولم يعد يذكر أي جانب لهم سوى أنهم احتلوا ديارالعرب وتسببوا في تخلفهم .

لم تكن تركيا الحالية [١١] هي الموطن الأصلي الحالي للعثمانيين بل كانت قبائلهم وهي من الجنس المغولي من أبناء يافث بن نوح وسكنوا في مناطق تبدأ من خرسان مروراً بتركستان امتداداً الى الصين ، وقد اعتنقوا الإسلام في العهد الأموي وأعتمد عليهم المعتصم في العهد العباسي ومن بعده المتوكل في صد الجيوش البيزنطية وحينما ضعفت الدولة العباسية كان العبء الأكبر يقع عليهم في صد الهجمات الرومية ، وبذلك تكونت دولتهم دولة السلاجقة.

ومع هجمات الروم والمغول ثم هزيمتهم ضعفت دولة السلاجقة فبرز أحد قادة قبائلهم واسمه ارطغرل واستطاع أن يهزم البيزنطيين، ولما توفي ارطغرل عام ٦٩٩ هـ تسلم الأمر من بعده أبنه عثمان مؤسس الدولة العثمانية ودخل في معارك مع الروم الذين

استعانوا بالمغول فهزمهم جميعاً ، وأكمل ابنه امراد الأول مسيرته واستعان به إمبراطور بيزنطة "يوحنا الخامس "عام ٧٥٦ هـ لمواجهة الصرب ، وتصاهر العثمانيون مع المسيحيين في بيزنطة وفي نفس الوقت حاربوا المسيحيين الآخرين في أوروبا.

ومن ناحية أخرى دخلا في حروب مع القرمان في الأناضول حتى احتل عاصمتهم أنقره، وكان جيشه يتكاسل عن الدخول في حرب مع المسلمين فتصالح مع أمير القرمان علاء الدين وتزوج من ابنة ، وكان بين الأرثوذكس والكاثوليك عداوة شديدة فحارب الأرثوذكس الى جانب المسلمين وكان الجندي الأرثوذكسي يعامل مثل معاملة الجندي المسلم ، وحقق العثمانيون إنتصارات على جيوش أوروبا ، ولكن تيمورلنك طلب من بايزيد تسليمه سلطان بغداد الذي التجأ اليه بعد سقوط بغداد ،ولكن بايزيد رفض ذلك ، فهجم على العثمانيين في عام ٨٠٤ هـ وقضى على جيوش العثمانيين، ولم يكن لتيمورلنك رغم جبروته أن يحقق ذلك الإنتصار لولا الخيانات التي دبر لها رجل جاء من فارس واسمه بكتاش قبل التحام الجيشين بأمد حيث ادعى الكرامات وتسلل الى الإنكشارية وأسس طريقة صوفية فتأثر به الإنكشارية وأصبحوا يطيعونه في كل أمورهم ، وكان جيش بايزيد أكثر بكثير من جيش تيمور لنك ولكنه لم يكن على علم بالمؤامرة التي كانت في انتظاره ، حتى إذا سار الجيشان لملاقاة بعضهما بدأت الخيانات بالظهور حيث بدأت أفواج من جنوده يتخلون عنه ويلتحقون بجيش تيمورلنك ، وبعد أسر بايزيد تفرق أبناؤه وتنازعوا على الحكم ودخلوا في حروب ضد بعضهم البعض مما زاد من تفاقم الوضع حتى كادت الدولة العثمانية أن تضعف لولا بروز السلطان مراد الثاني (٨٢٤- ٨٥٥ هـ) فاعاد للدولة العثمانية قوتها ولكن الجيوش الصليبية الأوربية تجمعت عليه ودخل مراد الثاني في حروب منهكة معها الى أن توفي عام ٨٥٥ هـ فاستلم أبنه محمد الثاني الحكم ، وكان من أشهر حكام الدولة العثمانية ولقب بـمحمد الفاتح لكثرة الفتوحات التي تمت على يديه واهمها فتح القسطنطينية .ولما توفي عام ٨٨٦ هـ خلفه أبنه بايزيد الثاني الذي كان ضعيفاً فالتف الأنكشارية حول إبنه سليم الأول الذي انتبه الى تخلخل الوضع في المناطق الأسلامية ومن ضمنها منطقتنا العربية بسبب توغل الصليبيين وبسبب بروز الصفويين الذين لم يكتفوا باحتلال بعض مناطق نفوذ العثمانيين ، بل أخذوا يجبرون سكان المناطق التي

يحتلونها على التشيع ، وكذلك بسبب استياء الناس من بقايا المماليك فحول اتجاهه من الغرب الى الشرق ليعيد الأمور الى نصابها .

أما الإنكشارية فسنحاول التطرق للحديث عنهم قبل التطرق لما فعله سليم الأول بعد اتجاهه الى المناطق الإسلامية ، فالإنكشارية هم الذين لجأ القائد العثماني علاء الدين الإبن الأكبرلعثمان الأول الى احتوائهم ، وهم من الأيتام والمشردين من أبناء الروم فأكرمهم ورباهم تربيه إسلامية وعسكرية وكون جيشاً اسمه (يني تشري) أي الجيش الجديد التي حرفت بالعربية الى الإنكشارية ، وكان قصده من ذلك الإيحاء للجيش القديم المكون من عدة قبائل بعدم التحزب لقبائلهم لأن بإمكانه الإستغناء عنهم ، ولكن الإنكشارية كانوا كغيرهم من القيادات العسكرية التي ما إن تشعر بقوتها حتى تتطلع الى الإستيلاء على السلطة ،فكانوا كثيراً ما يتمردون على العثمانيين فيعزلون من لايعجبهم وينصبون من يشاؤون وفق هواهم فكثرت أغتيالات السلاطين لإخوانهم خوفاً من طمعهم في الحكم ، وفي أواخر عهد سليمان القانوني كانت قيادة الجيوش بيد الصدر الأعظم وكانوا هم الحكام الفعليين في الدولة ، وكان الإنكشارية يعمدون الى السلب والنهب عندما تتوقف الحروب فكان الصدر الأعظم يوجههم للحرب خارج المدن العثمانية لمواجهة الصليبيين في النمسا والمجر ولكنهم استطاعوا بما لديهم من قوة عسكرية تحدي السلاطين العثمانيين فكانوا يزيلون عن الحكم من شاؤوا ويعينون مكانه من يريدون، وحينما أرادعثمان الثاني أن يستبدلهم بجنود مدربين قتلوه عام ١٠٣١هـ وعينوا الخليفة مصطفى الثاني مكانه، وتكررت قصتهم تلك مع الخليفة ابراهيم الأول فعزلوه وعينوا ابنه محمد مكانه ثم قتلوا إبراهيم عام١٠٥٨ هـ ، وظل كل خليفة يخضع لابتزازهم الى أن تطورت الفنون العسكرية وأسلحتها كالسفن العسكرية والمدافع بما يتطلبه ذلك من إعادة تنظيم الجيوش فقرر السلطان محمود الثاني عام ١٢٤٠ هـ الغاء نظام الإنكشارية الذي يتعارض مع التنظيم الجديد للجيش فتمردوا عليه وتجمعوا في أحد ميادين اسطنبول، ولكن هذه المرة لم تكن كسابقاتها إذ كان قد أعد عدته لهم فما أن تكامل جمعهم حتى وجه اليهم مدافعه التي حصدتهم وقضت على قوتهم فلم تقم لهم بعد ذلك قائمة .

وأما المماليك الذين واجههم فكانو يسمون بالمماليك البرجية ، وقد سموا بالبرجية لأنهم جلبوا أيام المماليك وتحديداً في عهد المنصور قلاوون الذي أسكنهم أبراج القلعة حتى تمكنوا من تولي الحكم، وكانوا متعسفين في إدارتهم للأمور وأثقلوا الناس بالضرائب وكثرت الفتن والثورات في عهدهم ،وأول سلاطينهم كان اسمه برقوق وقد كان الصراع محتدماً بين المماليك البرجية و تيمورلنك كما تم في عهد ملكهم "الأشرف برسباي "هزيمة الصليبيين في قبرص(١٤٢٦م) والتي كانت مصدر تهديد للسفن الإسلامية ، واشتهر منهم كذلك قانصوه الغوري والذي قتل في حربه مع العثمانيين في مرج دابق شمال حلب (٩٢٢هـ) ، أما آخرهم فقد كان طومان باي الذي هزمه العثمانيون فانتهى بذلك عهد المماليك وإنتهت معه الخلافة العباسية الصورية بتنازل الخليفة العباسي الأخير محمد المتوكل للسلطان سليم [١٢] عن الخلافة فحلت الخلافة العثمانية محل الخلافة العباسية وأصبحت مصر ولاية عثمانية وانتقل مقر الخلافة من القاهرة الى اسطنبول أما الأسبان والبرتغاليون فقد طمعوا بغزو الدول الأسلامية بعد سقوط الأندلس فتصدى لهم السلطان سليم لما علم بنية البرتغاليين غزو مكة والمدينة ونبش قبر الرسول (ص) فدخل معهم في معارك كثيرة في شمال افريقيا وتصدي للأسبان والبرتغاليين وتحرير المناطق العربية من قبضتهم، فحرر السلطان سليم الأول الجزائر ثم ليبيا ، وكان من بين الصليبيين قراصنة يعترضون السفن الإسلامية وينهبونها، فتصدى لهم قرصان نصراني اعتنق الإسلام وسمى نفسه خير الدين وقد هاله ماحدث للمسلمين في الأندلس فركب سفنه وأخذ يغير على سفن القراصنة الصليبيين وانتقم من هؤلاء القراصنة شر إنتقام، وانضم هو وأخوه عروج الى جيش السلطان سليم واتجه ابنه سليمان القانوني الى تونس بدعوة من أهلهاضد حاكمهم الحفصي الذي كان ميالاً الى شارلكان ملك إسبانيا وإيطاليا والنمسا فاستطاع أن يعزله ولكن الحفصي تآمر مرة أخرى مع شارلكان حتى تمكن من دخول تونس وعاث فيها فساداً ودمارا الى أن تمكن والي مصر سليمان القانوني منهم وطردهم من تونس عام ٩٨٠هـ.واتجه السلطان سليم الى الجزيرة العربية لمحاربة البرتغاليين الذين كانوا قد احتلوا بعض الدول العربية فطردهم منها . وأما الصفويون الذين دخل العثمانيين معهم في حروب سنورد ملخصاً عنهم فيما يلي : مؤسس الدولة الصفوية هو " الشاه إسماعيل " ، وهو أول ملك فيها

وكان قائداً لسبع قبائل تركية فى أذربيجان، وتعرف هذه القبائل باسم :الـ " قزل باش " أو حمر الرؤوس ، وكان قوامها سبعين الف فارس مسلح، ولم يكن إسماعيل نفسه زعيماً تركياً، ولكنه ظفر بالاحترام، لأنه من نسل سلسلة من الزعماء الدينيين ، وكان جد هذه الأسرة الشيخ صفي الدين، عالماً وواعظاً من ١٢٥٢م الى ١٣٣٤م (٦٥٠ – ٧٣٥هـ).

وفى عام (١٥٠٠م . ٩٠٦ هـ) هزم إسماعيل قبائل (آق قونيلو) وجلس على العرش فى تبريز وحوالي(١٥١٠م . ٩١٦هـ) إستولي على العراق وفارس وكرمان، وهمدان وخراسان، وشقت قواته طريقها شرقاً حتى بلغت " خيوه وأعلن المذهب الشيعي مذهباً رسمياً لإيران، واستعمل القوة فى تغيير مذهب السنة الممتنعين عن التشيع ليميز نفسه عن العثمانيين واتفق مع الصليبيين والبرتغاليين ضدهم ، وقد أذكي ذلك التحول الى التشييع عداوة الأتراك العثمانيين ضده، وكان سلاطينهم فى القسطنطينية ، قد صاروا خلفاء على جميع المسلمين السنة وأصبح الصفويون الشيعة فى إيران يفصلون الكتلة السنية فى وسط آسيا، والهند وأفغانستان عن السنة فى تركيا والعراق ومصر، والدول الإسلامية الأخري الواقعة الى الغرب من إيران ، وكانت أولي نتائج هذا الاحتكاك المذهبي غزو إيران بجيش يقوده السلطان سليم الأول الذى هزم إسماعيل بالقرب من تبريز، وقد استمرت الحروب مدة طويلة، وكانت وفاته في عام٩٣٠هـ .

وحكم الملك الصفوي الثاني [١٣] الشاه طهماسب من (١٥٢٤ – ١٥٧٦م) (٩٣٠ – ٩٨٤هـ) وتمكن من الاحتفاظ بحدوده الشرقية، ولكنه قاسي هزائم عديدة فى الغرب على يد السلطان العثماني سليمان القانوني الذي استولي على العراق وتوغل حتي وصل الى تبريز وأصفهان...

وبعد مدة وجيزة إعتلي الشاه عباس الكبير العرش فى عام :

(١٥٨٧م . ٩٩٦هـ) ونجح فى التخلص من الأتراك وتهديدهم ثم توجه غرباً، وانتصر على العثمانيين واسترد أذربيجان وآرمينيه وجورجيا ، وفى عام :

(١٥٩٨م . ١٠٠٧هـ) نقل عباس العاصمة الى أصفهان ، وتولي الشاه عباس بناء مدينة ملكية جديدة فى أصفهان مجاورة للمدينة القديمة وزين شيراز وأردبيل وتبريز

بمباني جميلة ، وقد كان قاسياً حتى مع أبنائه إذ قتل ابنه الكبير وفقأ أعين اثنين من أبنائه عام(١٠٣١ هـ) وقد تقرب الى الإنجليز حينما أحس بضعف البرتغاليين فدربوا جنوده لمحاربة العثمانيين ووجه عناية خاصة الى مزار الإمام علي كرم الله وجهه فى مشهد لجعله مزاراً جذاباً حتى لا يرحل الحجاج الى المزارات الشيعية فى العراق[٨].وكانت وفاته في عام (١٠٣٧هـ)

وقد جاء من بعده أبناؤه وأحفاده وبدأت الحركات الإنفصالية حتى تمكن الأفغان من استرداد أرضيهم وتوغلوا في أراضيهم حيث احتلوا مشهد عام (١١٣٥هـ) واحتلوا بعد ذلك عاصمتهم أصفهان ، وهنا تحركت نوازع الروس لاحتلال بقية أراضيهم فتصدى لهم العثمانيون ومنعوهم من الإستيلاء على أراضيهم وهددوهم بإعلان الحرب عليهم إذا هم هاجموا أراضي الصفويين فخاف الروس وتراجعوا عن ذلك، ولكن طهماسب الثاني اتفق مع الروس على التنازل عن الأجزاء الشمالية من البلاد فاستنجد أهلها بالعثمانيين المسلمين ضد الروس الصليبيين فاستجابوا لهم فحاربوهم ووقع قتال بعد ذلك بين الأفغان والعثمانيين وانتهى الأمر الى اتفاق صلح بين الشاه أشرف والعثمانيين على أن يكون هو الشاه مقابل

اعترافه بأن السلطان العثماني هو خليفة المسلمين ، ولكن أحد المؤيدين لطهماسب وهو نادر خان حارب الأفغان وقتل الشاه أشرف ونقض عهده مع طهماسب الصفوي وأعلن بداية حكم الأسرة الأفشارية ووسع ملكه فأغار على عمان عام

(١١٥٠هـ) وبلاد الأفغان وبلاد الهند وبلاد الأوزبك وبخارى وخوارزم ولكن سرعان ماثار عليه أهل تلك البلدان وتحولت انتصاراته الى هزائم ومات وهو في طريقه لمحاربة الأكرادعام (١١٦٠ هـ) جاءت بعد ذلك الزنديون فالقاجار التي انتهت بتولي الأسرة البهلوية أمور الحكم الى أن جاءت الثورة الإسلامية فأطاحت بحكم الشاه محمد رضا بهلوي .

الحواشي المرجعية

(١) محمود عرفة محمود . مصدر سابق . ص٦١ .

(٢) أحمد بهجت . مصدر سابق . ص٣٩٢ .

(٣) ***الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي*** . مصدر سابق ص١٥٨ .

(٤) نفس المصدر . ص٣٦٩ .

(٥) نفس المصدر . مج١ ، ص٢٤٩ .

(٦) نفس المصدر . مج١ ، ص٣٦٦ .

(٧) محمد علي قطب . ***الفاطميون بين صحة النسب وتزوير التاريخ*** . بيروت : المكتبة العصرية ، ٢٠٠٢ . ص٧ .

(٨) ***الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي*** . مصدر سابق ص٣٩٥ .

(٩) نفس المصدر . مج١ ، ص٤٥٣ .

(١٠) نفس المصدر . مج٢ ، ص٤٨١ .

(١١) إسماعيل علي أحمد ياغي . مصدر سابق . ص٥ .

(١٢) ويلبر ، دونالد . مصدر سابق . ص٨٦ .

(١٣) ***الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي*** . مصدر سابق ص٥٢٥ .

الفصل الخامس

الدول العربية ومؤامرات تقسيم التركة العثمانية

كان المشهد الرئيس لحروب المنطقة هو استعانة الدول الأوروبية المتحاربة ببعضها أو بغيرها ضد بعضها البعض أو ضد غيرها ، وعقدت من أجل ذلك الاتفاقيات والمعاهدات وفقاً لتطلعاتها وأولوياتها الخاصة، ولم يكن لديها مانع من التعاون مع العثمانيين أو التآمر ضدهم إن استدعى الأمر ذلك . ومن المفارقات أن كل طرف كان يلجأ لهذا الطرف الأجنبي أو ذاك لمساعدته في مقابل تنازلات في البلقان وفي أوروبا وفي المنطقة العربية وما جاورها ، وقد وجدت القوات الغربية فرصتها في إثارة الفتن بين الطوائف العربية فيعهد السلطان عبدالمجيد الأول [1]

(١٨٣٩م .١٨٦١ م) فأثاروا الفتنة بين الدروز والموارنة في جبل لبنان ولم يسمحوا للعثمانيين التدخل للسيطرة على الخلافات بينهما بحجة أن العثمانيين غير قادرين على حل تلك المشاكل وحاول الإنجليز استمالة الدروز بينما وقف الفرنسيون الى جانب الموارنة ، وذاق الغربيون حلاوة إشعال الفتن في منطقتنا العربية ، فشجعوا المسلمين والمسيحيين المبهورين بتقدم الغرب على الانفصال عن العثمانيين.

أما يهود الدونمة الذين أشفق عليهم العثمانيون بعد الإضهاد الصليبي لهم فآواهم وأحسنوا اليهم ، فقد أخذت القيادات الصهيونية ترتب لهم أهدافاً أخرى كان من أهمها نكران الجميل واحتلال فلسطين ، وتحرك الماسونيون في كل اتجاه للإجهاز على الدولة العثمانية وفي عهد السلطان عبد الحميد (١٢٩٣ -١٣٢٨هـ) حاول جاهداً إدخال إصلاحات كثيرة في التعليم والجامعات والمستشفيات ومد المياه والسكك الحديدية والجيش وقاوم النفوذ الصهيوني فسارعوا الى إنشاء جمعيات ومؤسسات لاجتذاب رعايا الدولة العثمانية في باريس ومنينهم بالتقدم والإزدهارالأوروبي بعد التخلص من العثمانيين ، وتفرعت عن تلك الجمعيات جمعية أطلق عليها أسمه" تركيا الفتاة " ذات جناح عسكري أسموه " الإتحاد والترقي"، فقام ذلك التنظيم بإشعال الفتن وبدأت الضغوط تتزايد بشكل مستمر على الدولة العثمانية في أوروبا، فتحركت الجيوش الروسية والفرنسية والإنجليزية من كل جانب لتقتطع الجزء بعد الآخر من

الدولة العثمانية. وبعد انعقاد مؤتمر لوزان اشترط الإنجليز على السلطان السلطان عبد المجيد أن يقطع كل صلة له بالإسلام وبالدول الإسلامية كشرط للاعتراف بتركيا فرفض ذلك والتف الناس حوله، الا أن كمال أتاتورك،أحد المنتمين الى جماعة الإتحاد والترقي وقف بوجهه وخلعه والغى الخلافة الإسلامية ونفذ ماكان الغرب يطمح اليه من الغاء لطابع الدولة الإسلامي والغى الإرتباط بالعرب وانتهت بذلك الخلافة الإسلامية، أما الدول العربية التي كانت تحت النفوذ العثماني فقد تركت وحيدة لتصارع قوىً استعمارية متعددة الأطراف .

حاولت القيادات العربية أن تجد لها كياناً مستقلاً بذاتها ، وبرز في تلك الفترة الشريف حسين الذي يعود نسبه الى بيت النبي (ص) ليؤسس خلافة تحل محل الخلافة العثمانية في الشام والعراق والجزيرة العربية ، وقد شجعه الإنجليز على ذلك في بادىء الأمرحتى يلتف العرب حول قيادة عربية بديلة للخلافة العثمانية لاسيما وأنها قيادة تنتسب الى البيت النبوي الشريف ، ومن ناحية أخرى أخذوا يثيرون النعرات القومية عند الأتراك والعرب حتى تنقطع أواصر الصلة بين الطرفين ، وبدأ الترويج لفكر "جمعية الفتاة العربية"، ذات الطابع القومي ، وأخذوا يكيلون الوعود للعرب وللشريف حسين ، وما أن تسنى للإنجليز ذلك حتى كشفوا عن مؤمراتهم الحقيقية بالتعاون مع القوى الإستعمارية الأخرى آنذاك فاتبعوا سياستهم المعروفة " فرق تسد" وأصبحت الدول العربية إما خاضعة للإستعمار المباشر أو غير المباشر ، وتنوعت أشكال المؤامرات على الدول العربية ، وأصبح لكل دولة عربية قصتها وهمها مع هذا المستعمر أو ذاك ، وسنورد في الصفحات التالية بعض قصص تلك المؤامرات ومنها قصة الجاسوس همفري .

قام الجاسوس البريطاني همفري بمهامه الموكلة اليه في الأعوام (١٧١٠م-١٧٢٢م) والتي شرح جانباً منها في مذكراته عن تلك الفترة التي يقول فيها مايلي:

وأذكر ذات مرة أننا عقدنا مؤتمراً حضره الوزير بشخصه وكبير القساوسة ، وعدد من الخبراء ، كان عددنا جميعاً عشرين شخصاً ، وطال النقاش أكثر من ثلاث ساعات ، وانتهينا بدون أية نتيجة ، الا أن القس قال : " لا تنزعجوا فإن المسيح لم يصل الى الحكم الا بعد ثلاثمائة سنة من الاضطهاد والتشريد والقتل له ولأتباعه ، وعسى أن ينظر الينا المسيح نظرة من ملكوته فيمنحنا إزالة الكفار عن مراكزهم ولو

بعد ثلاثمائة سنة ، فعلينا أن نتسلح بالإيمان الراسخ والصبر الطويل واتخاذ كافة الوسائل والسبل للسيطرة ونشر المسيحية في ربوع المحمدين ولو وصلنا الى النتيجة بعد قرون ، فإن الآباء يزرعون للأبناء " .

وحتى أنه ذات مرة عقد في الوزارة مؤتمر حضره ممثلون من كل من بريطانيا العظمى وفرنسا وروسيا وكان مؤتمراً في أعلى المستويات وكان الحاضرون لفيفاً من الهيئات الدبلوماسية ورجال الدين ، وكان من حسن حظي أن حضرت ذلك المؤتمر لعلاقتي الوطيدة بالوزير ، وعرض المؤتمرون مشاكل المحمدين عرضاً وافياً ، ذكروا فيه سبل تمزيقهم وسلخهم عن عقيدتهم وإرجاعهم الى حظيرة الإيمان كما رجعت أسبانيا اليها بعد قرون من غزو المحمدين البرابرة لها، لكن النتائج لم تكن بالمستوى المطلوب ، وقد كتبت أنا كلما دار من نقاش في ذلك المؤتمر في كتابي (الى ملكوت المسيح) .

إنه من الصعب أن تقلع جذور شجرة امتدت الى شرق الأرض وغربها ، لكن الإنسان يجب عليه أن يذلل الصعاب مهما كان الثمن ، إن المسيحية لم تأت إلا لتنتشر ، وقد وعدنا بذلك السيد المسيح نفسه ، أما محمد فقد ساعدته ظروف إنحطاط العالمين الشرقي والغربي، وظروف الانحطاط إذا ولت فقد تذهب معها أيضاً ما رافقه من ويلات ، ومن حسن الظن أن الأمر قد انعكس فقد انحط المحمديون وارتفعت بلاد المسيح فآن الوقت لأن نطلب الثأر ونسترجع ما فقدناه طيلة قرون ، وها هي دولة قوية عصرية هي بريطانيا العظمى تأخذ بزمام هذه المبادرة المباركة، وبهذه المناسبة أذكر أن السكرتير قال لي في إحدى الجلسات التي اجتمعت معه من قبل سفرتي الى (العراق) : إعلم يا (همفري) أن هناك نزاعات طبيعية بين البشر منذ أن خلق الله (هابيل وقابيل) وستبقى هذه النزاعات الى أن يعود المسيح

١ – فمن نزاعات لونية .

٢ – ومن نزاعات قبلية .

٣ – ومن نزاعات إقليمية .

٤ – ومن نزاعات قومية .

٥ – ومن نزاعات دينية .

ومهمتك في هذه السفرة أن تتعرف على هذه النزاعات بين المسلمين وتعرف البركان المستعد للانفجار منها، وتزود الوزارة بالمعلومات الدقيقة حول ذلك وان تمكنت من تفجير النزاع كنت في قمة الخدمة لبريطانيا العظمى.

فإننا نحن البريطانيين لا يمكننا العيش في الرفاء الا بالقاء الفتن والنزاع في كافة المستعمرات ، كما أننا لا يمكننا تحطيم السلطان العثماني الا بالقاء الفتن بين رعاياه ، والا فكيف تتمكن أمة قليلة العدد من أن تسيطر على أمة كبيرة العدد، فاجتهد بكل قواك أن تجد الثغرة وأن تدخل من الثغرة .

وقد كان الكتاب يذكر بعد كل نقطة ضعف أن قانون الإسلام بالعكس (أي يأمرهم بعكس ذلك)، فاللازم إبقاء المسلمين في جهلهم حتى لا ينتبهوا الى حقيقة دينهم ، فقد ذكر الكتاب أن الإسلام :

١ – يأمرهم بالاتحاد والالفة ونبذ الفوارق ففي القرآن " واعتصموا بحبل الله جميعاً " .

٢ – ويأمرهم بطلب العلم ففي الحديث " طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة" .

٣ – ويأمرهم بالوعي ففي القرآن " فسيروا في الأرض " .

٤ – ويأمرهم بطلب الدنيا ففي القرآن " ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ".

٥ – ويأمرهم بالمشورة ففي القرآن " وأمرهم شورى بينهم " .

٦ – ويأمرهم بتأمين السبل ففي القرآن " فامشوا في مناكبها " .

٧ – ويأمرهم بمعاهدة أبدانهم وصحتهم ففي الحديث " إنما العلوم أربعة: علم الفقه لحفظ الأديان، وعلم الطب لحفظ الأبدان، وعلم النحو لحفظ اللسان، وعلم النجوم لحفظ الأزمان ".

٨ – ويأمرهم بالعمران ففي القرآن " وخلق لكم ما في الأرض جميعاً " .

٩ – ويأمرهم بالنظام ففي القرآن" من كل شيء موزون "، وفي الحديث " ونظم أمركم ".

١٠ – ويأمرهم بقوة الاقتصاد ففي الحديث " من لا معاش له لا معاد له " .

١١ – ويأمرهم بقوة الجيش والسلاح ففي القرآن" وأعدوا لهم ما استطعم من قوة "

١٢ – ويأمرهم باحترام المرأة ففي القرآن (ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف) .
١٣ – ويأمرهم بالنظافة ففي الحديث " النظافة من الإيمان " .
ويقول كذلك في موقع آخر من الكتاب "أ طلعني السكرتير على السر الثاني الذي وعدني به وكنت متلهفاً له خصوصاً بعد أن ذقت طعم السر الأول ، ولم يكن السر الثاني الا وثيقة في خمسين صفحة تتعرض للخطط الرامية الى تحطيم الإسلام والمسلمين خلال قرن واحد ، حتى يكون الإسلام خبراً بعد حقيقة ، والوثيقة كانت موجهة الى الرؤساء العامين العاملين في حقل الوزارة ، لأجل هذا الشأن ، وهي كانت مركبة من بنود أربعة عشر ، وقد حذرت الوثيقة من إفشائها وأمرت بكتمانها أشد الكتمان لكي لا يطلع عليها المسلمون فيأخذون الخطط المضادة ، وحاصل الوثيقة هو :
١ – التعاون الأكيد مع قياصرة روسيا للاستيلاء على المنطقة الإسلامية من بخارى، وطاجكستان ، وأرمينيا ، وخراسان وما والاها ، وهكذا التعاون الأكيد معهم في الاستيلاء على أطراف بلاد الترك المحددة لروسيا .
٢ – التعاون الأكيد مع فرنسا وروسيا في وضع خطة شاملة لتحطيم العالم الإسلامي من الداخل والخارج .
٣ – إثارة النزاعات والخلافات الشديدة بين الدولتين التركية والفارسية وإذكاء نار الطائفية والعرقية بين الجانبين ، وإشعال النزاعات بين كل متجاورين من القبائل والشعوب الإسلامية ، وكذلك بين البلاد الإسلامية وإحياء المذاهب الدينية حتى البائدة منها ، وإثارة النزاعات بينها .
٤ – إعطاء قطع من البلاد الإسلامية بيد غير المسلمين أ– يثرب لليهود ،
ب– الإسكندرية للمسيحيين . ج– يزد للزرادشت البارسيين . د– عمارة للصائبة ، هـ– كرمانشاه للذين يؤلهون علي بن أبي طالب . و– الموصل لليزيدية .
ز– خليج فارس للهندوك بعد أن يستوردوا كميات كبيرة من الهند ، ح– طرابلس للدروز ، ط– قارض للعلويين ، ى– مسقط للخوراج ، ثم اللازم تقوية هؤلاء بالمال والسلاح والخطط والخبرة لتكون هذه الفئات أشواكاً في جسم الإسلام ثم توسيع بلادها حتى تحطم كل البلاد الإسلامية.

٥ – التخطيط لتبضيع حكومتي الإسلام التركية والبارسية الى أكبر عدد ممكن من الحكومات المحلية الصغيرة المتنازعة كما هو الحال الآن في الهند، انطلاقاً من قاعدة " فرق تسد ، و فرق تحطم ".

٦ – زرع الأديان والمذاهب والمزيفة في جسم بلاد الإسلام واللازم لذلك تخطيط دقيق بحيث يتلاءم كل دين من تلك الأديان مع هوى جمع من أهل البلاد (مثلاً) اللازم زرع أربعة أديان في جسم بلاد الشيعة ، دين يؤله الحسين بن علي ، ودين يعبد جعفر الصادق ، ودين يعبد المهدي الموعود ، ودين يعبد علي الرضا ، والمكان المناسب للأول " كربلاء والثاني أصفهان وللثالث سامراء وللرابع خراسان " ، كما أن اللازم جعل المذاهب الأربعة السنية أدياناً مستقلة لا ارتباط بعضها ببعض وإعادة الخلافات الدموية بينها ، والدس في كتبها حتى يرى كل فئة منهم أنهم المسلمون فقط ، وأن ما عداهم كفار يجب قتلهم وإبادتهم .

٧ – نشر الفساد بين المسلمين بالزنا ، واللواط ، والخمر ، والقمار ، وأفضل وسيلة لذلك هم أصحاب الأديان السابقة الباقية في هذه البلاد ، فاللازم أن يكون منهم جيش كثيف لهذه الغاية .

٨ – الاهتمام بزرع الحكام الفاسدين في البلاد بحيث يكونون الة بيد الوزارة يأتمرون بأوامرها وينتهون عن زواجرها ، والضروري تسريب مآربنا عبرهم الى البلاد والى المسلمين ، وإن أمكن أن يكون الحاكم غير مسلم واقعاً فهو المفضل ، وعليه فمن الضروري إدخال أفراد في الإسلام صورة ثم إيصالهم الى مراكز الحكم لتطبيق المآرب بواسطتهم.

٩ – منع اللغة العربية حسب الإمكان ، وتوسيع اللغات غير العربية مثل السنسكريتية ، البارسية ، الكردية ، البشتو ، إحياء اللغات الأصلية الدائرة في البلاد العربية ، وتوسيع نطاق اللهجات المحلية المتفرعةعن العربية ، والتي توجب قطع العرب عن اللغة الفصحى التي هي لغة القرآن والسنة .

١٠ – زرع العملاء حول الحكام وإيصالهم الى رتبة المستشارين لهم حتى يتسنى للوزارة النفوذ فيهم عبر المستشارين ، ومن أفضل السبل لذلك العبيد والجواري ذووا الكفاءات العالية فاللازم تربية أولئك في الوزارة ثم بيعهم في أسواق النخاسة الى

المقربين من الحكام ، كأولاد الحكام ، وزوجاتهم ، وذوي الرأي لديهم حتى يتقربوا الى الحكام تدريجياً ، ويكونوا بعد ذلك أمهات الحكام ومستشاريهم فيحيطوا بهم كالسوار بالمعصم .

١١ – توسيع نطاق التبشير بإدخال المبشرين في كل صنف خصوصاً المحاسبين والأطباء والمهندسين ومن اليهم وزرع الكنائس والمدارس ، والمصحات ودور الكتب ، والجمعيات الخيرية في عرض بلاد الإسلام وطولها ونشر ملايين الكتب المسيحية في أوساط المسلمين مجاناً وبلا عوض (مقابل) والاهتمام لوضع التاريخ المسيحي الى جنب التاريخ الإسلامي ، وزرع الجواسيس والعملاء في الأديرة والصوامع باسم الرهبان والراهبات مهمتهم تسهيل الاتصالات والتحركات المسيحية واستطلاع حركات المسلمين وأوضاعهم وشؤونهم (كما) أن اللازم تكون جيش كثيف من العلماء من أجل تشويه تاريخ المسلمين والدس في كتبهم بعد الاطلاع الكامل على أحوالهم وأوضاعهم .

١٢ – تمييع شباب المسلمين بنات وأولاداً وتشكيكهم في دينهم وتفسيد أخلاقهم عن طريق المدارس والكتب والنوادي والنشرات والأصدقاء من غير المسلمين الذين يهيئون لهذا الشأن ، فمن الضروري تكون جمعيات سرية من شباب اليهود والنصارى وغيرهما من أجل أن يكونوا مصائد لصيد شباب المسلمين بكل الطرق.

١٣ – إشعال الحروب والثورات الداخلية، والحدودية بين المسلمين وغير المسلمين، وبين المسلمين أنفسهم على طول الزمان لتستنفذ قوى المسلمين وتشغلهم عن التفكير في التقدم، وتوحيد الصف، ولتستنزف طاقاتهم الفكرية ومواردهم المالية وتفني شبابهم وذوي النشاط منهم وتنشر الفوضى والإرباك والشغب فيهم.

١٤ – تحطيم كل أنواع اقتصادياتهم من مزارع ومعاش وتهديم السدود وطمس الأنهر والسعي لتفشي البطالة فيهم بتنفيرهم عن العمل ، وفتح محلات للبطالة وتكثير مستعملي (الأفيون) وسائر المواد المخدرة ."

ومن ألوان المؤامرات [٢] التي تعرض لها العرب وتشتيت شملهم مؤامرة مؤتمر" هنري كامبل بنرمان عام ١٩٠٥ م رئيس وزراء بريطانيا التي أطلق عليها" مؤامرةالعصر حيث أوضح السير هنرى كامبل أن مصير الاستعمار في كل من آسيا وأفريقيا في خطر يواجه خطر الأفول ، وتفاديا لذلك الخطر وجه الدعوة الى مؤتمر دول يضم

مفكرين وباحثين من أهم الدول الاستعمارية وهي (بريطانيا- وفرنسا- هولندا- بلجيكا- أسبانيا- إيطاليا- البرتغال) وبدأت جلسات المؤتمر في لندن عام ١٩٠٥ وكانت جلساته كلها سرية ووضع أمام المؤتمر رؤية للخطر المحدق وجاء فيها.

- لا خطر يتهدد الدول الاستعمارية في المستعمرات التي يقطنها أوربيون إذ يمكن حل مشاكلهم بتشريعات خاصة.

- لا يوجد احتمال كبير بأن تطالب الهند وبلاد جنوب شرق اسيا باستقلالها.

- لا خطر محتمل في المستعمرات الواقعة في أفريقيا وفى المحيطين الأطلسي والهادى بسبب عزلة هذه المستعمرات ، ورأى أن الخطر الضخم على الدول الاستعمارية يكمن في البحر الأبيض المتوسط الذي يعد همزة الوصل بين الغرب والشرق ومهد الأديان والحضارات ويعيش على شواطئه الجنوبية والشرقية بوجه عام شعب واحد تتوافر لديه كل مقومات وحدة التاريخ واللسان والدين والترابط هذا فضلا عن ثرواته الطبيعية ونزعاته التحررية.

وأسهب التقرير في تحليل أوضاع الوطن العربي خاصة مع زيادة قدرته السكانية.

وطرح التقرير في الختام التساؤلات التالية:

١- كيف يمكن ان يكون وضع هذه المنطقة إذا توحدت آمال شعبها وأهدافه وإذا اتجهت هذه القوة في اتجاه واحد؟

٢- ماذا لو دخلت الوسائل الفنية الحديثة ومكتسبات الثورة الصناعية الأوربية الى هذه المنطقة ؟

٣- ماذا سيكون إذا تحررت هذه المنطقة واستعملت ثرواتها الطبيعية من قبل أهلها؟

وأجاب التقرير نفسة على هذه التساؤلات بكلام حازم جاء فيه ، عند ذاك ستحل الضربة القاضية حتما بالإمبراطورية الاستعمارية وعندها ستتبخر أحلام الاستعمار بالخلود فتتقطع أوصاله ثم يضمحل وينهار كما إنهارت إمبراطوريات الرومان والاغريق ، وقرر التقرير في الختام معالجة هذه المخاطر بالتالي :

- على الدول ذات المصالح المشتركة أن تعمل على استمرار تجزئة هذه المنطقة وتأخرها وابقاء شعبها على ما هو عليه من تفكك وتأخر وجهل.

– ضرورة العمل على فصل الجزء الأفريقي في هذه المنطقة عن الجزء الأسيوي، واقترحت اللجنة إقامة حاجز بشرى يحتل الجسر البرى الذي يربط أوروبا بالعالم القديم ويربطهما معاً بالبحر الأبيض المتوسط بحيث يشكل قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس ، قوة صديقة للإستعمار ومعادية لسكان المنطقة ، وقد وضعت اللجنة هذا التقرير وأودعته وزارة الخارجية البريطانية بعد أن أوصت بزرع إسرائيل في تلك المنطقة [٣]

كان مؤتمر " كامبل بنرمان " والتوصيات الصادرة عنه المحطة الأول في مراحل المؤامرة التي اعتمدها الغرب ضد الوطن العربي ثم تلتها مراحل التنفيذ التي بدأت باتفاقية سايكس– بيكوفي ١٦ مايو التي عقدة ١٩١٦ والتي عقدت بين كل من فرنسا وبريطانيا، وبداية هذه الاتفاقية تعود الى ما بعد نهاية الحرب العالمية الأول ١٩١٤ حينما بدأ الحلفاء يتسابقون في تقسيم أملاك الدولة العثمانية المنهارة وانتهت المفاوضات بين الجانب الفرنسي والبريطاني بالاتفاق التالي:–

١– تمنح فرنسا السيادة التامة على منطقتي الإسكندرون والمنطقة الممتدة وراءها حتى الموصل.

٢– يوضع العراق من الخليج حتى شمال الموصل تحت إشراف بريطانيا .

٣– توضع سوريا تحت سيادة الشريف حسين مع الاعتراف لفرنسا ببعض المسئوليات الإدارية فيها.

٤ – توضع لبنان بما فيه بيروت وطرابلس تحت الإشراف الفرنسي .

٥– توضع فلسطين تحت إشراف بريطانيا .

وعندما ترامت أنباء هذه الاتفاقية السرية بين الدولتين الحليفتين الى روسيا هبت لتطالب بحصتها في أرضروم وترابيزوند والموصل وكردستان ، وتمت الموافقة من قبل فرنسا وبريطانيا على مطالب روسيا التي تتلخص في:–

أ– ضم مناطق ارضروم وتبليس حتى غربي ترابيزوند الى الممتلكات الروسية

ب– ضم منطقة كردستان الواقعة جنوبي "فان" والتي تضم مجرى دجلة وجزيرة ابن عمرو والجبال المتاخمة لها الى روسيا ، وقضت الاتفاقية بتقسيم المشرق العربي الذي كان تحت السيطرة العثمانية الى خمس مناطق .

١- المنطقة أ - (سوريا الداخلية) وتقام فيها دولة عربية مستقلة لفرنسا فيها مركز ممتاز.

٢- المنطقة ب- (العراق الداخلي) وتقام فيها دولة عربية مستقلة لبريطانيا فيها مركز ممتاز.

٣- المنطقة الزرقاء (سورية الساحلية من كيليكية شمالا حتى رأس الناقورة جنوبا) وتخضع للسيادة الفرنسية حيث يباح لفرنسا إنشاء الحكم الذي ترتئية فيها

٤- المنطقة الحمراء (العراق الساحلي من بغداد حتى خليج فارس - أي الخليج العربي - وتخضع للسيادة البريطانية حيث يباح لبريطانيا إنشاء الحكم الذي ترتئية فيها

٥- المنطقة السمراء ويسميها البعض البنية (فلسطين) وتبقى منطقة دولية بحيث يعين شكل الحكم فيها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلي شريف مكة.

وباختصار شديد فإن الإتفاقية أدت الى ما يلي :

١- جزأت المشرق العربي الى دويلات صغيرة مرتبطة بشكل أو بآخر بكل من بريطانيا وفرنسا، كما نقلت العرب من استعمار الى آخر أشد وطأة ودهاء حيث كان الاستعمار العثماني لا يقيم بين الأقاليم في المشرق العربي حدودا عكس ما فعلة الاستعمار الجديد .

٢- أخطر نتائج هذه الاتفاقية هو ما آل اليه الوضع في فلسطين فقد مهدت هذه الاتفاقية الى جعلها وطنا قوميا لليهود ولم يكن فلسطين تحت الانتداب البريطاني من قبيل الصدفة، بل إن الاتفاقية نفسها قد أثمرت فلسطين لهذا المصير

٣- السعي نحو تفعيل المزيد من الاضطرابات والحروب في المنطقة وإدخال المنطقة العربية برمتها في دوامة، بما أسفرت عنه الاتفاقية من قرارات متعلقة بها كوعد بلفور عام ١٩١٧ وقرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ وتنفيذ تلك القرارات والسعي وراءها سيجعل المنطقة برمتها تعيش في حالة عدم استقرار أبدى ، وهو ما يحدث حاليا علي ارض الواقع .

وحينما سقطت الدولة العثمانية [٤] بدأ التنفيذ الفعلي لتقطيع أوصالها وتقاسم مناطق نفوذها وسيطرتها ، ليعيش الجسد العربي مؤامرة تمزيقه وتقطيعه الى إمارات

ودويلات وكنتونات صغيرة ، وجاءت معاهدة سيفر [٥] بين الأتراك والحلفاء عام ١٩٢٠م لتحقق المطالب الصهيونية بوضع فلسطين تحت الإنتداب البريطاني التي الزمتها عصبة الأمم بإنشاء الوطن القومي اليهودي على فلسطين .

ولم تقتصر المؤامرات على الشق السياسي فقط وانما شملت الاقتصاد واستقلال الموارد الأولية بالمنطقة خاصة النفط والثروات الزراعية

ولما إضطر المستعمرون لمغادرة المنطقة العربية كرروا خطتهم بعدم تسليمهم مقاليد الحكم الى الحرص على مصلحة الأمة ، بل اتجهوا الى النخب العسكرية أو شبه العسكرية أو التي تربطها معها مصالح خاصة. أما من استطاع من الدول العربية الإفلات من هذه الخطة فقد تم تأجيل المؤامرة عليه الى وقت مناسب ، وسنورد ملخصاً لنتائج بعض تلك المؤامرات.

ففي مصر كان العثمانيون يعينون ولاة ليحكموا الولايات نيابة عنهم ، وغالباً ما كان هؤلاء الولاة يستقلون بولاياتهم إذا شعروا بضعف الخليفة ،ولذلك كانت تقع كثير من الثورات وحركات التمرد التي أضعفت العثمانيين ، ومن بين هؤلاء الولاة علي بك الكبير والي مصر الذي اتفق مع الروس ضد الخليفة وهزم الجيش العثماني في صيدا بمساعدة الأسطول الروسي الى أن تمرد عليه نائبه محمد ابو الذهب وهزمه بالرغم من مساندة الروس له، ومات متأثراً بجراحه عام

١١٧٨ هـ ، وفي عهد الخليفة سليم الثالث استطاعت الحملة الفرنسية دخول مصر عام١٢١٣هـ وبلاد الشام ، ولكن التنافس الروسي والإنجليزي للفرنسيين جعلتهما يتحالفان مع أعدائهما العثمانيين لطرد الفرنسيين ، وقد لعب الأزهر الشريف دوراً مهماً في تحرك المصريين حتى اضطرت فرنسا الى الإنسحاب من مصر عام ١٢١٦هـ ، الا أن الروس والإنجليز أرادا ثمناً باهظا باقتطاع أراضى من العثمانيين الذين لايملكون القوة لمواجهتهما ، وكاد العثمانيون أن يخضعوا للإبتزاز لولا تصدى المصريين لهم ورغبة الفرنسيين في الإنتقام من الإنجليز فتعاونوا مع العثمانيين ضد الإنجليز، فاضطروا للإنسحاب . وكان محمد علي هو أحد الجنود الذين دخلوا مع العثمانيين لمقاومة الفرنسيين فنصبه المماليك والأهالي والعلماء والياً على مصر، ولكنه بعد ذلك غدر بالمماليك فتخلص منهم في حادثة القلعة المشهورة عام١٢٢٦هـ

وأخذ يثير الفتن بين العلماء حتى يستأثر بالحكم واتجه الى الغرب فأرسل البعثات ليقلدهم في كل شيىء ظناً منهم أنه سيصل بذلك الى ما وصلوا اليه من قوة ، مما أثار عليه اعتراضات دينية ومنذ أن تولى محمد علي الحكم لم يكن لمصر أية تبعية للدولة العثمانية الا بالإسم ،وقد انتابه بعد ذلك نوع من الثقة بالنفس فأخذ يتحدى دولة الخلافة العثمانية نفسها ودخل معها في حروب لم يستفد منها الا الإنجليز والروس والفرنسيين الذين وجدوها فرصة لاستنزاف قوة العثمانيين ومحمد علي على حد سواء حتى تأتي اللحظة المناسبة للتخلص من كليهما. ثم جاء الاحتلال البريطاني لينهي البقية الباقية من تلك العلاقة، وكان محمد علي [٦] قد وجه حملات الي السودان فوحد القطرين ثم جاء ابنه إبراهيم وتلاه سعيد الذي كان له صداقة مع نابليون فأرسل الجيش المصري لمساعدته في المكسيك إكراماً له وسخر المصريين لحفر قناة السويس ومنح امتيازات للأجانب كان فيها إجحاف بحق مصر، ولما جاء إسماعيل الغي نظام السخرة [٧] التي كان العامل المصري يعمل بموجبها في حفر القناة بلا مقابل ، وتقدم بجيشه في إفريقيا ولكنه استدان الأموال ليصرفها على البذخ وعلى حفل افتتاح قناة السويس ، وخشيت أوروبا من طموحاته في إفريقيا فأوعزت الي الخليفة العثماني بأن يعزله ، ولما خلفه توفيق كان ضعيفاً وثار الضباط في عهده ووافق علي عرض الإنجليز بمساعدته علي قمع الثورة العرابية وحمايته وكانت النتيجة أن احتلت إنجلترا مصر عام ١٨٢٢ م وظل الخديوي توفيق لعبه بين الإنجليز الذين ضغطوا عليه ليسحب الجيش المصري من السودان ليقوموا بعد ذلك باحتلاله عام ١٨٢٢ م ، وجاء بعد ذلك عباس حلمي الذي ظهرت في عهده مطالبات برحيل الإنجليز وحدثت في عهده مذبحة دنشواي وظهر في أثناء حكمه وطنيون مثل (مصطفي كامل) ووقعت الحرب العالمية الأولي فانحاز الخديوي الي العثمانيين فخلعه الإنجليز والغوا التبعية الاسمية للعثمانيين ووضعواً مصر تحت الحماية البريطانية وجاء بعده حسين كامل ثم أحمد فؤاد الذي قامت في عهده ثورة ١٩١٩م ضد الإنجليز بعد ما منع سعد زغلول ورفاقه من الذهاب الي باريس بعد الحرب العالمية الأولي لحضور مؤتمر الصلح والمطالبة باستقلال مصر فمنعتهم إنجلترا ولكنها رضخت بعد ذلك وسافرواً الي باريس لتستقبلهم الدول المجتمعة بالخذلان المبين فثار الشعب مما اضطر إنجلترا

الى أن تمنح مصر استقلاً صوريا وتبقي بموجبها علي قوة بحجة الدفاع عن مصر ، ثم جاء بعده الملك فاروق [٨] الذي استشري الفساد في عهده وقامت حركة الإخوان المسلمين التي كان لها تأثير كبير على الشارع وتعاونت مع الضباط الأحرار للتخلص من الإنجليز والملك فاروق .

وفي نجد ظهرت الحركة الوهابية كرد فعل على مجمل الأوضاع ، ووجدت تلك الحركة دعماً قوياً من محمد بن سعود الذي حول انتماءه القبلي الى انتماء ديني فكسب بذلك قلوب الناس وأصبح قائد تلك المنطقة السياسي الذي وجدت فيه نجد وبادية نجد محط إجماعها ،ولم يلق ذلك قبولاً عند العثمانيون ولكنهم كانوا مشغولين بحروبهم فلم يرغبوا في تشتت جيوشهم التي كانت تحارب في أوروبا فأوكلت الى محمد علي مهمة القضاء على السعوديين وعلى الحركة الوهابية.فشن حملات بقيادة ابنه طوسون ثم شارك فيها بنفسه الى أن تم احتلال مكة والمدينة المنورة ،ثم زحف ابنه إبراهيم الى الدرعية معقل ابن سعود الذي احتضن الحركة الوهابية ووقع صلحاً معهم عام ١٢٣٣ هـ .وتم دعوة الإمام عبد الله بن سعود الى اسطنبول بعد أن أعطاه الخليفة الأمان ، ولكنه ما إن وصل الى هناك حتى تم إعدامه وانتهت بذلك الدولة السعودية الأولى.وحينما خفت قبضة جيش محمد علي على نجد وانسحبت من الحجاز ، لم يبق للعثمانيين الا السيادة الاسمية فقط بينما عادت السلطة من جديد للسعوديين فكانوا هم الحكام الفعليين لنجد بينما كانت الحجاز تحت حكم الأشراف التابعين للعثمانيين، الا أن تنافساً حدث بين الأمراء السعوديين جعل ابن رشيد يهجم عليهم ويستولى على أملاكهم ولجأ الباقون منهم الى الكويت ،وانتهت بذلك دولتهم الثانية .ومن الكويت انطلقت الدولة السعودية الثالثة التي أسسها الملك عبد العزيز رحمه الله حيث استطاع انتزاع الرياض من ابن رشيد المسنود من العثمانيين ثم سار في توحيد المملكة وانضم اليه الأدارسة وال غائض حكام إمارات عسير ، أما الشريف حسين في الحجاز فقد لقب نفسه بأمير المؤمنين وطالب الملك عبد العزيز بمبايعته ، الا أن الملك عبدالعزيز رفض ذلك ونشبت بينهما حرب كانت الغلبة فيها للسعوديين الذي استمر حكمهم الى يومنا هذا .

- تمكن الاحتلال البريطاني من بسط نفوذها على دول الخليج عام١٨٢٠م

- البحرين كانت ممتدة من موقعها الحالي الي البصرة وغزاها البرتغاليون ولكن العرب والعثمانيين تصدوا لهم ونافسهم الإنجليز والهولنديون حتى تم طردهم، وتعاون الإنجليز والفرس بعد خروج البرتغاليين ولكن ال خليفة تمكنوا من حسم الأمر في موقعة الزبارة ثم عاد النفوذ الإنجليزي علي البحرين وتكونت في هذه الأثناء دولة قطر ، وحينما استلقت البحرين حاولت إيران ضمها ولكن إرادة العرب والشعب البحريني حالت دون ذلك .
- وأما في الأمارات العربية المتحدة الحالية فقد خاض القواسم حروباً مع الإنجليز وبعد انسحابهم تمكنت الإمارات السبع من تكوين الاتحاد الحالي . ولكن إيران احتلت بعدها ثلاث من جزرها ولازالت تحتلها رغم المطالبات والمناشدات الإماراتية والعربية المتكررة بإعادتها الى السيادة الإماراتية والتي كانت تواجه دائماً بالرفض الإيراني.
- واستطاعت الكويت [١٠] أن تقاوم بسط النفوذ العثماني عليها وقام الإنجليز باتخاذ الكويت كمحمية لهم مثلها مثل بقية دول الخليج العربي ، وبعد استقلالها حاول عبد الكريم قاسم بعد ثورته علي الحكم الملكي العراقي التحرش بها ولكنه لم يحقق شيئاً الي أن جاء صدام حسين عام ١٩٩٠ فغزاها محاولاً محوها من الخارطة ولكنه فشل في مسعاه .
- وغزا البرتغاليون عمان عام ٩١٣هـ حتى طردهم اليعاربة عام ١٠٣٤ هـ ثم احتلها الفرس حتى طردهم البوسعيديون عام ١١٥٤ هـ وجاءها الإنجليز بعد ذلك الي أن استقلت عام ١٣٩٠ هـ
- وفي اليمن قاوم اليمنيون العثمانيين في عهد الأئمة ثم شكلت اليمن مع مصر وسوريا الجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٥٨م ولكن سوريا انفصلت عن الاتحاد عام ١٩٦١م ، وفي عام١٩٦٢ م قامت ثورة ضد الأمام بدر واستعان الثوار بجمال عبد الناصر فأرسل الجيش المصري الى اليمن ، ولكنه اضطر الى سحب جيوشه بعد هزيمة ١٩٦٧ م وحدثت بعد ذلك انقلابات عسكرية . أما في الجزء الجنوبي من اليمن فقد احتل الإنجليز عدن واشعلوا الفتنة بين القبائل ، ولكن اليمنيين ثاروا عليهم واستقلت اليمن الجنوبية ليتلقفها الاتحاد السوفيتي الذي

استطاع تثبيت أقدامه فيها الي أن قامت عدة انقلابات عسكرية أشهرها انقلاب عبد الفتاح إسماعيل ضد سالم ربيع ثم انقلاب علي ناصر عليه ثم جاء اتحاد اليمنين تلاه بعد ذلك محاولة فاشلة للانفصال.

وفي العراق [١١] وبعد هزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولي تنازلوا عن بلاد العرب ، ولم يعط الإنجليز العرب استقلالهم كما وعدوهم. وفي عهد الملكية ثار الشعب علي الإنجليز وانضمت العراق الي حلف بغداد عام١٩٥٥ الذي ضم تركيا وإيران والمملكة المتحدة وباكستان ولكن العراق انسحبت من الحلف بعد ثورة عبد الكريم قاسم ضد الحكم الملكي ، ثم قامت بعد ذلك ثورة ضده برئاسة عبد السلام عارف ، وبعد وفاة عارف فى حادث سقوط طائرة مشبوه خلفه أخوه عبد الرحمن عارف الي أن قامت ثورة أحمد حسن البكر الذي يعتبر صدام حسين امتداداً له والذي دخل في حرب مع إيران ثم غزا الكويت ليقصم بفعلته الطائشة تلك ظهر الأمة العربية وليفتح الباب واسعاً لانهيار في المعنويات العربية ولتداعيات لم تشهد الأمة العربية لها مثيلاً في تاريخها الحديث ،ولم يكتف بذلك ،بل أخذ يبطش بشعبه الي أن تم إسقاطه بتحالف دولي .

- واستقلت سوريا[١٢] عن الفرنسيين وكان أول زعيم لها هو شكري القوتلي لتبدأ سلسلة من الانقلابات ، ودخلت سوريا بعد ذلك في اتحاد مع مصر ثم مالبثت أن انفصلت عنها لتستمر الانقلابات والانقلابات المضادة الي أن استلم حافظ الأسد الحكم ، ثم جاء بعده ابنه بشار ليخلفه في الحكم .
- واستقلت لبنان عن فرنسا ورغم أن الإستعمار الفرنسي كان حريصاً على أن يكون نظام الحكم فيها مقسماً طائفياً، الا أن موقف الأطياف الوطنية المسيحية والمسلمة والدرزية كان موقفها مخلصاً للوطن ،فحينما تولي بشاره الخوري رئاسة أول جمهورية وقف هو ورئيس الوزراء رياض الصلح أمام الأطماع الفرنسية، فتاريخ بلاد الشام وغيرها من الدول العربية التي تتعدد فيها الأطياف العرقية والمذهبية والدينية كانت محاولات تفتيت النسيج الإجتماعي غير ناجحة ، فعلى الرغم من تمسك كل طيف بخصوصيته، الا أن الجميع كانوا مقتنعين بمظلة الثقافة العربية الأسلامية ، وفي تطور سياسي لاحق استعان كميل شمعون بأمريكا لمواجهة

معارضة شعبية ضد قراراته التي أراد من خلالها تغيير الدستور ليتمكن من ترشيح نفسه مرة ثانية بعد انتهاء ولايته ، ولكن أمريكا لم تستمر تفادياً للتورط في خلافات مع شرائح المجتمع اللبناني الرفضة للتدخل الأجنبي، فانسحبت قواتها وجاء بعده رئيس جمهورية مسيحي وطني هو فؤاد شهاب ، وبعد النكسة لجأ اليها الفلسطينيون الذين شردهم الإسرائيليون وحدثت احتكاكات بينهم وبين بعض اللبنانيين مما أدي الي اندلاع حرب أهلية مزقت الوطن وفرقت المواطنين ، وقامت إسرائيل أثناءهاغزولبنان ولكن اللبنانيين تصالحوا بعد اتفاق الطائف ، ثم تعرضت لبنان للتدمير مرة أخرى إثر قيام حزب الله باختطاف جنديين إسرائيليين لمبادلتهما بأسرى لبنانيين ولكن الرد الإسرائيلي كان عنيفا قال عنه حسن نصرالله أمين عام حزب الله بعد انتهاء الحرب بأنه لو كان يعلم بهذا الرد الإسرائيلي العنيف لما أقدم على خطف الجنديين .وانتهى الأمر بتمركز قوات من الأمم المتحدة على الأراضي اللبنانية.

- أما الأردن [١٣] فقد كانت عبارة عن إمارة في شرق الأردن يحكمها الملك عبد الله بن الحسين ثم استقلت عن بريطانيا ، ودخلت الأردن حرب فلسطين وقام الملك عبد الله بالدعوة الى قيام مشروع سوريا الكبري الذي يضم الأردن وسوريا ولبنان وفلسطين ولكنه لم ينجح في مسعاه واغتيل بعدها ، ودخل حفيده الحسين في اتحاد مع العراق ولكن انقلاب قاسم قضي علي تلك الوحدة ودخل في اتحاد مرة أخرى مع العراق ومصر واليمن ولكن غزو صدام للكويت كشف أن ذلك الاتحاد كان المقصود منه مساعدة صدام في غزو الكويت فحل ذلك الاتحاد في فترة حرب الخليج .
- وقد رفض السلطان عبد الحميد أية مساومة بشأن فلسطين فقام يهود الدونمة الذين تظاهروا بالإسلام بالعمل علي القضاء علي الخلافة العثمانية. وكانت جمعية الاتحاد والترقي تضم بعض هؤلاء اليهود فساعدهم الحلفاء للوصول الي الحكم ووعد وزير خارجية بريطانيا " بلفور"عام ١٩١٧م بمنح اليهود وطناً قومياً في فلسطين ، وبعد الحرب العالمية الأولي وسقوط العثمانيين نكث الحلفاء بوعودهم للعرب بمنحهم الاستقلال وقعت فلسطين تحت الانتداب الإنجليزي الذي فتح الباب

للهجرة اليهودية ومنذ ذلك التاريخ الي يومنا هذا وتبعات ذلك الوعد المشئوم لم تنته ، بل إنها تتفاقم يوما بعد يوم بين تقسيم ١٩٤٧ ومذابح دير ياسين وحروب ١٩٤٨ م ، ١٩٥٦ م ، ١٩٦٧ م ، ١٩٧٣ وصولاً الي الحرب الأخيرة في لبنان .

-أما في ليبيا [١٤] ففي عام ١٩١٢م أجبرت إيطاليا العثمانيين على التنازل عن ليبيا وتعاون المصريون مع إخوانهم الليبيين للتخلص من الاستعمار الإيطالي ولكن جهودهم لم تفلح حتى بعد أن تعاون معهم العثمانيون لدحر ذلك الاستعمار. وبعد الحرب العالمية الأولي وتولي موسوليني الحكم عمل على تغيير التركيبة السكانية لليبيا واعتبرها جزءاً من إيطاليا . وكان لأحد شيوخ الزاوية السنوسية وهو عمر المختار دور كبير في مقاومة الإيطاليين ولكنهم قبضوا عليه وأعدموه وبعد هزيمة دول المحور في معركة العلمين في الحرب العالمية الثانية سيطر الحلفاء علي ليبيا وانقسمت ليبيا الي قسمين برقه وطرابلس وكانت من نصيب الإنجليز إما إقليم فزان فقد كان من نصيب فرنسا . واستمرت حركة المقاومة ضد الاستعمار وساندتها الدول العربية والإسلامية حتى اضطرت بريطانية للجلاء عن ليبيا شريطة إقامة قواعد بريطانية وأمريكية واختار الشعب الليبي محمد السنوسي ملكاً على ليبيا الذي الغيت في عهده المعاهدة مع بريطانية خاصة بعد استخدام بريطانية قواعدها في العدوان الثلاثي وفي تلك الفترة تدفق البترول في ليبيا فلم تعد بحاجة الى المساعدات الخارجية . وبعد ذلك قام العقيد معمر القذافي بثورة الغى بعدها الملكية وغير اسمها الى الجماهيرية الليبية وتقلبت علاقات الجماهيرية مع غيرها من الدول ومرت بمراحل متعددة مع الغرب من عداوة لأمريكا وللغرب وصداقة للسوفييت ثم عودة مرة اخرى لأمريكا والغرب

اما تونس [١٥] ففي اتفاق بين فرنسا و إنجلترا والمانيا تم تبادل مناطق النفوذ لتصبح قبرص تابعة لإنجلترا والالزاس واللورين لالمانيا وتونس لفرنسا. وبهذا التقسيم انتهت تبعية تونس للعثمانيين عام١٨٨١م ، وحاول الأستعمار الفرنسي تغيير الهوية العربية الإسلامية لتونس مثلما فعل في الجزائر ولكن الشعب التونسي قاوم الأستعمار الى إن تسنى له الاستقلال بقيادة زعيم الحركة الوطنية الحبيب برقيبة ، واحتفظت فرنسا ببنزرت ولكنها انسحبت منها بعد ذلك ، وقام بعد ذلك زين العابدين

بن علي بتنحية أبو رقيبة وحل محله الى يومنا هذا ، وفي الجزائر[١٦] حاولت فرنسا عام ١٨٣٠ م تعويض ما فاتها في الهند والقارة الأمريكية فركزت على استعمار الجزائر والغت السيادة العثمانية عليها وحاولت أن تجعل منها قاعدة للانطلاق نحو أفريقيا وعملت بكل الوسائل لطمس هويتها العربية والإسلامية، ولكن المقاومة الجزائرية اشتدت ،وكان من ابرز زعمائها الأمير عبد القادر فأنزلت خسائر فادحة بالفرنسيين حتى اضطروا للتخلي عن وسط وغرب الجزائر الى أن استجمع الفرنسيون قوتهم من جديد وهاجموه حتى اضطر للاستسلام في نهاية الأمر وتم نفيه الى دمشق حيث مات هناك ، واشتدت ضراوة فرنسا فعملت على الغاء اللغة العربية وشجعت هجرة الفرنسيين للجزائر وصادرت أراض الجزائريين فقاومها الجزائريون بزعامة الأمير خالد عبد القادر الجزائري أثناء الحرب العالمية الأولى ولكنه لم يستطع أن يدحرهم فتزعم علماء الجزائر الكفاح المسلح . وعندما قامت الحرب العالمية الثانية هاجم الالمان فرنسا واحتلوا باريس فاستعانوا بالجزائريين لدحر الالمان، وقد كان متوقعاً أن تكافئهم فرنسا بعد هزيمة الالمان على موقفهم بمنحهم الاستقلال ، ولكنها ازدادت قمعاًَ للشعب الجزائري فثار الشعب الجزائري وساندته في ذلك الدول العربية حتى نال استقلاله وتولى بن بيللا الاشتراكي النزعة رئاسة الجمهورية ونشب بين الجزائر والمغرب خلاف حول منطقة تندوف التي كانت فرنسا قد ضمتها للجزائر ، وبعد ذلك قام العقيد هواري بومدين بانقلاب عسكري وخلع بن بيللا فلما توفي حكم الشاذلي بن جديد البلاد وتم الصلح بين المغرب والجزائر وجرت انتخابات في البلاد فازت بها جبهة الأنقاذ الإسلامية فضغطت الدول الأوربية لالغاء نتائج الانتخابات واستجابت الحكومة لذلك الضغط ، ومن ذلك اليوم الى يومنا هذا والاضطرابات مستمرة في الجزائر وإن كانت بشكل أخف من ذي قبل .

أما المغرب [١٧] فكانت من أوائل الدول العربية استقلالاً عن الخلافة العباسية وعمل حكامها الأدارسة على نشر الإسلام ومساعدة إخوانهم في الأندلس وبعد ضعف الأدارسة تفككت الدولة الى قبائل وأستطاع العبيديون انشاء دولة اطلقوا عليها اسم الفاطمية في شمال المغرب كما مر بنا سابقاَ، ثم جاء المرابطون فالموحدون ثم بنومرين الى أن سقطت الأندلس فزحف البرتغاليون على المغرب وأذاقوا أهلها الذل

والهوان فقاومهم أهل المغرب وظهر بنو وطاس ثم الأشراف الحسينيون الذين التف حولهم الشعب فقاوموا البرتغاليين ، وقد ساعدهم العثمانيون ضد الأسبان والبرتغاليين فحكموا البلاد الى أن استطاع أعداؤهم بث الفتنة بينهم وبين العثمانيين وتشكيكهم في النوايا العثمانية مما جعلهم يخافون من ضم العثمانيين لهم ويرفضون حتى مجرد السيادة العثمانية ، ثم بدأ الضعف يدب فيهم الى أن بدأت القبائل تستقل عن حكمهم وبرزت أسرة الشبانات التي حاربت الأشراف الحسينين وقضت عليهم ولكن الأشراف الفلاليين نهضوا ضد الشبانات وقضوا عليهم وظلوا يحكمون المغرب الى يومنا هذا .وظلت البلاد في عزلة حتى غزا قام الفرنسيون بتقسيم المغرب بينهم و بين الأسبان عام ١٩١١ م، فكان لفرنسا المناطق الوسطى والجنوبية وكان لأسبانيا المناطق الشمالية ووضعت طنجة تحت الإدارة الدولية فثار المغاربة على ذلك وقاد ثورتهم في الريف محمد عبد الكريم الخطابي. ولما جاءت الحرب العالمية الثانية وعد الحلفاء السلطان محمد الخامس بالاستقلال إذا تعاون معهم ، فساعدهم ثم أنتظر ليوفوا بعهودهم ،ولكنهم نكثوا بعد انتصارهم فثار الشعب من جديد فنفى الفرنسيون السلطان الى الخارج ولكنهم سرعان ما رضخوا للضغط ورحلت فرنسا بعد أن استقلت المغرب ولكن مشكلة جديدة برزت لها وهي مشكلة موريتانيا التي كانت تابعة للمغرب ولكن الفرنسيين فصلوها عن المغرب فاستقلت موريتانيا ولكن مشكلة الصحراء المغربية التي تطالب جبهة البوليساريو باستقلالها لا زالت قائمة ، وكذلك مدينتي سبته ومليلة اللتان لازالتا تحت الاحتلال الأسباني.

أما موريتانيا [١٨] التي اشتق المستعمرون الأسبان ثم الأوربيون من مور يتانيا أي بلاد العرب فقد خضعت آخر الأمر للإستعمار الفرنسي حتى استقلت عام١٣٨٠هـ فظهر الخلاف بينها وبين المغرب وحدث انقلاب عسكري على أول رئيس لها وهومختار ولد داداه فاختير ولد محمد السالك رئيسالها لكن السلطة الحقيقية كانت بيد أحمد أبو سيف الذيقضى في حادث تحطم طائرة فاستبد محمد خونا بالحكم حتى خلعه معاوية ولد يدي الطايع في انقلاب عسكري .وظهر في هذه الأثناء الجناح العسكري لجبهة تحرير أفريقيا والذي تموله الصهيونية العالمية والمنظمات التبشيرية النصرانية ، وأخذ هذا الجناح يزرع الفتنة بين العرب والزنوج الموريتانيين بحجة أن العرب هم

المسيطرون على مقاليد الحكم ،وقام ذلك الجناح بانقلاب فاشل ، وكان لذلك نتائج سلبية على العرب الموريتانيين المقيمين في السنغال فتعرضوا لهجمات أعقبها هجمات ثأرية ضد الزنوج المقيمين في موريتانيا ،الى أن انتهى الأمر بترحيل العرب الموريتانين من السنغال وترحيل الزنوج من موريتانيا.تلا ذلك محاولة معاوية ولد الطايع التقرب من إسرائيل واستبد بالحكم الى أن أطاح به انقلاب عسكري لازال يحكم موريتانيا الى يومنا هذا.

أما أفريقيا السمراء فقد تعرضت لهجمة استعمارية شرسة بعد سقوط الأندلس من الإسبان والبرتغاليين لكونها الأقرب الى المناطق التي احتلوها من عرب الأندلس ، ثم تنافس معهم مستعمرون اوربيون آخرون فنال المسلمون منهم شتى أنواع الإستعباد ومؤامرات التنصيرالى يومنا هذا. أما المناطق العربية فكانت محنتها مزدوجة لكونها مسلمة وعربية في آن واحد.

فقد كانت السودان تخضع للحكم الثنائي الإنجليزي المصري ولما أحست إنجلترا بدنو أجلها في السودان عقدت مفاوضات مع السودانيين حول مستقبلهم فوقع خيار السودانيين على الإنفصال عن مصر وأعلن عن قيام الجمهورية السودانية وانضمامها للجامعة العربية ، ومنذ اختيارسماعيل الأزهري كرئيس للسودان والمؤامرات تترى على السودان ، افتتح إبراهيم عبود سلسلة الإنقلابات ثم عاد الأزهري مرة أخرى لينقلب عليه جعفر نميري وقامت بعد ذلك عدة محاولات انقلابية كادت واحدة منها أن تنجح لولا تدخل مصر ، ولكن النميري ظل يغير سياسته من اليسار الى اليمين الى أن تورط بنقل الفلاشا [١٩] إلى إسرائيل، فقام عبدالرحمن سوار الذهب بانقلاب عليه .وكان الصادق المهدي هو رئيس الوزراء فقام انقلاب أخير قاده عمر البشير والذي ظل يصارع التدخلات الأجنبية ،خاصة وأن الإستعمار الإنجليزي زرع فتنة فصل شمال السودان عن جنوبه ثم ترك الأمر للإرساليات التبشيرية والحكومات المرتبطة بها مثل : أثيوبيا وأوغندا وأفريقيا الوسطى لتكمل المهمة ،ولكن الحكومة السودانية اتفقت في النهايةعلى أسس إدارة الدولة مع جيش تحرير السودان الجنوبي بقيادة جون قرنق والذي مات في حادث تحطم طائرته بعد ذلك بفترة قليلة.ومأأن انتهت مشكلة الجنوب

حتى برزت للسودان مشاكل عرقية جديدة لايزال بعضها قائماً مثل مشكلة دارفور التي تسعى الدول الإستعمارية لتأجيجها .

وتعرضت الصومال إلى تمزق شديد في أوصالها ،إذ كانت مساحتها الأصلية تعادل ضعف ماهي عليه الآن تقريباً ولكن التنافس الإستعماري مزقها شر ممزق، فانقسمت الى الصومال الفرنسي الذي أصبح يعرف فيما بعد باسم جيبوتي، وانقسمت كذلك الى الصومال الإيطالي والصومال الإنجليزي ،واقتطعت الحبشة إقليم أوغادين وأخذت كينيا جزءاً آخر من هذا البلد المستباح.ولا تضم الصومال اليوم الا الصومال الإيطالي وجزءاً أرجعته لها إنجلترا بعد أن اقتطعت جزءاً آخر أعطته كهدية إضافية لأثيوبيا ،أما أثيوبيا وكينيا فلم يتخليا عن الأجزاء التي اقتطعتها من الصومال.وحاولت الصومال إسترجاع أراضيها من الدولتين بالمفاوضات ثم بالقتال ولكن دونما فائدة ، بل زاد ذلك من مشاكلها إذ أخذت أثيوبيا تدعم الحركات المعارضة، الى أن جاء محمد زياد بري فاعتقد بأن تقربه من السوفييت سيغير الوضع واستجاب للإملاءات السوفيتية فأعلن تطبيق الإشتراكية وسار على نهجهم وبالغ حتى الغى اللغة العربية رغم أن الصومال عضو في الجامعة العربية . ولكن حينما بدأ الصدام بين أثيوبيا والصومال فإذا به يفاجأ بأن الإتحاد السوفيتي يلقي بكل ثقله الى جانب أثيوبيا ضدالصومال فقطع علاقته بهم ، ولكن أثيوبيا رغم إبرامها إتفاقية سلام مع الصومال الا أنها ظلت تساند قوى المعارضة الصومالية وتخترق قواتها أرض الصومال بشكل مستمرمما أدى الى إضعاف الحكم في الصومال وفرار زياد بري من البلاد فانهارت السلطة وبدأت الفصائل الصومالية تدخل في حرب ضد بعضها وانفصل من جديد جزء من الصومال ليكون جمهورية مستقلة في الشمال .وحتى حينما أرادت الدول الغربية التدخل من جديد بقيادة الولايات المتحدة نكبت بخسائر فادحة فاضطرت للإنسحاب. ولايزال الوضع على ماهو عليه الى أن قامت فصائل مقاتلة أطلقت على نفسها اسم اتحاد المحاكم الشرعية لتوحيد الشعب الصومالي والوقوف بوجه التدخل الأثيوبي الذي ظل يرسل قواته لمساعدة المعارضين رغم ترحيب الصوماليين بالحركة الجديدة .

أماجيبوتي [٢٠] التي كان اسمها الصومال الفرنسي فقد تعرضت هي الأخرى للاستعمار الفرنسي ، ثم اتخذت من القبيلتين اللتين تسكنانها وهما عفار وعيسى إسماً لها ،ثم مالبثت أن استقلت عن فرنسا لتسمى جيبوتي وتنضم لجامعة الدول العربية، وأما جزر القمر فتسكنها أغلبية كاسحة من المسلمين وقد بدأت الهجرات العربية اليها منذ بداية اتساع رقعة الإسلام، وقد تعرضت للإستعمار الفرنسي ثم نالت إستقلالها باستثناء جزيرة واحدة هي جزيرة مايوت التي توجد فيها جالية فرنسية كبيرة ، ولكن جزر القمر منكوبة بوجود مرتزقة أوربيين يعملون على زعزعة الإستقرار وقلب أنظمة الحكم ،ومن أشهر هؤلاءالمرتزقة بوب دينارالذي قام بانقلاب أغتيل فيه الرئيس علي صويلح ثم بانقلاب آخر أغتيل فيه سلفه الرئيس أحمد عبدالله واستلم بوب الحكم لحين اختيار رئيس جديد ،فلما تم اختيار الرئيس محمد جوهرحاول التمسك بالحكم لكن الإستعانة بالفرنسيين لمواجهة المرتزق بوب دينار مكنت القوات الفرنسية من العودة لجزر القمر التي لازالت تواجه ظرفاً عصيباً بسبب كثرة المرتزقة الأوربيين الذين يحاولون الإنفصال بعدة جزر من الدولة الأم لدرجة أن منظمة الوحدة الإفريقية ألغت عضويتها في المنظمة لكثرة المرتزقة الأوربيين فيها ،ولم يستجب لطلبها الإنضمام الى جامعة الدول العربية الا بعد محاولات مضنية.

وهكذا ماكاد حلم العرب أن يتحقق بالخلاص من الإستعمار حتى جوبهوا بزخم من المؤامرات التي عقدها الإستعمار مع بعض النخب العسكرية والسياسية للاستيلاء على السلطة والإدعاء بالشعارات الوطنية في الوقت الذي عقدت تلك النخب صفقات سرية لمصلحتها الشخصية والفئوية فلما استنفذت تلك النخب دورها وانتاب الغرور بعضهاالآخر و تجاوز حدوده المرسومة له ، تحولت أنظار الاستعمار الجديد الى كيل اللوم لأنظمة الحكم العربية ، الصالح منها والطالح ، كسبب في تخلف الأمة العربية ، ولاشك أنها كانت محقة في توجيه اللوم الى بعض الأنظمة القمعية التي لم تكن لتستولي على مقدرات شعوبها لولا مساعدة وترتيب من الدول الاستعمارية سواء بالانقلابات العسكرية أو المؤامرات أوغيرها من السبل .

وحاولت دول الاستعمار القديم أن تطرح شعارات محببة للنفوس تتقرب بها للشعوب العربية مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان فتضرب بذلك أكثر من عصفور بحجر

لتتخلص من أنظمة الحكم المعادية لها أو التي يتعارض وجودها مع مصالحها الخاصة ، ولتتقرب من الشعوب العربية التي تئن من جور حكومات الشعارات الزائفة ، ولكن تلك الحكومات الخبيرة بالمؤامرات تأقلمت مع المطالب الغربية فحرصت على إجراء انتخابات شكلية رسخت وجودها بالتزوير والبطش والتلاعب بنتائج تلك الانتخابات ،واستطاعت أن توصل بعض المتعاطفين معها الى مقاعد البرلمان ، وهكذا ودعت الشعوب العربية القرن العشرين واستقبلت القرن الواحد والعشرين وهي تعاني من أكثر من مأزق سياسي واقتصادي واجتماعي ، وتعيش شعوبها صراع قوى محلية وصراع استعمار قديم مع استعمار جديد يحدث نفسه بتحقيق أطماع قديمة، ودول ومناطق عربية محتلة وأخرى تم الغاء كل علاقة لها بالعروبة والاسلام .

<u>مشروع الشرق الأوسط الجديد(الكبير)</u>[٢١] :

يخضع الشرق الأوسط لمؤامرات منذ أزمنة بعيدة كلها تهدف الى تجزئته وتقسيمه بالرغم مما هو عليه حاليا ، وبعيدا عن الخوض في التاريخ القديم كانت خريطة التقسيم في العصر الحديث وتحديدا في ١٩١٦ أول خريطة وفقاً للمخطط الإنجليزي الفرنسي التي كانت ترزح المنطقة كلها تحت احتلالهما، وعرفت هذه الاتفاقية باتفاقية "سايكس بيكو" وتكررت السيناريوهات في ١٩٨٣ وبعد ١١ سبتمبر طرح مصطلح الشرق الأوسط الكبير أو الجديد، وسيشمل دول المشرق العربي ومصر بالإضافة الى إيران وتركيا وأفغانستان وهناك خريطة صهيونية جديدة لتقسيم شبه الجزيرة العربية والخليج وفيها الغاء دول الخليج للقائمة الى جانب اليمن وضمها جميعاً في ثلاث دويلات فقط ، هي دويلة الإحساء الشيعية ودويلة نجد السنية ودويلة الحجاز، وقد وضع هذه الخريطة المستشرق الصهيوني "برنار لويس" سنة ١٩٨٠، واعتمدها الكونغرس الأمريكي بالإجماع في جلسة سرية عام ١٩٨٣ وفقاً للخريطة التي ضمها كتاب (أسرار سياسية عربية صفحة ١٩٨٣ للمؤلف عبد الهادي البكار).

. خريطة كشفت عنها مجلة القوات المسلحة الأمريكية، وكتبها كولونيل سابق في الجيش الأمر يكي، وشعبة الاستخبارات العسكرية.

. دولة كردستان الحرّة, والدولة الشيعية العربية, الأردن الكبير ,والسعودية الى خمسة أقسام، و تركيا و باكستان الخاسر الأكبر.

. هذا التقرير هدفه إن لم يكن التطبيق الفعلي, فهو لابتزاز عدد من الدول الكبيرة، كالسعودية ، باكستان ، تركيا للبقاء ضمن الدائرة الأمريكية.

نشرت مجلة القوات المسلحة الأمريكية في عددها حزيران ٢٠٠٦ تقريراً خطيراً كتبه (رالف بيترز) و هو (لوتانيت كولونيل) سابق في الجيش الأمر يكي، و خدم في شعبة الاستخبارات العسكرية أيضاً وتفرغ للكتابة و النشر بعد تقاعده، وقد نُشر في ١٠ تموز ٢٠٠٦ كتابه المعنونNever Quit The Fight) الذي يُعدّ هذا التقرير جزءاً منه أيضاً.

يتحدّث (رالف بيترز) في هذا التقرير عن عملية تغيير لمعالم دول الشرق الأوسط من الناحية الجغرافية، تنشأ عبرها دول جديدة، و تتقسم دول أخرى، و تتغير معالم دول ، و تندمج دول أخرى .

و يعرض التقرير المنشور في المجلة خرائط لمنطقة الشرق الأوسط بشكلها الحالي، و خرائط للشكل الذي يتم العمل على تحقيقه. و يعتمد التقرير لتسويغ هذا المخطط على عدد من الحجج المنطقية الجدلية لتمرير هذا مشروع و منها:

أولا : إنّ الحدود الحالية هي حدود رسمتها كل من بريطانيا و فرنسا بشكل عشوائي في القرن التاسع عشر وهي حدود غير عادلة.

ثانياً: إنّ قوس الحدود الأكثر تشابكاً و فوضوية في العالم يكمن في إفريقية و الشرق الأوسط, وإنّ هذه الحدود تعمل على إثارة الحروب و الموت في هذه المنطقة من العالم, و لذلك يجب تغييرها و إعادة رسمها لإعطاء الأقليات المذهبية أو القومية و الإثنية حقوقها المسلوبة.

ثالثاً: صحيح أنّه في بعض الحالات, قد تتفاهم مجموعات مختلفة متعددة الأعراق أو الديانات و الإثنيات بحيث تتعايش و تتداخل مع بعضها البعض, لكنّ الغالب أنّ

التداخل بالدم أو المعتقد في أماكن أخرى قد لا يكون ناجحاً بقدر الاتحاد الذي يحصل في داخل المجموعة الواحدة, لذلك لا بد من إجراء هذا التغيير في خريطة الشرق الأوسط.

رابعاً: الحدود المرسومة للدول ليست ثابتة على الإطلاق و العديد من الحدود من الكونغو الى القوقاز مروراً في كوسوفو تتغيّر الآن , و من هنا فإنه لا يجب الإعتداد مع بالحجّ القائلة إنّ هذه الحدود لهذه الدول لا يجب تغييرها ؛ لأنّها تعبّر عن واقع موجود منذ آلاف السنيين, وإنّ المحافظة عليها تتطلب تحمّل ضريبة المشاكل التي تحصل فيها .

خامساً:إنّ حدود الشرق الأوسط تسبب خللاً وظيفياً داخل الدولة نفسها، و بين الدول بعضها البعض، خاصّة من خلال الممارسات ضد الأقليات القومية والدينية والإثنية, أو بسبب التطرف الديني أو القومي والمذهبي, و لذلك يجب إنهاء هذا الأمر.

و يدعي التقرير أنّ الغاية من هذا التعديل هو تحقيق عدد من الأهداف الإنسانية و التي تتعلق بالعدل و الديمقراطية و التوازن و أهداف أخرى رئيسية هي :

أولاً: إنهاء الظلم الذي يعاني منه عدد من الأقليات في الشرق الأوسط و منها: الأكراد , البلوش و الشيعة العرب ، و على الرغم من أنّ التعديلات المرتقبة تأخذ بعين الاعتبار مصالح هذه الفئات, الاّ أنّ هذه التعديلات المرتقبة قد لا تستطيع أن تحقق مصالح أقليات أخرى بالكامل مثل : المسيحيين, البهائيين, الإسماعيليين النقشبنديين, و عدد من الأقليات الأقل عدداً .

ثانياً : محاربة الإرهاب بشكل كامل بواسطة القوات الأمريكية المتمركزة في المنطقة و حلفائها من الدول المحلية أو العالمية.

ثالثاً: تأمين تدفق النفط بشكل تام و كامل للغرب دون أي قيود.

رابعاً: تحقيق السلام الكامل عبر إحداث تعديلات في الحدود الجيو–سياسية للدول الموجودة حالياً في الشرق الأوسط, و نشر الديمقراطية.

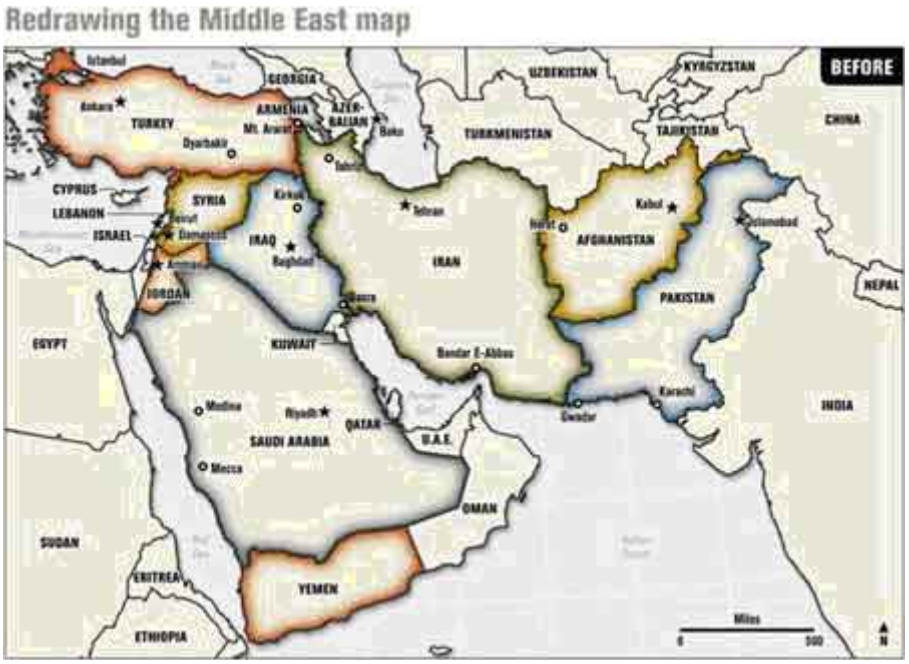

و يمرر التقرير في ثناياه عدداً من النقاط التي قد يمر القارئ عليها مرور الكرام ، و لكنّها خطيرة جداً في مضمونها و معناها و منها:

أولاً: الترويج أنّ هذا التغيير و التعديل هو لمصلحة الجميع، خاصّة أنّه –و على عكس ما قامت به كل من فرنسا و بريطانيا يراعي مصالح القوميات و الإثنيات و المذاهب و المجموعات المختلفة المنتشرة في المنطقة القائمة حالياً؛ لأنه قائم على أساس وقائع ديموغرافية تشمل الأقليات المذهبيّة و الإثنية و القوميّة.

ثانياً: إنّ هذا التغيير في الحدود المرسومة حالياً و تعديلها لإيجاد شرق أوسط جديد، لا يمكن أن يتم بسهولة و سرعة، لأن إعادة تصحيح الحدود الدولية يتطلب توافقاً لإرادات الشعوب التي قد تكون مستحيلة في الوقت الراهن, و لضيق الوقت فإنه لابد من سفك الدماء للوصول الى هذه الغاية و استغلال عامل الوقت لصالح هذه الخطّة .

استناداً لما تمّ ذكره, فإن دولاً جديدة ستنشأ، مما يعني فقدان بعض الدول الموجودة لأجزاء كبيرة من حدودها الحالية و زيادة حدود دول أخرى.

الدولة الكردية :تقتضي الخطّة المذكورة إقامة دولة كردية مستقلة للأكراد البالغ عددهم ما بين (٢٧ – ٣٦) مليون كردي يعيشون في مناطق محاذية لبعضها البعض في

الشرق الأوسط؛ إذ يعد التقرير أنّ الأكراد هم أكبر قوميّة في العالم لا يعيشون في دولة مستقلة ، و أنّه يجب تحقيق دولتهم المستقلّة عبر عدد من الخطوات منها:

أولاً : استغلال الفرصة التاريخية التي لاحت للولايات المتّحدة بعد سقوط بغداد في إنشاء دولة كردية إثر تقسيم العراق الى ثلاث دول؛ لأن الأكراد سيصوتون بنسبة ١٠٠% لصالح قيام دولة مستقلة إذا عُرضت عليهم فرصة قيام دولة مستقلة.

ثانياً : دعم أكراد تركيا على الرغم من أنّ هجماتهم في الداخل قد خفّت خلال العشر سنوات الماضية, الاّ أنهم عادوا من جديد الآن ، و عليه يجب استغلال هذه الفرصة للضغط على تركيا ، و إظهار الجزء الشرقي منها كما و أنّها "منطقة محتّلة.

ثالثاً : بعد قيام الدولة الكرديّة المستقلة في العراق و تركيا, فإنّ أكراد إيران

و سوريا سينضمون بمناطقهم مباشرة اليها و سيشكلون "دولة كردستان الكبرى المستقلّة" بحدودها النهائية.

و ستكون هذه الدولة الكرديّة الممتدة من ديار بكر في تركيا الى تبريز في إيران أكبر حليف للغرب في المنطقة ما بين اليابان و بلغاريا.

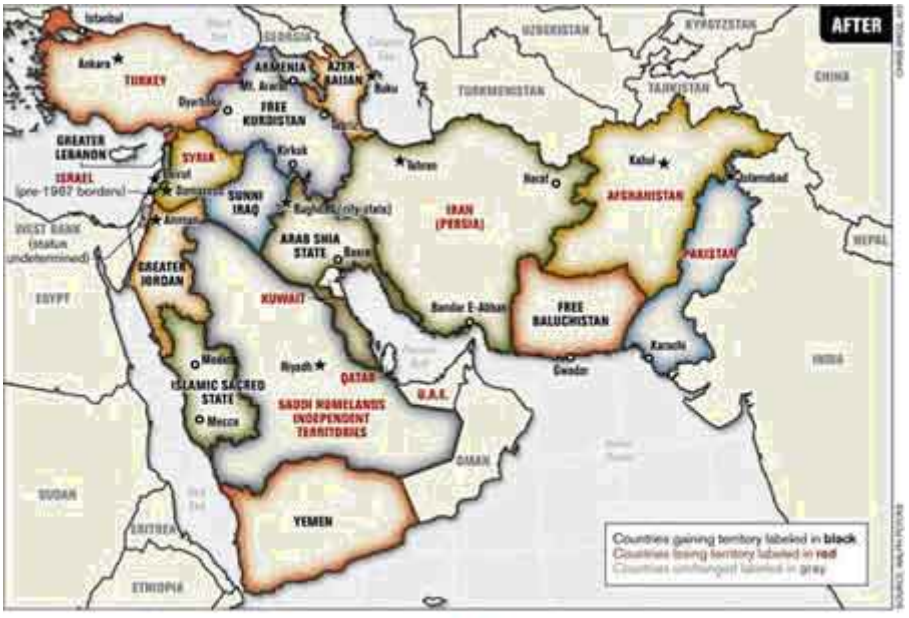

الشرق الأوسط الجديد

الدولة الشيعية العربية :وفقاً للتقرير ,فإنّ الجزء الجنوبي من العراق سيكون نواة لتشكيل دولة شيعية عربية تنضم اليها مناطق واسعة من الأراضي المحيطة بها ليشكل حزاماً على المنطقة المحاذية للخليج العربي على أن تشمل المناطق التالية:

أولاً: الجزء الجنوبي الغربي من إيران و المعروف بمنطقة الأهواز أو عربستان و التي تضم معظم الشيعة العرب في إيران.

ثانياً: الجزء الشرقي من المملكة العربية السعودية و الذي يضم العدد الأكبر من الأقلية الشيعية في المملكة.

دولة سوريا الكبرى: بعد تقسيم العراق الى ثلاثة أقسام: كردي في الشمال, شيعي في الجنوب و سني في الوسط, سيضطر الجزء السني الى الالتحاق بسوريا، و ذلك لأنه سيصبح دولة لا مقومات لها بين مطرقة الدولة الكردية الكبرى الى شماله، و سندان الدولة الشيعية الى جنوبه إذا لم ينضم الى سوريا ، و سيتم إجبار سوريا على التخلي عن جزء صغير منها لضمّه الى لبنان لتشكيل "دولة لبنان الكبير" على البحر المتوسط لإعادة إحياء دولة فينيقيا.

تقسيم المملكة العربية السعودية: ستكون المملكة الى جانب الباكستان بالإضافة الى تركيا من الأكثر الدول التي ستعاني نتيجة للتغيير الذي سيطرأ على المنطقة ، وسيتم تقسيم المملكة الى خمسة أقسام:

أولاً: القسم الشرقي الساحلي حيث تتواجد الأقلية الشيعية في المملكة، و سيتم الحاق هذا القسم بالدولة العربية الشيعية التي تحدثنا عنها أعلاه.

ثانياً: القسم الثاني هو جزء يقع في شمال غرب و شرق المملكة، و سيتم الحاقه بالأردن الذي سيشكّل بحدوده الموجودة حالياً إضافة الى الجزء السعودي دولة" الأردن الكبرى" التي ستضم كل الفلسطينيين في الشتات.

ثالثاً: القسم الثالث من المملكة سيضم كل المدن الدينية لاسيما مكّة المكرّمة و المدينة المنوّرة التي سيتم تشكيل دولة دينية عليهما يحكمها مجمّع ديني من مختلف الطوائف و المذاهب الإسلامية يشبه الى حد كبير الفاتيكان.

رابعاً: الحاق قسم من جنوب المملكة الى الجمهورية اليمنية التي سيزيد حجمها.

خامساً: تشكيل دولة سياسية في القسم المتبقي من حجم المملكة الأصلي.

الجمهورية الإيرانية :صحيح أنّه سيتم اقتسام بعض الأجزاء من إيران لصالح تشكيل دولة كردية و دولة شيعية عربية و دولة بلوشية و جزء صغير لضمّه لدولة أذربيجان، الاّ أنّه سيتم اقتطاع جزء من أفغانستان المجاورة لتشكيل دولة قومية فارسية تحلّ محل الجمهورية الإيرانية الحالية.

أفغانستان و باكستان: القسم الذي سيتم اقتطاعه من أفغانستان لمنحه لإيران سيتم تعويضه من خلال منح أفغانستان جزءاً كبيراً من باكستان حيث العديد من القبائل الأفغانية و القريبة لها, و سيتم اقتطاع جزء آخر أيضاً من باكستان حيث يقيم البلوش لمنحه لدولة بلوشستان الحرة، و بذلك يتبقى مساحة ثلث أو أقل من حجم باكستان الحالية التي ستشكّل الدولة الجديدة المنتظرة.

الكويت, قطر, عمان , الإمارات و اليمن: ستبقى هذه الدول على الأرجح بشكلها الحالي دون زيادة أو نقصان مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ الإمارات قد تشهد بعض التغييرات، و ذلك تبعاً للتغير الذي سيصيب بعض الدول المجاورة لها، سواء لناحية إيران أو لناحية دولة الشيعة العرب, فيما سيزيد حجم اليمن نتيجة لمنحها جزءاً من المملكة العربية السعودية.

لذلك و كما نرى فإنّ إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط سيتم على أساس قومي أو أثني في بعض الأحيان و طائفي في أحيان أخرى, و بما أنّ إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط انعكاساً لإرادة الناس و الفئات لا يمكن أن يتم فوراً حتى ولو أرادوا ذلك الاّ أنّه

مع الوقت ومع عملية سفك الدماء وفقاً للتقرير فإن تحقيق هذه الخريطة الجديدة سيكون ممكناً جداً.

أمّا بالنسبة لإسرائيل ووفقاً للتقرير, فلكي تمتلك أي أمل بالحياة بسلام مع جيرانها فسيكون عليها الانسحاب من كل المناطق التي احتلتها في العام ١٩٦٧ مع ضرورة إجراء تعديلات محلية تواكب القلق الأمني الذي يساورها بشكل دائم.

شخصياً أعتقد أنّ نشر مثل هذا التقرير في مجلة عسكرية أمريكية هدفه إن لم يكن التطبيق الفعلي, فهو لابتزاز عدد من الدول الكبيرة كالسعودية و الباكستان و تركيا للبقاء ضمن الدائرة الأمريكية, خوفاً من هذا المصير. و في حال تمّ تطبيقه فالهدف منه إيجاد بيئة رسمية و شعبية موالية للولايات المتحدة الأمريكية؛ لأنّ الدول التي ستنشأ و الكيانات التي ستقوم و المجموعات التي ستستفيد من هذا الواقع ستكون ممتنّة جداً للولايات المتحدة و مدينة لها، كما هو حال الحكومة الحالية في أفغانستان من الناحية الرسمية، أو كما هو الحال مع شيعة العراق و كرده رسمياً أو شعبياً.

و مما لا شك فيه أنّ الخطط الأمريكيّة تجاه العالم الإسلامي الذي تدعوه الشرق الأوسط, عندما تريد تخصيص الدول العربية و بعض الدول الأخرى في محيطها، تعدّدت و تنوّعت على مر السنين لتتلاءم مع التغيرات التي تطرأ على المنطقة بين الحين و الآخر, لكنّها في جميع الأحوال و الظروف حافظت على عاملين اثنين أساسيين اعتبرتهما كثوابت في جميع هذه الإستراتيجيات, و خطّا أحمر يمس الأمن القومي الأمريكي:

العامل الأول هو: حماية أمن إسرائيل و دعمها بأي ثمن العامل الثاني هو: تأمين النفط و المصالح الإستراتيجية الأمريكية الأخرى.

و على العموم فإنّ الإستراتيجية الأمريكية الجديدة في المنطقة يمكن تلمّس معالمها من خلال الأدوار التي لعبتها أمريكا في أفغانستان و العراق ، و من خلال الأدوار التي تلعبها مؤخراً بمساعدة أوروبا في عدد من الملفات، سواء في سوريا أو لبنان أو فلسطين أو مصر أو الخليج العربي و تركيا.

إنّ مسالة التلاعب أو التحكّم بورقة الأقليات [٢] و حقوق الإنسان مسالة معروفة قديماً في العرف السياسي الأمريكي الخارجي, و هذا الأسلوب يظهر الولايات المتّحدة بمظهر المدافع عن حقوق البشر و توجّهاتهم في وقت تعاني هي أصلاً فيه من عنصرية بغيضة تجاه الأقليات سواء العرقية أو القوميّة. على العموم , الخطة الأمريكية الجديدة تقوم على استعمال ورقة الأقليات لزعزعة استقرار ووحدة الدول القائمة في الشرق الأوسط، لاسيما أنّ لهذه الورقة قوّة كبيرة، و قد تؤدي الى مواجهات عنيفة تتفكك على إثرها الدولة الى دويلات طائفية وعرقية أو تضعف الدول كثيراً في أحسن الأحوال ؛ لأنّ الدولة في الشرق الأوسط بطبيعتها الحاليّة، و منذ انهيار الدولة العثمانيّة هي دولة قوميّة بالأساس، و تضم عدداً كبيراً و متنوعاً من الأعراق و الطوائف و القوميات.

و بطبيعة الحال فإن الدول التي تحويها القائمة الأمريكية في هذا المجال هي الدول الأكثر تنوعاً و امتزاجاً مثل: العراق, أفغانستان, السودان ,الجزائر, لبنان...الخ و ذلك من أجل إعادة صياغة الواقع العرقي و الطائفي و القومي وفق تركيبة تناسب المخططات الأمر يكية التي تهدف الى تحقيق عدة أهداف منها:

أولاً: إضعاف الدولة القوميّة بشكلها الحالي التي لديها حساسية كبيرة بطبيعة الحال تجاه التدخلات الخارجية في شؤونها ، و هو ما سيسهّل عملية الاختراق الأمريكية للدول التي تأبى الانصياع لما تريده أو التي ترفض التغيير بحسب الوصفة المقدّمة على الطريقة الأمريكيّة.

ثانياً:ضمان عدم التحام هذه الأقليات و الطوائف و الأعراق, و ضمان عدم ذوبانها أو على الأقل انسجامها مع الأغلبية في أي بلد من بلدان الشرق الأوسط في أي إطار جامع على الشكل الذي كانت فيه منذ قرون لضمان أنها ستكون بحاجة الى مساعدة خارجية, و كل ذلك من أجل أن تبقى هذه الأقليات برميل بارود يمكن تفجيره في الوقت الذي تراه القوى الغربية مناسباً، و بالتالي أمريكا ستكون جاهزة للتدخل في أي مكان و زمان تراه مناسباً في أي بلد من هذه البلدان إذا رأت أنّ ذلك لمصلحتها, و

بحجّة الحماية بطبيعة الحال. و إن لم يكن ذلك في مصلحتها فلا هي ترى و لا تسمع و لا تتكلم.

ثالثاً:إنّ الهدف أيضاً من ورقة الأقليات هو تسويغ وجود إسرائيل و توسيع رقعة المشاكل و النزاعات الإقليمية الداخلية العرقيّة و القوميّة لإشغال العالم العربي و الإسلامي و شعوب هذه الدول بالمشاكل الداخلية المستجدّة لديهم و المخاطر التي تتهدّد بلدانهم المعرضّة آنذاك للتفتيت والتقسيم, بمعنى تقسيم المقسّم أصلاً و تجزئة المجزّء بعدها حتى تصبح القضيّة الفلسطينيّة في آخر اهتمامات الشارع الإسلامي و الدول الإسلامية, هذا إن تذكّرها بعد ذلك أحد , و بالتالي تنعم" إسرائيل " بما هي فيه.

رابعاً : الهدف أيضاً من نفس الموضوع هو إفساح المجال أمام إسرائيل للدخول و التغلغل في هذه الدول عبر الأقليات سواء القومية أو الطائفية أو العرقية، و لنا في أكراد العراق و شيعته مثال على ذلك ؛ إذ إنّ الدولة المدمّرة أو المفتّتة أو التي يتم إضعافها عبر ورقة الأقليات سيكون من السهل على إسرائيل اختراقها كما حدث أيضاً في جنوب السودان.

ترتكز الإستراتيجية الأمريكية الجديدة في المنطقة, في شقّها الثاني على تحجيم نفوذ الدول الكبرى تقليدياً في المنطقة مثل:

- السعوديّة : التي من المفترض أن تشمل دائرة نفوذها الإقليمية على الأقل دول الخليج العربي و ذلك لاعتبارات اقتصادية و ديمغرافية و جغرافيّة عسكرية...الخ.

- مصر: التي من المفترض أن تشمل دائرة نفوذها أو دائرة تأثيرها أيضاً منطقة شمالي إفريقية و السودان و فلسطين على الأقل، و ذلك أيضاً لأسباب ديمغرافيّة , اقتصاديّة, تاريخيّة..الخ.

- سوريا و العراق: حيث تمتد دائرة نفوذ الدولتين الى الدول المجاورة لهم سواء لبنان و فلسطين بالنسبة الى سوريا أو الأردن و الخليج بالنسبة للعراق .بالإضافة الى عدد آخر من الدول الكبيرة أيضاً التي لم نذكرها.

و نلاحظ أنّ الولايات المتّحدة قد لجأت الى هذه الخطّة في تحجيم نفوذ الدول الكبرى نظراً للتعقيدات الكثيرة و التشابكات الكبيرة التي تتركها دائرة نفوذ مثل هذه الدول الكبرى على الدول الأخرى، ممّا من شأنه أن يحدّ من التدخّل الأمريكي بحيث يصعّب على الولايات المتّحدة التدخل في أي موضوع أو ملف لأي دولة تكون لهذه الدول الكبرى نفوذ فيها, إذ إنّ الأمر آنذاك سيتطلب من الولايات المتّحدة جهداً مضاعفاً و وقتاً مضاعفاً و تباحثاً مع جميع الأطراف، و ربما جوائز ترضية للدول الكبرى، و ربما قد تخفق في النهاية للوصول الى هدفها أو قد تصل اليه بصعوبة.

لكن عندما تكون دائرة نفوذ كل دولة محصور في إطارها الداخلي فقط فإنّ ذلك يفيد الولايات المتّحدة من عدّة جوانب:

أولاً: يسهّل ذلك على الولايات المتّحدة مهمّة التدخل بشؤون أي دولة دون تعقيدات تُذكر حيث تصبح العلاقة مباشرة و فردية بين الولايات المتّحدة و الدول الأخرى, و بطبيعة الحال فإنّ الدول الأخرى في غالبها دول صغيرة و ضعيفة، و لا حول و لاقوّة لها في وجه الإملاءات الأمريكية حتى لو أرادت فعلاً رفض ما يُملى عليها.

ثانيا :إنّ تحجيم النفوذ يؤمن الاستفراد بالدول الواحدة تلو الأخرى دون أن يكون لها أي حليف أو نصير، و بالتالي فإنّ الملف يصبح أسهل، و النتائج أضمن، و الإملاءات و الشروط أكبر، و التهديدات بالعقوبات و العمليات العسكرية في حال عدم التنفيذ أجدى.

و يمكن ملاحظة ذلك في ثلاث حالات واضحة و صريحة و منها:

ا - السودان حيث تمّ عزله عن محيطه العربي، و تُرك وحده في مواجهة أمريكا و القوى الدولية، و تمّ عزل مصر عن الملف الى أن وصلت الأوضاع الى ما وصلت اليه الآن و بعد فوات الأوان, و نرى التهديدات و العقوبات الأمريكية و الأممية واضحة لأي مراقب.

٢- العراق و قد تمّ أيضاً عزله و محاصرته و قصفه و تدميره و تحجيم نفوذه الى أن وصل الى ما هو عليه الآن من خراب و دمار و انهيار نتيجة عدم تنفيذ الإملاءات و الشروط الأمريكية.

٣- سوريا, و قد بدا الأسلوب الذي نتحدث عنه عن تحجيم النفوذ واضحاً في هذه الحالة، و لا يحتاج الى شرح ؛ إذ أصبحت قدرة الولايات المتّحدة على التدخل في الملف اللبناني أكبر بكثير، و تمّ تحجيم النفوذ السوري فيه, و بالطبع مسلسل التهديدات لم ينته بعدُ، و سلسلة المطالب من سوريا تجاه العراق و لبنان و فلسطين تكبر يوماً بعد يوم بانتظار التنفيذ الكامل و الاّ تبقى الإشارة الى إنّ نقطة الانطلاق في تنفيذ هذا المشروع و النقطة الفاصلة، وفقاً لما يذكره التقرير هي العراق, فإذا نجح المشروع الأمريكي في العراق، تمّ الانتقال الى دول أخرى، و إذا أخفق سقطت هذه الخرائط الأمر يكية برمّتها .

الحواشي المرجعية

(١) إسماعيل أحمد ياغي . ***الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث***. مصدر سابق . ص١٣٣ .

(٢) ياسين سويد . مصدر سابق . ص٢١ .

(٣) نفس المصدر . ص٢١ .

(٤) بروكلمان ، كارل . مصدر سابق . ص٧٦٢ .

(٥) إسماعيل أحمد ياغي . مصدر سابق . ص٢١٣ .

(٦) يانج جورج . مصدر سابق . ص٦١ .

(٧) نفس المصدر . ص٢٢٦ .

(٨) عادل ثابت . مصدر سابق . ص٢٤٥ .

(٩) إسماعيل أحمد ياغي . ***تاريخ العالم العربي المعاصر*** . مصدر سابق . ص٨٧ .

(١٠) نفس المصدر . ص٩٣ .

(١١) نفس المصدر . ص١٩٧ .

(١٢) نفس المصدر . ص١٠٣ .

(١٣) نفس المصدر . ص١٨٥ .

(١٤) نفس المصدر . ص٣١١ .

(١٥) نفس المصدر . ص٣٣٩ .

(١٦) نفس المصدر . ص٣٧٥ .

(١٧) نفس المصدر . ص٤١٥ .

(١٨) نفس المصدر . ص٤٤٩ .

(١٩) عمر هارون الخليفة . مصدر سابق . ص١٩٧ .

(٢٠) مسعود الخوند . مصدر سابق . جـ٧ ، ص٣٠٦ .

(٢١) الموقع الإلكتروني لإسلام أون لاين . ٢٩ يوليو ١٤٢٧هـ .

(٢٢) صلاح سالم . مصدر سابق . ص٧٧ .

الفصل السادس

العرب والفراغ الأيديولوجي

بدأنا حديثنا في صدر هذا الكتاب عن نظرية المؤامرة بين مؤيد ومعارض لها لنصل الى أن هناك من يقول بأن سبب تخلف العرب وفشلهم عائد الى المؤامرات التي تحاك ضدهم من الغرب وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، بينما تجد هناك في المقابل من يقول بأن العرب يعيشون وهم مؤامرات تحاك ضدهم ،وأن حكامهم عمدوا الى تغذية هذا الشعور للتخلص من فشلهم وللتستر على سياساتهم الخاطئة، وإن التركيز على المؤامرة الغربية يقصد منه صرف الأنظار عن مؤامرات تقوم بها جهات غير غربية لاتريد للعرب الا السوء و تروج لهذه الفكرة حتى تبعد الشبهة عن نفسها. ولابد لنا من ذكر بعض الملاحظات في هذا المجال مثل:

إن كتابات الطرفين المتناقضين تبدأ بالحديث عن نظرية المؤامرة ، ثم تراهما يحصران حديثهما فجأة عن العرب والمسلمين ، مع أن عوامل التاريخ والجغرافيا ي تؤكد أن المؤامرات ليست مقصورة على دولنا نحن العرب والمسلمون فقط كما أسلفنا ولا هي حكر على تاريخنا ، بل إن للمؤامرة بيئة تعيش فيها، وحينما تستوفي أركانها فإن تبعاتها تقع على ضحاياها في أية بقعة من بقاع العالم ، مهما كانت معتقداتهم وديانـاتهم التي يدينون بها لدرجة أن كلمة المؤامرة تكاد تكون موجودة في جميع لغات العالم المتحضر والمتخلف، القديم والحديث على حد سواء.

كما أننا نلاحظ فيما سبق من أطروحات مؤيدة أو معارضة لنظرية المؤامرة أنها لا تراعي مبدأ تحديد مفهوم المؤامرة ، إذ أنها تضع عنواناً كبيراً هو نظرية المؤامرة لتجعله أسير التعميم الشديد في وقت يحتاج فيه هذا المفهوم الى تمحيص وتدقيق . فالمغالون في تأييد نظرية المؤامرة يهملون جانباً مهماً هو أنهم يفتحون الباب واسعاً ليدخل منه كل طاغية أو نظام متسلط ليبرر شنائعه وممارساته القمعية متذرعا بأنها ضرورة ملحة لمواجهة مؤامرات غربية أو شرقية ، وما على إعلامه الا الترويج لذلك ، كما أن الشعب المغلوب على أمره لا يملك الا ترديدها طوعاً أو كرهاً .

أما المعارضون لنظرية المؤامرة بشكل مطلق فهم في دفاعهم عن أطروحاتهم يغلقون الباب تماماً أمام أي احتمال لتخطيط يستهدف التآمر على دولهم وشعوبهم ويحصرون تفسير الأمور في زاوية ضيقة هي النقص في استيعاب الواقع أو التهرب من الأخطاء التي يقع فيها الحكام العرب أو شعوبهم على حد سواء،وقد كان من الواجب على الفريقين المتناقضين أن يؤكدا على استخدام كلمة "بعض المؤامرات" وعدم استخدام "كل المؤامرات" حتى تكتسب أطروحاتهم مصداقية منطقية .وقد كان بإمكانهما أن يتفقا ، فيقول أحدهما بأن بعض مفاهيم نظرية المؤامرة تنطبق على العرب والمسلمين ، بينما يقول الآخر بأن بعض مفاهيم نظرية المؤامرة لا تنطبق على العرب والمسلمين ، ويكون الطرفان كلاهما في هذه الحالة على حق بعد أن انتفى التعميم الفج في القضية وتحولت أطروحة كل منهما بذلك من قضية كلية الى قضية جزئية تستوعب الرأيين.

ثم يأتي بعد ذلك [illegible] ليقولوا بأن مجرد نجاح المؤامرات المستمر ضدهم هو بحد ذاته دليل على قصور شديد لديهم وأنه يجب عليهم أن يعترفوا بفشلهم وبأنهم متخلفون لا يستطيعون هم أو حكامهم أن يسوسوا أمرهم كما هو الحال عند غيرهم من الشعوب والدول وأنه لا أحد يتآمر عليهم بل إنهم هم المتآمرون على أنفسهم .

ولنا أن نفترض حسن النية في المثقفين المدافعين عن نظرية المؤامرة الذين يستندون في أطروحاتهم الى بدايات التخطيط الاستعماري الدولي والصهيوني متمثلا في اتفاقية "سايكس بيكو" التي أعادت ترسيم الحدود العربية فجعلتها كاللغم الحدودي البريطاني – الفرنسي الذي ينفجر بين حين وآخر بين بعض الدول العربية وغيرها ليولد الخلافات والنزاعات الحدودية الدائمة ، ثم مجيء مؤامرة وعد بلفور الذي أهدى ومنح فلسطين لليهود ، وكذلك المؤامرات الصهيونية المستمرة ضدهم ، وربما يأتي حسن الظن في هؤلاء المؤيدون لنظرية المؤامرة من دوافعهم لاستنهاض همم العرب حتى يفيقوا من غفلتهم فيغيروا من واقعهم من الداخل .

وعلى الجانب الآخر يجب علينا كذلك افتراض حسن النية في المثقفين العرب الآخرين الذين يعارضون نظرية المؤامرة على اعتبار أن الفكر العربي لا يخطط ولا يرسم سياسات لدراسة المستقبل ، وعندما يفاجأ بهذه السياسة الدقيقة والحكيمة يستسهل

وصفها بالمؤامرة،على الرغم من الفارق الكبير بين التخطيط السليم ورسم السياسات والمؤامرات ، فهم يعارضون وجود مؤامرة حتى لايصاب العرب بالإتكالية فيركنون الى تقبل الواقع وتفسير الأمور تفسيراً يعوزه البحث العلمي الدقيق ، وبالتالي توجيه سهامهم الى الأهداف الخاطئة .

وإذ يقدر المرء لهذين الفريقين حسن نواياهم وغيرتهم لتغيير أوضاع أمتهم الى الأفضل فإن بعداً آخر للقضية يحتاج من الفريقين أو من غيرهم من الغيورين على هذه الأمة أن يتعمقوا فيه.

هذا البعد هو عن أي عرب ومسلمين نتكلم وعن أي حكام عرب نتحدث؟ وعن أي متآمر يتربص بنا الدوائر نركز. إن مشكلتنا الحقيقية هي أننا نتلقف ما ينشر وما يبث وما يذاع على أنها مسلمات دون أن نتعمق فيها أو أن نحللها ، والواجب علينا هو أنه إذا ما توصلنا الى مطابقة التحليل العلمي والمنطقي وواقع الحال على أي من الأطروحات التي يتبناها المدافعون عن نظرية المؤامرة أو القائلون بضدها أو غيرهم ، فيجب علينا أن نقبل ذلك كاستنتاج منطقي وعلمي صحيح بشكل مؤقت لأن أية نظرية أو نتيجة يجب أن تخضع للتقييم المستمر وعدم التسليم بديمومتها الأبدية ، ولا يجب أن نشعر بالخجل إذا ما تراجعنا عنها، بل يجب على المفكر المخلص أن يفخر بالتراجع عن نظرية كان ينادي بها لأنها كانت في يوم ما صحيحة ولكنها لم تعد الآن كذلك.

ومن المتفق عليه أن المسلمات الأكثر ثباتاً هي ثلاثة أنواع من النظريات أولها النظريات المنطقية كقولنا: إن الجزء أصغر من الكل، أو إنه لا يمكن للكل أن يكون كلاً وغير كلٍ في آن واحد. أما ثانيها فهي النظريات الرياضية كقولنا ١+١=٢ أو ٣×٣=٩، أو ٧÷٧=١ ، وآخر تلك النظريات هي النظريات العلمية كالتي تقول إن التفاحة تسقط من الشجرة على الأرض ولا تصعد الى الأعلى ، ومع ذلك فإذا ما أثبت أحد ما عكس ذلك فلا يجب أن نشعر بالحرج عند تراجعنا عما اعتقدناه صحيحاً ، فما بالنا نقدس جمود النظريات البشرية السياسية والفكرية وهي التي لم ينزل بها سلطان مبين من الله عز وجل .

وهناك بعد آخر مهم للموضوع ربما يغيب عن أذهان بعض من تطرقوا لهذا الموضوع ، وهو أن نظرية المؤامرة أمر يختلف عن مفهوم المؤامرة ،فلا أحد يستطيع إنكار وجود المؤامرة كظاهرة اجتماعية وسياسية واقتصادية وغير ذلك من أنواع المؤامرات التي أتينا على ذكر بعض منها،والا أوقع المعارض لهذا المفهوم نفسه في تناقضات ومواجهات لأدلة لاحصر لها على مر التاريخ ، ولكن ماهو موضع استنكار هو أن يتبنى الواحد منا نظرية المؤامرة كمنهج لتفسير المؤامرات التي تحيق بنا بشكل مستمر بمعنى تبرئة الذات من أية مسئولية ،وعدم تفسير الأمور والأحداث تفسيراً علمياً ومنطقيا، والإصرار على توجيه الإتهام بشكل تلقائي الى عدو تقليدي دون التيقن من أن أطرافاً أخرى هي السبب وراء ذلك .ومن سوء حظنا نحن العرب أن لدينا عدواً جاهزاً تنطبق عليه مختلف أنواع التهم سواءً كان ضالعاً فيها أم بريئاً منها،مما وفر ملاذاً آمناً لقوى متآمرة أخرى داخلية وخارجية لتحتمي به من توجيه أصابع الإتهام اليها التي يمكن أن توجه اليها.

والآن آن لنا أن نجيب على سؤال مهم قد يتبادر الى ذهن القارئ الكريم وهو: إذا ما اتفقنا على أن بعض المؤامرات تحاك ضد المسلمين وخاصة العرب على أساس إنهم محور التقاء العالم الإسلامي غير العربي والعالم العربي غير الإسلامي، فإن التهمة لا تزال لصيقة بالعرب لأنهم سمحوا حتى لبعض المؤامرات أن تحاك ضدهم . ولماذا لا يعملون علي إحباط المؤامرات التي يتم تنفيذها ضدهم أو تجنبها مثلما يفعل غيرهم من الدول التي تتعرض لمثل تلك المؤامرات؟

فيمكننا القول إن هذا الاستنتاج سليم في بعض جوانبه لأنه بالإمكان القول بأن القوة العددية للعرب تربو على ٣٠٠ مليون نسمة تقريبا ، وإن أراضيهم الشاسعة تمتد من الخليج العربي الى المحيط الأطلسي ، وإن الإمكانيات الاقتصادية والثروات الهائلة التي تحتويها رقعتهم من شأنها أن تجعلهم في صدارة العالم ، وإن المقدرة العلمية للمتعلمين والمثقفين العرب لاتقل عن قدرة أندادهم في الدول الأخرى ، وإن غيرهم من الدول كالدول الأوروبية رغم تعدد لغات سكانها ومذاهبهم الدينية والفكرية هم أكثر قدرة على مواجهة المؤامرات رغم ما يوحد العرب من لغة وثقافة ودين عظيم كالدين الإسلامي الي آخر تلك المفارقات التي تؤدي الى نتيجة واحدة وهي أن العرب هم

سبب بلائهم وأن المؤامرات أو بعضها تحقق نجاحاً عندما تحاك ضدهم في حين أنها لا تنجح في دول أخرى كالهند مثلا وهي لا تمتلك نفس مقوماتهم ؟

إن جواب هذا السؤال يحتاج الى تمحيص وتدقيق شديدين لأننا نتحدث عن أمة كبيرة عانت من محن وابتلاءات قل أن تنكب بها أمة على مر التاريخ ، فأصبحت ساحة مفتوحة للمؤامرات ، أما إذا أردنا تلخيص السبب الرئيس في كل ذلك فسنجده في غياب عنصر مهم من عناصر القوة ودرء المؤامرات ، الا وهو غياب الأيديولوجية الواحدة والصبر والمثابرة على تحقيقها،فعرب اليوم يفتقرون الى وجود أيديولوجية مشتركة تجمعهم وتعكس ماضيهم وحاضرهم وترسم مستقبلهم وتحتوي على القيم العالية من عدل ومساواة وانضباط الحاكم والمحكوم ، ولم يجتهد مفكروهم أو زعماء دولهم الاجتهاد الكافي لصياغة مثل هذه الأيديولوجية ، وحينما تكون لدينا أيديولوجية صادقة وقويمة وواضحة للشعب فإنه سينجذب اليها حتى وإن كانت صعبة التطبيق.فالأيديولوجية المعبرة عن آمال الشعوب أساس تحقيق الأمم لأهدافها، أما إذا كانت تلك الأيديولوجية منحرفة، فإن الشعوب المغلوبة على أمرها تساق الى تلك الأيديولوجية المنحرفة رغم أنوفها وهي تتطلع الى يوم الخلاص منها ومن منظريها ومنفذيها.

وبناء على ذلك فإن نجاح أية أيديولوجيا يعتمد على من يقفون وراءها ومدى قدرتهم على إقناع الناس بها أو حملهم عليها ،ومن هنا يأتي خطأ الدول والمجتمعات في عدم التصدي للمفاهيم السياسية وغير السياسية المعوجة بشكل مبكر وعدم تصحيحها بالحجج البراهين المنطقية وترك مروجيها يسرحون ويمرحون الى أن يستفحل أمرهم فيصعب علاجه ،فاعتناق الأفكار والأيديولوجيات لايأتي بالضرورة بسبب رقيها أو إنسانيتها أو تحقيقها للعدالة ، وإلا لكانت الأديان السماوية خير أيديولوجيات يهتدي بها الناس ، سيما وأنها جاءت مكملة لبعضها البعض لتختتم رسالتها في الإسلام الذي جاء جامعا لما قبله ومانعا لما بعده ،ولكن المتتبع لمسار الأيديولوجيات يلحظ أن الأيديولوجيات السامية قد تتعثر مسيرتها في الوقت الذي قد ينجح فيه ذوو الأيديولوجيات المنحرفة لإشباع عقدهم السلطوية أو النفسية أو لتحقيق أهدافهم الدنيوية والعنصرية والشعوبية والسياسية وغيرها ، وإذا ما بحثت عن السبب في هذا

النجاح وغيره فستجده كامنا في أن أفراداً أو جماعات تتبنى فكرا منحرفا ، ثم تبدأ مؤامراتها وعملها الدءوب لتحقيقه على أرض الوقع ، مستخدمة ما أمكنها من وسائل وأساليب لتصل الى غايتها المنشودة فترسم الخطة بعد الخطة بصبر وأناة في انتظار ساعة تحقيق حلمها المنشود مستفيدة من تقاعس المخلصين عن التصدي لهم ومن كل الظروف المحيطة لتتسلل بالوسائل الإدارية والمالية والسياسية والاجتماعية والإرهابية وغيرها لتحقق غايتها.

ولكي نستطيع تبسيط الموضوع وتسهيله سنضرب مثالاً لأيديولوجية جائرة استطاعت أن تحقق نجاحا رغم تعسفها وتعاليها على بني البشر، هي الأيديولوجية النازية ، ومثالاً آخر لأيديولوجية شبيهة بها استطاعت الصمود أمام التحديات بسبب صبرها ومثابرتها على تحقيق أهدافها الباطلة وهي الأيديولوجية الصهيونية، لنستنتج من ذلك أهمية الأيديولوجية والصبر والمثابرة على تحقيق الأهداف في تاريخ الأمم، وهما عنصران افتقدناهما فأصابنا ماأصابنا من بلاء.

الأيديولوجية النازية:

كلمة "**نازي**" مأخوذة بالاختصار والتصرف من العبارة الالمانية "ناشيونال سوشياليستيش دويتش أربايترباتري Nationalsozialististische Deutsche Abeiterpartei **(NSDAP)**، أي "الحركة الاشتراكية الديمقراطية القومية"، وهي: حركة عرقية داروينية شمولية، قادها هتلر وهيمنت على مقاليد الحكم في المانيا، وعلى المجتمع الالماني بأسره، وهي حركة سياسية وفكرية ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى ، ضمن حركات سياسية فكرية أخرى تحمل نفس السمات، داخل التشكيل الحضاري الغربي

وظهرت النازية في آخر الأمر على مسرح السياسة القومية والدولية منتصرة كتعبير قوي متكامل عن الخصائص الرئيسية لفلسفة الجرمان السياسية، وظهرت لتكافح وتنتزع للالمان مغانم جديدة وتعوضهم عن الخسائر القديمة، وهي كقوة محاربة تركت في تاريخ العالم المعاصر طابعاً لن تستطيع الأيام محوه من ناحية صراعها الأيديولوجي والسياسي والعسكري.

وفي الواقع أن النازية وإن كانت قد نمت في العهد الذي أعقب الحرب العالمية الأولى وتسببت في المآسي التي حدثت للالمان وللعالم بأجمعه، الا أنها قامت كحركة احتجاج على آثار تلك الحرب المتمثلة في معاهدة فرساي، وكتعبير عن السخط المتعدد الجوانب الذي ساد البلاد، وكأمل في الوحدة والاستقلال والرفاهية والغزو وغيرها من الأهداف التي استقرت منذ أكثر من قرن من الزمان في أفئدة الالمان وعجزت جمهورية فيمار عن أن تحققها بنظامها الاشتراكي الديمقراطي، ولم تتردد النازية في الإعلان عن أن العنف هو وسيلتها لبلوغ مآربها في الداخل والخارج، وتنظيم العالم تنظيماً يكفل لها السيادة لالف عام.

ولقد كانت الأيديولوجية النازية مصرةً على الصراع الذي لا يعرف هوادة أورحمة ولا يقف عند حدود جغرافية أو حدود وطنية مما تعارفت عليه الدول القومية الحديثة ولا يعترف الا بالعنصرية كأساس للتنظيم المحلي والعالمي مما دفع الباحثين الى النظر اليها على أنها ليست فلسفة عالمية قابلة للتصدير أو التقليد ، وإنما هي فلسفة جرمانية خلقت لتبرر مطامع المانيا التاريخية ورغبتها في التوسع والاستعمار، وقد أعطى النازيون للغير كل تبرير لذلك الفهم، فهم أكدوا أن الشعب هو العنصر، وأن العنصر أو العرق هو وحدة القوة الخلاقة للثقافة والحضارة الحقيقية، وأنه ينبغي أن ترتب الدول والأمم على هذا الأساس ، ومن ثم فالأرض للصفوة المختارة من الشعوب، وخيراتها للصفوة المختارة من أفرادها، وأن مثل هذا المبدأ لا يقوم الا للدعوة الى السيادة والحكم والأرستقراطية والتسلط، لا الى الدعوى الى المساواة والسلام بين شعوب الأرض، فهو مبدأ محلي لمخاطبة أبناء الرايخ ولتسيدهم في مجال السياسة والحرب، وقد دعا هذا الاتجاه في الفلسفة النازية مفكراً مثل *هارولد لاسكى* لأن ينكر عليها مجرد السمو الى المرتبة التي يجوز إطلاق اسم الفلسفة عليها، ويعدها أداة من أدوات تبرير السلوك عند العصابات وقطاع الطرق من الفاشلين الذين لا يستطيعون بلوغ غاياتهم الا بأتباع هذا المنهج. ولكن مهما قيل في وصف النازية بسبب ما أقدمت عليه من انتهاج للعنف ، فإنها كانت دعوة جذابة لملايين الالمان، إذ بدت كأنها المجال الوحيد الذي يلتقي في رحابه ذلك الشعب الممزق آنذاك من الناحية ا لسياسية والقومية والاجتماعية ، فلقد قدمت مبدأ الدم كأساس يلتقي عنده الالماني بالالماني

ويحس معه فيه بالتماسك والعصبية والوحدة، واتفقت في هذا مع التراث الالماني الذي يمجد الدم ، ومع التراث الفكري والثقافي الذي يذهب الى سمو العنصر الجرماني وتفرده بين العناصر البشرية بالقدرة على خلق الثقافة وحملها على مر الزمن، وكانت ملهمة حقاً لليائسين من الالمان في حل مشاكل بلادهم الداخلية والدولية في ظل جمهورية فيمار التي وزعت السلطة بين الحكومة الفيدرالية والحكومات المحلية وفي الولايات. فقد أثارت فكرة تركيز السلطة في قيادة موحدة وحزب منظم الحماس لها بين الجماهير وضمنت للنظام النازي تفاني نخبة من أبناء الشعب في خدمته.

وقد وجدت الحركة في رجال مثل روزنبرج وجوبيلز وجورنج ورينتروب وغيرهم من الشخصيات المتحمسة أعمدةً لتقيم على مجهوداتهم المتصلة بنيانها، فكان شرح روزنبرج للحركة النازية أوضح بكثيرً وأقرب الى فهم الجماهير من كتابات الفوهرر نفسه ،ويظهر ذلك من طريقة عرضه للنظرية العنصرية، فهو مثلاً يقول ببساطة في كتابه "أسطورة القرن العشرين"، "إن التاريخ والعمل لم يعودا يقومان على الصراع بين طبقة وطبقة، ومعتقد كنيسة ضد معتقد كنيسة، وإنما على الصراع بين دم ودم وشعب وشعب... وإن كل عنصر له روحه، وكل روح لها عنصرها، ومعمارها الخاص الداخلي والخارجي ... " ، ويقول كذلك في تفوق العنصر الآري "لقد نشأ اليوم معتقد جديد هو أسطورة الدم ، وفي الدفاع عن فكرة الدم ندافع عن الطبيعة المقدسة للإنسان ، فالاعتقاد بأن الدم "النوردي" هو ذلك السر الذي حل محل الأسرار المقدسة القديمة وغلبها على أمرها ويمكن ذكر بعض النقاط التي توضح أيديولوجية النازيين كما يلي:-

١- تتضح مادية النازيين الصارمة في إنكارهم للطبيعة البشرية وثباتها فكل شيء من منظورهم خاضع للتغير، ويمكن القول بأن ثمة نزعة مادية قوية هي التي تعطي النازية تفردها واختلافها عن الأيديولوجيات العلمانية الأخرى، فالنازية دفعت بكثير من المقولات الكامنة في الرؤية العلمانية الشاملة الى نتيجتها المنطقية، ولم تعد تقتنع بتغيير العالم وإنما كانت تطمح الى تغيير النفس البشرية ذاتها ومن هنا جاء اهتمام النازيين بعلم تحسين النسل، وإعادة تنظيم العالم من خلال سياسات بيولوجية وضعية، ومن هنا جاءت حربهم الشديدة على الأمراض النفسية والجسمانية وعلى كل انحراف

عن المعايير العلمية الصارمة فنسب الى بعضهم المناداة بإبادة الأقزام، وغرور الجنس أو العنصر لم يكن موجودا عند النازيين وحدهم ، بل كان حاضرا في النظريات التكنولوجية التي تعود الى بداية عصر النهضة في الغرب ، و لايزال كامنا حتى عند غيرهم من شعوب الشرق والغرب المتخلفة والمتعالية على غيرها،وإن حاولت تغليفه بمسميات مضللة حتى تبعد عن نفسها تهمة العنصرية.

٢- آمن النازيون بفكرة الدولة باعتبارها مطلقاً علمانياً متجاوزاً للخير والشر وحدد هتلر المطلق الأول والأوحد (الدولة) بدقة غير عادية حين قال إنه لابد من تحقيق العدالة وتوظيفها في خدمة الدولة، أي أنه لا يوجد مفهوم مطلق للعدالة ، وإنما تتحدد العدالة بمقدار تحقيق النفع للدولة, والدولة كأمر مطلق هي الإطار الذي يعبر الشعب العضوي (فولك) الالماني من خلاله عن إرادته.

٣- تبنت النازية النظرية العرقية الداروينية الغربية، وأكدت التفوق العرقي للشعب الالماني على كل شعوب أوروبا، والتفوق العرقي لشعوب أوروبا على كل شعوب العالم، ورفض هتلر فكرة المساواة بين بني البشر باعتبارها فكرة دينية (حيلة يهودية مسيحية)، نوع من التنويم المغناطيسي تمارسه اليهودية النازية على العالم بمساعدة الكنائس المسيحية.

٤- من الأفكار الأساسية في الفكر النازي فكرة الشعب العضوي (فولك) الذي توجد وحدة عضوية بين أعضائه من جهة، وبين حضارتهم والأرض التي يعيشون عليها من جهة أخرى، وهي وحدة لا تنفصم عراها، ولا يمكن لهذا الشعب أن يحقق كل إمكانياته الا بعد أن يضم اليه مجاله الحيوي،أي ضم الأراضي التي ينتمي اليها الجنس الالماني حتى تكتمل الدائرة العضوية، أما العناصر الغريبة الأجنبية (أي غير المنحدرين من الجنس الالماني) فهي تؤدي الى إعاقة هذا التكامل العضوي الصارم ، وبالتالي فهي عناصر ضارة لابد من استبعادها.

٥- من العبارات المتواترة في الخطاب العضوي النازي عبارة "الدم والتربة"، وهي ترجمة للعبارة الالمانية "بلوت أوندبودين ***Blut und Boden***" وهي من الشعارات الأساسية للنازية والمرتبطة بفكرة الشعب العضوي، وهذه العبارة النيتشوية تمجد آداب الفلاحين وعواطفهم باعتبارها تجسيداً للصفتين الأساسيتين اللتين يستند اليهما رقي الجنس الالماني، الدم الالماني والتربة الالمانية، وهي تحول الدم والتربة الى المرجعية أو الركيزة النهائية التي تستند اليها المعارف والأخلاق، وشعار "الدم والتربة" هو مثل جيد على أننا لا نحتاج الى شيء لانراه لنرجع اليه مادام المطلق بين ظهرانينا فبالتربة والدم يصبح المطلق كامناً في المادة لا متجاوزاً لها، وبذلك يقوم شعب من الشعوب بتنصيب نفسه الهاً على بقية الشعوب ، فدمه وتربته يحويان كل القداسة ويعطيانه حقوقاً مطلقة لا يمكن النقاش بشأنها، ولكن هذه الحلولية هي حلولية بدون اله ، فثالوث القومية العضوية: الدم ، التربة ، الشعب، ليس الا صدى للثالوث الحلولي الوثني: الاله ، الطبيعة ، الإنسان، ويبدو أن الدم، باعتباره حامل القداسة وباعتباره الصلة التي تربط الإنسان والأرض، يحل محل الاله ، (وقد وجدت هذه العبارة طريقها الى الفكر والخطاب الصهيوني).

٦- وقد ترجم كل هذا نفسه الى مفهوم العرق السيد، وهو العرق الآري الالماني الذي سيحتفظ بنقائه العرقي ويؤسس أمة تتالف من الحكام المحاربين والمفكرين، قدرها المحتوم هوأن تحكم الأعراق الدنيا وتعيش على عملها وتحقق السيادة على العالم، وهذه الأمة ستنظم نفسها على شكل هرمي تقف على قمته نخبة تتسم بالصفات العرقية الأكثر تفوقاً، وعلى قمة الهرم يقف الفوهرر: التجسد المادي

٧- ويلاحظ تراجعاً في الفكر النازي عن الجوانب الاشتراكية الإنسانية الذي كان يحوي بعض المطلقات الإنسانية (مثل فكرة العدل وضرورة التكافل) ، وقد ظهرت رؤية مادية واحديه صارمة في ماديتها وواحديتها تنفي المطلقات والثوابت والماهيات كافة ، رؤية علمانية شاملة تنزع القداسة عن كل شيء

بحدة وشراسة وتسقط تماماً فكرة الحرمات ، وهذا التحول عن الإنسانية (الهيومانيد) والسقوط التدريجي والمطرد في الواحدية المادية هو نمط التطور الأساسي في الحضارة الغربية الحديثة، حيث تطورت من رؤية إنسانية (علمانية جزئية) تحوي مطلقات الى رؤية علمانية إمبريالية شاملة تنفى المطلقات والثوابت والكليات كافة.

٨- وتصورالنازيون أن العلم الطبيعي قادر على مساعدة الإنسان على التوصل الى حلول لجميع المشاكل، بما في ذلك المشاكل الإنسانية والأخلاقية والروحية، ومن ثم فالعلم هو وحده القادر على تحديد الصالح والطالح والخير والشر وهو وحدة المرجعية النهائية، ولذا طالب النازيون بضرورة تطبيق قيم العلم و المنفعة المادية على الإنسان والمجتمع، وآمن النازيون بالمنفعة المادية كمعيار أخلاقي للحكم على الواقع، وبالفعل اتسم النازيون بالحياد العلمي الشديد في تعاملهم مع الواقع ومع البشر، واستخدموا مقاييس علمية صارمة لا تشوبها أية قيم أخلاقية أو عاطفية أو غائية، وتحول كل البشر، بما في ذلك الالمان أنفسهم الى مادة بشرية، ومن ثم قسموا العالم كله الى نافعين وغير نافعين (وهو تقسيم يعود الى القرن الثامن عشر، عصر العقل المادي والعقلانية المادية) وتقرر أنه لا يستحق الحياة الا من ينتج ويستهلك، أما من لا ينتج ويستهلك (بالإنجليزية: Useless Eaters حرفياً من يأكلون ولا نفع لهم)، فمصيره أمر مفروغ منه، فقد صنف على أن حياته لا قيمة لها (بالالمانية: بالاست إكستينزن ***Ballastexistenzen***)، بل وتشكل عبئاً على الاقتصاد الوطني بطبيعة الحال.

٩- ولكن كما هو الحال دائماً ، فإن مايبدوا ظاهريا رؤية علمية نفعية محايدة من الناحية الأخلاقيةً يخفي في باطنه رؤية داروينية نيتشوية (نسبة الى العالم الطبيعي داروين والفيلسوف الالماني نيتشه) ، بتأكيدها على فكرة البقاء باعتباره القيمة المطلقة والصراع باعتباره الالية الوحيد للبقاء، وهي عملية مادية محضة، فالبقاء هو البقاء المادي، والصراع صراع مادي، والبقاء في هذه الغابة الداروينية الواحدية المادية التي لا تعرف الرحمة أو

العدل ليس من نصيب الأرق قلباً أو الأرفع خلقاً أو الأكثر رحمةً وإنما هو من نصيب الأصلح والأقوى مادياً (فالقوة هي المطلق النهائي) والأقوى هو الذي لا تعرف الرحمة طريقاً الى قلبه والذي يتحلى بأخلاق ا لأقوياء ويضرب بيد من حديد على الضعفاء بدلاً من أن يأخذ بأيديهم.

بعد تقبل النازيين النفع المادي والقوة، باعتبارهما المعيار الأخلاقي الأوحد في منظومة معرفية علمانية مادية شاملة لا تعرف المطلقات الإنسانية أو الأخلاقية أو الدينية، قام المفكرون والعلماء النازيون بتقييم الواقع المحيط بهم من خلال هذه المنظومة الفكرية المادية وصنفوا كثيراً من العناصر باعتبارها غير نافعة : (السلاف – الغجر – اليهود – المعوقين – الخ....)

ومن وجهة النظر النازية فإنه لا يمكن الدفاع عن كل هذه العناصر من منظور أخلاقي مطلق، فهذا أمر مرفوض من منظورهم العلماني الشامل النفعي النسبي ، وهم يصفون رأيهم هذا بالمستنير الرشيد الذي ينطلق من حساب دقيق للمدخلات والمخرجات ، فمن يريد الدفاع عن نفسه عليه أن يفعل ذلك من داخل المنظور العلمي النفعي المستنير لا من خارجه.

وقد أعدوا منهجا ماديا نفعيا تم بموجبه تحويل العالم بأسره الى مادة خام جاهزة للاستعمال ، وتم بموجب أيضا تدجين الشعب الالماني وتوجيهه وتحييد حسه الخلقي تماماً وإسكات عواطفه، ليكون في انتظار التعليمات والحلول الواقعية العلمية العملية (المادية) النهائية لمشاكله، وهي حلول ستفرض عليه من مجموعة من رجال الحزب والعلماء وأهل التخصص.

وحينما بدأت آلة الإبادة النفعية الموضوعية الجهنمية في الدوران ، فإنها إبتدأت أول ما ابتدأت بالالمان أنفسهم فصهرت وجدانهم ومعارفهم في بوتقة واحدة لا يرون العالم إلا من خلالها و كما يمليه عليهم النموذج المادي الذي أعد لهم من قبل ، ثم انتقلت لتمارس عملهاً الفعلي على الآخرين من خلال معسكرات الاعتقال والسخرة والإبادة .

وقد حظيت الحركة النازية في البداية بتأييد رأسمالي غربي لأنها كانت تنظر الى الاتحاد السوفيتي باعتباره العدو الأكبر (السلافي) للحضارة الآرية، ومن ثم كان

الرايخ الثالث من هذا المنظور يشكل قلعة ضد الزحف السلافي الشيوعي، ولكن ستالين كان أكثر دهاء ً، حيث عقد حلفاً مع هتلر اقتسما بمقتضاه بولندا والمجال الحيوي المحيط بها، ثم تحالف الغرب الرأسمالي مع الشرق الاشتراكي ضد هتلر، لا دفاعاً عن المبادئ ولكن لأنه بدأ يهدد مصالحهما معاً.

هتلر والنازية :

لقد تجسدت الاتجاهات السياسية والفكرية عن الالمان فيما انتهجه هتلر من سياسة وما وضعه من فكر ونظريات سياسية.

ويرسم هتلر في كتابه "كفاحي" التجربة الشخصية والقومية والعالمية التي تمخضت عن أسلوبه في الفكر والحياة، فهو وإن كان نمساوي المولد والجنسية الاّ أنه الماني العنصر، بل إن تمسكه بالمانيته جعلت منه المانياً أكثر من الالمان أنفسهم شأنه في ذلك شأن المواطنين الذين يعيشون في أوطان نائية ويربطهم الحنين والتعصب بالوطن الأم في صورة متشددة أكثر مما يعيشون فيه ويستظلون بظله وهتلر مثله مثل *منزيس* وغيره من أحفاده الإنجليز في أيرلندا وكندا وأستراليا وجنوب إفريقيا ونيوزيلنده ، وهكذا دعا هتلر الى الإمبراطورية الالمانية كما دعواهم الى الإمبراطورية البريطانية ، وعلى هذا النحو وجدت أفكار العنصرية التي نشرها جوبينو في فرنسا وهوستون تشامبرلين في المانيا دعاة بلغاء يمسون قلوب الجماهير الالمانية مثل هتلر ، وروزنبرج، ويتخذون منها برنامجاً للاعتقاد و العمل في الحياة الخاصة والعامة ، ولقد حاول هتلر أن يتتبع نشوء فكرة العنصرية الالمانية في طفولته وحداثته وأن يميز بين أصولها النامية في البيت والمدرسة والقرية والمدنية ، ولقد صقل هتلر هذه الخواطر والتأملات في المدرسة الفنية التي التحق بها حيث تأثرً سياسياً وتعلم كيف يفهم التاريخ ويدرك مغزاه، وقوى عنده الإحساس بانتسابه الى العنصر الالماني ، وحساسيته الشديدة هو وزملائه من النمساويين الالمان نحو كل ما هو ليس بالماني، ويلاحظ أن ثورة هتلر القومية التي تقوم على إيمانه بالوحدة الالمانية ووجوب عودة الالمان في النمسا الى الوطن الكبير على هذه الفترة من حياته وتكوينه.

وقد بدأت قصة ارتباط هتلر بالنشاط السياسي النازي مع ظهور النواة الأساسية للحركة النازية المتمثلة في حزب صغير يُسمى "حزب العمال الالمان" والذي أسس في جو البطالة والثورة الاجتماعية عام ١٩١٨ بعد هزيمة المانيا في الحرب العالمية الأولى وإذلالها على يد الدولة الغربية المنتصرة، وكان المنظر الأساسي للحزب هو "جوتفريد فيدر" الذي نادى بعقيدة لها صبغة قومية قوية وطابع اشتراكي، تدعو الى ملكية الدولة للأرض وتأميم البنوك ، وكان من أوائل من انضم لعضوية هذا الحزب محاربون قدامى مثل "رودولف هس" و"هرمان جورنج"، ومثقفون محبطون مثل "الفريد روزنبرج" وهتلر نفسه، وقد ازدادت عضوية الحزب لأنه ركزعلى المخاوف الكامنة لدى قطاعات كبيرة من الالمان من الشيوعيين والبلاشفة، وعلى حنقها على معاهدة فرساي التي أذلت المانيا وحولتها الى ما يشبه المستعمرة، كما ركز على إحساس الجماهير بالضياع في المجتمع الحديث وإحساسهم بالقلق وعدم الطمأنينة نتيجة تآكل المجتمع التقليدي، ورغم أن الحزب كان يُسمى "حزب العمال"، فإنه لم يضم كثيراً من العمال بين أعضائه، ولم ينضم له من العمال سوى العاطلين عن العمل، وأعيد تنظيم الحزب عام ١٩٢٠ وسُمي "حزب العمال الالماني الاشتراكي القومي" وترأسه هتلر الذي حصل على تأييد لودندورف (بطل الحرب العالمية الأولى) وعديد من رجال الصناعة الذين رأوا أن بإمكان هتلر تقويض دعائم النظام السياسي القائم، الذي لم يكن يسمح لهم بإتباع سياسة رأسمالية حرة مطلقةً ، وسار الحزب النازي بخطى واسعة في الفترة من ١٩٣٠ حتى ١٩٣٢، ووصلت عضويته الى مليونين بحيث أصبح الحزب الثاني في المانيا أثناء فترة الكساد الكبير الذي بدا عام ١٩٢٩، وهي فترة شهدت تآكل مدخرات الطبقة الوسطى الالمانية وانتشار الحركات الإباحية والبغاء والفوضوية وتعاظم نفوذ الشيوعيين، ورغم أن هتلر خسر انتخابات الرئاسة عام ١٩٣٢ أمام هندنبرج ، الا أن حزبه النازي أصبح أكبر حزب الماني على الإطلاق ، وقد فشل المستشار فون بابن في الاحتفاظ بأغلبية تمكنه من الحكم في البرلمان، فأجريت انتخابات أخرى، وكان هتلر قد حصل إبان ذلك على الدعم المالي من رجال المال والصناعة في وادي الراين الذين كانوا يهدفون الى احتوائه واستخدامه كأداة .

وكان هتلر يستخدم خطابين مختلفين : أحدهما للجماهير، والآخر لرجال المال ، وقد احتجت بعض العناصر الاشتراكية في الحزب على الاتجاه المتزايد نحو اليمين، ولكن هتلر نجح في القضاء على هذه العناصر، وفي عام ١٩٣٣، قام الرئيس هندنبرج بتعيين هتلر مستشاراً، وحينما اندلع حريق في مبنى البرلمان، قام هتلر بطرد النواب الشيوعيين بعد أن القى التبعة عليهم ، ثم اقترع البرلمان على منح هتلر سلطات شاملة ، ومن ثم أنجز هتلر ثورته القانونية، وفي عام ١٩٣٤ نجح استصدار قرار عام بتأسيس الرايخ الثالث الذي قدر له أن يدوم الف عام (الرايخ هو المانيا أو الإمبراطورية الالمانية المقدسة حيث يمتد الرايخ الأول من تاريخ تأسيس الإمبراطورية الرومانية المقدسة عام ٩٦٢ م حتى انحلالها عام ١٨٠٦ م ، رايخ الثاني هو الإمبراطورية ا لالمانية منذ ١٨٧١ وحتى ١٩١٨، أما الرايخ الثالث فهو الدولة النازية من ١٩٣٣م) وأصبح هو حاكم (فوهرر) المانيا بلا منازع ، وفي عام ١٩٣٦م، بدأت خطة السنوات الأربع لإعادة تسليح المانيا، وإعادة تنظيم الاقتصاد انطلاقاً من الاعتماد على الذات، وقد حقق النازيون نجاحاً اقتصادياً باهرا ً، الأمر الذي زاد من التفاف الجماهير حولهم ، حيث تم القضاء على البطالة وبنيت منشآت عامة عديدة، ثم سيطر هتلر على حزبه سيطرة كاملة، أصبح هتلر رئيساً للدولة لا يقاسمه السلطة أحد .

وما كان يمكن لمثل الدعوى النازية أن تعيش على وفاق مع العالم الخارجي، فلقد سخرت من كل تراث تحرري في الفكر والسياسة الالمانية، ومجدت كل ما يوقد نار الحرب والغزو، ومن ثم القت جانباً دعوة كانت الى السلام وتنظيم أداة دولية لرعايته، كما كالت اللوم والهجوم على دبلوماسية جمهورية فيمار السلمية.

وما أن تولى هتلر الحكم في سنة ١٩٣٣ م حتى أخذ يسند كل مطلب من مطالبه بالسلاح في وقت حاولت فيه الولايات المتحدة أن تتحاشى التدخل في المشاكل الأوروبية ، وركنت فيه بريطانيا الى عدم التسلح مما جعل تشامبرلين يطلب ا لسلم مع هتلر في سنة ١٩٣٨ م بأي ثمن يجنب بلاده الحرب، واهتزت فيه دعائم الحياة في فرنسا، وتسلح هتلر في هذا الصراع بسلاح الأيديولوجية النازية والعسكرية الجرمانية.

وقد أعطت الأيديولوجية العنصرية تبريراً للدبلوماسية الالمانية القائمة على العنف في ضم النمسا الى المانيا، وفصل الالمان في إقليم السوديت عن

تشيكوسلوفاكيا وضمهم الى الوطن الأم في سنة ١٩٣٨م ، ولو أن هتلر وقف عند هذا الحد ولم يضف من أقاليم تشيكوسلوفاكيا بعد ذلك الى المانيا ما ليس بالماني، لاكتسبت دعوته العنصرية مظهراً منطقياً، ولكن موقفه من تشيكوسلوفاكيا في مارس سنة ١٩٣٩م أثبت الجانب الآخر من فلسفته السياسية الذي يذهب على وجوب سيادة العنصر الآري واستغلاله للشعوب المتخلفة في أوروبا وخارج أوروبا، ومن هنا كان عدم الثقة المتبادل بين الروس والالمان حتى بعد عقب ميثاق رينروب مولوتوف في أغسطس ١٩٣٩م، فكتاب هتلر "كفاحي" ملئ بالعزم على مواصلة الالمان حلمهم الكبير في التقدم نحو الشرق واحتلال أقاليم روسية لتأييد تفوقهم التكنولوجي والصناعي وعلى أية حال فالنازية الى جانب عدائها من ناحية السياسة ا لعملية التطبيقية للدول الغربية التي فرضت على المانيا معاهدة فرساي وعدائها لروسيا التي تبنت فلسفة "كارل ماركس وأنجلز" واتخذت منها انجيلا لنظامها الداخلي وعلاقاتها الدولية فهي كمذهب تناقض في نقط جوهرية المذهبين السائدين في الشرق والغرب، ولابد لها من الصراع معهما خاصة وأنها ضمنت دستورها مبدأ الحرب، ونصت على أهداف لا يمكن تحقيقها الا عن طريق الحرب، والنازية مثل الشيوعية من ناحية أن كليهما لا يقف عند حدود الدولة القومية التقليدية، ومن ثم لابد من تصارعهما طالما لا يكتفيان بالتزام المحافظة على أساليب الدبلوماسية العادية ، فالنازية رادفت بين الشعب والعنصر، على حين أن الشيوعية رادفت بين الشعب و الطبقة، ولو أنه يبدو أن توسع العنصرية رأسي وتوسع الطبقية أفقي ، الا أن كلاً منهما يطالب التابعين لمذهبه بتفضيل الولاء له وللدولة الأم على الولاء للدولة التي اختاروا العيش فيها، فالتماسك الحقيقي عند النازية يقوم على الاشتراك في الدم مهما تعددت الدول التي تتقاسم أصحاب الدم الواحد، بينما يقوم التماسك الحقيقي عند الشيوعية على الانتساب الى طبقة البروليتاريا من عمال الصناعة والمدن في سائر الأمم ، وقد وسعت تجربة الشيوعية في روسيا مفهوم البروليتاريا إذ لم تقصره على عمال الصناعة فحسب، وإنما مدته حتى شمل العمال في كل مجال من مجالات النشاط العام ، ولهذا بدا للنازية في المانيا أن الشيوعية خطرة على الوحدة القومية الالمانية ، خاصة عندما ظهر أثرها في ثورات سنة ١٩١٨ م وما تلاها وفي ما ناله الحزب الشيوعي من أصوات في

الانتخابات العامة ومقاعد متكاثرة في الريخستاج في ظل دستور جمهورية فيمار الديموقراطية، فلقد التحمت منذ البداية في معركة فكرية مع الديمقراطية والشيوعية وهادنت في الوقت نفسه الفاشية وزعميها موسوليني حتى ارتبطتا بالتحالف المعروف بالمحور، وبالرغم من تغييرها لأسلوب تلك المعركة مع الديمقراطية والشيوعية من الناحية الدبلوماسية مما استدعى أحياناً التحالف المؤقت مع أحداهما على حساب الآخر كما حدث مثلاً في اتفاق ميونخ في سبتمبر سنة ١٩٣٨م، أوفي الميثاق الروسي الالماني في أغسطس ١٩٣٩م، الا أن الفوهرر لقي الموت منتحراً في مايو سنة ١٩٤٥م وهو يحارب قوى الديمقراطية والشيوعية معاً في جبهة واحدة، فالنازية تقف في تفسيرها للتاريخ وتصورها للنظام القومي والدولي موقفاً معارضاً لتفسير الشيوعية للتاريخ وتصورها لمفهوم الدولة والمجتمع في علاقاته الداخلية والخارجية، وأن مسلكهما في أعقاب الحرب العالمية الأولى إزاء بعضها البعض من الناحية النظرية والعملية كان إنذاراً واضحاً بالاشتباك في حرب، وهذا ما سارع اليه هتلر بحله الأحزاب الالمانية وعلى رأسها الحزب الشيوعي عند توليه الحكم، وبدخوله الحرب مع الاتحاد السوفييتي في سنة ١٩٤١م دون إعلان لها، بما في ذلك من نقض لميثاق سنة ١٩٣٩م بين روسيا والمانيا.

وكما رأت النازية في الشيوعية مبدأ يهدد البناء الأرستقراطي الذي تستهدف بناءه في المانيا، رأت في الديمقراطية نظاماً دالاً على الانهيار والانحطاط مما يذكر بما ضمنه "شبنجلر"؟؟؟ من تنبؤات في كتابه "انهيار الغرب"، وما وجهه من قبله نيتشه من هجوم على الحركة الديمقراطية في السياسة والاجتماع والأخلاق، ولم تكن الحركة النازية لتذهب بعيداً خارج الحدود لتكتشف عدوها في الديمقراطية، إذ قابلتها وجهاً لوجه في الحركة الاشتراكية الديمقراطية الالمانية، وحاولت أن تقوض دعائمها وتقيم بدلاً منها اشتراكية المانية خاصة بها تكتسب صفة الاشتراكية من أنها المانية لا العكس ، وقد حاولت النازية ذلك الا أنها فشلت في تلك المحاولة سنة ١٩٢٣م، وتم لها ما أرادت حين عجز الشيوعيون والاشتراكيون الديمقراطيون أن يتحالفوا ويقفوا في وجه تهديد النازية في سنة ١٩٣٢م، وقضوا بذلك على الجمهورية إذ عين الرئيس فون هندنبرج في ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ م هتلر رئيساً للحكومة الالمانية ، وفي يونيه

١٩٤٣م، أصبح الحزب النازي هو الحزب الأوحد ، وقام هتلر بتصفية البقية الباقية من العناصر العسكرية في حزبه بطريقة دموية، وكان من بينهم إرنست روم رئيس قوات العاصفة، كما قام هتلر بضرب اليمين ، فأثبت بذلك أنه لم يكن مجرد أداة في يد الممولين أو بقايا النظام الملكي فأمم المصارف وبعض الصناعات، ومع هذا، استفادت العناصر الرأسمالية من خلال سيطرة الدولة على كثير من القطاعات الاقتصادية، والغيت اتحادات العمال ، وفقد العمال حقوقهم، وتم استيعابهم في مؤسسات الحزب وتم التنسيق بين جميع مؤسسات الدولة والحزب، كما أصبحت الخدمة العامة إجبارية، ثم فرض التجنيد الإجباري وأخضعت المانيا كلها لنظام مركزي قوي، والغي استقلال الولايات، وأخضعت لهيمنة الفوهرر وأجهزته مباشرة، بل أسس الحزب كنيسة المانية بهدف السيطرة على الكنائس البروتستانتية .

استعار هتلرمن التنظيمات الشيوعية فكرة الخلية والتنظيم الهرمي للحزب والانضباط الداخلي، واستعار من الفاشية الإيطالية فكرة ميليشيا الحزب ذات الزي الموحد، وهؤلاء هم مرتدو القمصان البنية وكان يشار اليهم بالحرفين S.A، وهما اختصار عبارة "***Sturm Abteilung***" أي "قوات العاصفة" أما النخبة : فهم فرق الإس. إس ***S.S*** وهي اختصار للعبارة الالمانية "شوتس ستافل ***Schutz-Staffel***" ومعناها "نخبة الأمن" أو " الحرس الخاص"، وكانو يرتدون قمصاناً سوداء وشارة الموت، وكان للحزب تحيته الخاصة بأن يرفع العضو ذراعه اليمنى ويقول : "هايل هتلر" وأصبح الصليب المعقوف رمزه، كما كان له نشيده الخاص .

رأت العقيدة النازية أن هذا الهرم الالماني المنظم، لابد أن يسيطر على العالم بأسره، وقد استفادت هنا من الفكر الجغرافي السياسي (الجيوبولوتيكي) الغربي، إذ رأى النازيون أن المانيا أمة حركية من حقها أن تحصل على مجال يتناسب مع قوتها وحيويتها وحركيتها، وهو مجال أوسع مما سمحت به معاهدة فرساي.

إنطلاقاً من كل هذا وضعت المانيا فوق الجميع وأصبح للالمان حقوق مطلقة في كل مايعتقدون أنه مجالهم الحيوي، وقد رأى النازيون أنه يجب على الشعب الالماني أن يستيقظ من سباته ويتنبه للخطر، وأن يغزو مجاله الحيوي حتى يصبح مجالاً المانياً صرفا .

ولكن النازية ماإن انتصرت في صراعها ضد الديموقراطية والشيوعية بادىء الأمر على نطاق قومي ودولي حتى لقيت آخر الأمر نهايتها الرسمية بانتحار هتلر في سنة ١٩٤٥م، غير أن أكثر من مفكر يتساءل الآن عما إذا كانت النازية قد خبت فعلاً في نفوس الالمان، أم أن النازية هي التعبير الناضج عن تلك الروح الالمانية التي تسعى الى "التجسيد" منذ أكثر من قرن من الزمان، وقد تعود في ثوب جديد.

ماكذ والي هنخ:

إن الانطباع السائد بأن هتلر اختص اليهود بعداء مابعده عداء وكراهية ما بعدها كراهية دون سواهم من بني البشر ، اعتقاد يقفز على حقائق مهمة تتعلق بأي فكر عنصري ، سواء كان ذلك الفكر نازيا أو غير نازي ، إذ أن المحرك الأساسي لاضطهاد الغير واستعمار أراضيهم هو الشعور بالقوة أو الحاجة اليها ، ولذلك يلجأ المنظرون والمنتمون الى تلك القوة الغاشمة بالبحث عن التبريرات التي يحاولون من خلالها أن يضفوا شرعية على أفعالهم، حتى وإن كانت تلك الشرعية مفروضة على الغير ، ومن ناحية أخرى ، فإنهم يسعون من خلالها أيضا الى شحذهمم من يستقوون بهم للانضواء تحت لوائهم.

فإذا كان المقصود في حالة العداء هذه أن هتلر وحزبه النازي كان يكره اليهودية من بين سائر الأديان فهذا استنتاج غير صحيح لأن النازيين لم يكونوا ليقيموا أي وزن لأي دين أو معتقد باستثناء معتقدهم ، وقد كانت السمة الأساسية للمنظومة النازية هي علمانيتها الشاملة وواحدايتها المادية الصارمة ، وقد هاجم الفريد روزنبرج (أهم الفلاسفة النازيين) المسيحية باعتبارها عقيدة تدافع عن المطلقات، وفي كتابة أسطورة القرن العشرين حاول أن يبين بعض الأطروحات الأساسية للنازية مثل أن الروح والعرق شيء واحد، وما العرق الا عبارة عن التعبير الخارجي عن الروح، وما الروح الا عبارة عن التعبير الداخلي عن العرق (وهذا لا يختلف كثيراً عن تصور الفلسفة الالمانية المثالية عن تماثل الروح والطبيعة) والروح العرقية هي التي تحرك التاريخ.

ولكن هتلر، بذكائه الشديد، حاول أن يبقي هذه النقطة من برنامجه غامضة ولم يهاجم المسيحية حتى لا يستفز الجماهير ولا يواجه الكنيسة بشكل علني ، وقد عقد اتفاقاً مع الكنيسة الكاثوليكية في بادئ الأمر، الا أنه سرعان ما نقضه حينما استتبت الأمور له ولم يكتف بذلك بل قام بإرسال كثير من رجال الدين الى المحرقة، وأسس "كنيسة" المانية بهدف السيطرة على الكنائس البروتستانتينية، وتطهير فكرة القومية الالمانية من العناصر المسيحية التي دخلت عليها ، وكان الالتحاق بهذه الكنيسة القومية ، ومن ثم الانفصال عن المنظومة المسيحية شرطاً أساسياً للانضمام الى فرق الحرس الخاص ، وفي السنوات الأخيرة من الحكم النازي، وضع هتلر مخططاً شاملاً للقضاء على الكنائس المسيحية بشكل كامل، حتى تسود الواحدية المادية وقيم القومية العضوية والولاء الكامل لالمانيا والدولة" الرايخ الثالث"، وكل سمات النازية الأخرى تنبع من رؤيتها العلمانية الإمبريالية الشاملة.

أما إذا كان المقصود من حالة العداء هذه هو استهداف اليهود دون غيرهم من أجناس البشر لأنهم من جنس غير جرماني، فإننا سنذكر بعض أفكار العالم الالماني د.إ.فيشر ***E.Fischer*** التي تبين أن الفكر العنصري لم يكن موجودا ضد اليهود أو غير اليهود على وجه الخصوص ، بل كان موجها حتى ضد الالمان أنفسهم ، وتبين كذلك مدى تغلغل المنظومة النازية في الحضارة الغربية في ذلك الوقت ، فقد بدأت سيرة هذا العالم العلمية في عام ١٩٠٨ م حينما قامت السلطات الالمانية بالغاء كل الزيجات المختلطة في مستعمرة جنوب غرب إفريقيا (ناميبيا في الوقت الحاضر) التابعة لالمانيا وحرمان الالمان ممن تزوجوا من غير البيض من حقوقهم المدنية،و في هذا الإطار قرر الدكتور فيشر، أستاذ التشريح بجامعة فرايبورج ، أن يبدأ دراساته عن أبناء الزيجات المختلفة التي تمت بين البوير (وهم من أصل هولندي) ونساء قبائل الهوتنتوت الإفريقية ، وقد نشر نتائج بحثه عام ١٩١٣ م، وكان من ضمن التوصيات " العلمية التي وردت في هذا الكتاب ما يلي: " من الواجب أن نزود أبناء مثل هذه الزيجات المختلطة بالحد الأدنى من الحماية التي يتطلبها البقاء، باعتبارهم جنساً متدنياً عنا، وبعد هذا يجب أن تسود المنافسة الحرة، التي ستؤدي على تدهورهم وتدميرهم".

ثم ألف فيشر كتاباً مع آخرين بعنوان "مبادئ الوراثة الإنسانية الصحة العرقية"، أي أن فكر الدكتور فيشر العلمي، الداروينى العنصري ، ولد في صميم التشكيل الحضاري والاستعماري الغربي.

وقد وصلت فقد وصلت نسخة من هذا الكتاب الى هتلر في سجنه عام ١٩٢٣م، وكان آنذاك يكتب كتابه المشهور كفاحي ، فطور أفكاره عن العرق وأعطاها التبريرات "العلمية" المطلوبة.

وفى ٣٠ يناير ١٩٣٣م ،وبعد أن أصبح هتلر مستشارا لالمانيا بيومينً ، القى فيشر محاضرة بعنوان " الاختلاط العرقي والإنجاز الثقافي" ثم عين رئيساً لجامعة برلين في ذلك العام، وبدأ فيشر يشيد بالنظام النازي وبنخبته الحاكمة لأنها تفكر من خلال "الإطار البيولوجي" وتتدخل في مسار التاريخ لتحمي الصفات العرقية الالمانية، وفي عام١٩٣٥م قام بمناقشة قضية تعقيم الأطفال الالمان الملونين، وفي عام ١٩٤١م كان فيشر هو ضيف الشرف في حفل افتتاح معهد دراسة المسالة اليهودية في فرانكفورت حيث طالب بحل المسالة اليهودية عن طريق نقل اليهود من أوروبا كما طالب بتعقيم ربع اليهود، وقد حضر في عام ١٩٤٢م اجتماعاً لمناقشة مسالة إنهاك شعوب شرق أوروبا من خلال العمل وإعادة توطين الملايين منهم في سيبيريا ، ثم كتب فيشر مقالاً يشير فيه الى أن العلم النازي قد ازدهر لأن الطبقة الحاكمة ترحب به وتضع نتائجه موضع التنفيذ وفي خدمة الدولة، وحتى قرب نهاية الحرب كان فيشر لا يزال يقوم بجهوده "العلمية" النازية ، فوافق على أن يكون رئيساً للمؤتمر المعادي لليهود والذي كان سيعقد في كراكوف في بولندا ، الا أن المؤتمر لم يعقد لأن الستار كان على وشك أن يسدل على التجربة النازية ككل .

من هذا يتبين لنا أن مشكلة الفكر النازي تكمن في احتقاره للغير وفي تمييزه بين الأفراد المنتمين للعرق الجرماني وبين غيرهم ، وفي ادعائه أن الشعوب التي تنتمي الى الجنس الجرماني تحتاج دائماً الى آخر تتميز عنه وتستمد منه هويتها، والآخر هنا هو كل من يقف في طريق تحقيق الأطروحات النازية ، و قد تصادف أن يكونوا في هذه الحقبة من الزمن هم السلاف بالدرجة الأولى، الذين يشغلون المجال الحيوي في الخارج، أما في الداخل ، فكانوا من العناصر غير النافعة المستهلكة دون أن تكون

منتجة، وأحياناً ضارة مثل المعاقون والشواذ جنسياً والشيوعيون والغجر والمصابون بأمراض وراثية مزمنة ، بل والأقزام ، ولذا كان النازيون يرون ضرورة إبادة العناصر الضارة في الداخل والخارج أي السكان السلاف الذين يعيشون داخل المجال الالماني الحيوي أي في الأماكن التي يقطنها الالمان ، والغجر ممن لا نفع يرجىمنهم ، واليهود خصوصاً الأقلية المالية اليهودية. لقد كانت المانيا تتبني عقيدة عنصرية هي " النازية " التي تقوم على أسطورة نقاء الجنس " الآري " واستراتيجيه دولية تنهض على أساس توسيع المجال الحيوي ، حتى وإن تم ذلك بغزو الدول والشعوب ، وهي بلاشك أيديولوجية مضادة لمنطق العقل و العدل .

يقول هتلر فى كتابه "**كفاحي**"[1] على الدولة العنصرية أن تؤمن بأن رجلاً راجح العقل قوي الإرادة والصحة أكثر نفعاً للمجتمع من رجل ذي عاهة مهما تكن مواهبه العقلية ، ولذلك فالدولة منوط بها رعاية النشء وتقوية الأجسام ، وهذا من صميم مهام الدولة بحيث تبدأ العناية بالنشء منذ الطفولة...

وكان أعضاء الجماعة اليهودية حسب التصور النازي من أهم القطاعات غير النافعة ، بل والضارة، فهم يتمركزون في القطاعات الهامشية للاقتصاد ، مثل تجارة الرقيق الأبيض ، ورغم أنهم مثل البكتريا والطفيليات التي تعيش على الآخرين، الا أنهم يدعون أنهم يشكلون عرقاً سامياً وشعباً مختارا ة ، ولذا فهم يحاولون دائماً الهيمنة على الحياة السياسية والاقتصادية للشعوب الأخرى، ويشير هتلر الى أن اليهود سيطروا على عالم المال في المانيا وأنهم يحيكون مؤامرة عالمية للسيطرة على الحكم ، ولذا فهم يحاولون إشعال الحروب والثورات (وهذه هي الأفكار الأساسية في "***بروتوكولات حكماء شيوخ صهيون***"، وفي كتاب إدموند دروموند "فرنسا اليهودية"، وهما من أكثر الكتب شيوعاً في أوروبا في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر) كما بين هتلر أن الماركسية والماسونية ليستا سوى حيل يهودية للسيطرة على العالم، وقد صنف اليهود أحياناً باعتبارهم سلافيين، لأن كثيراً منهم كانوا "أوست يودين Ostjuden" أي من يهود شرق أوروبا، والقى باللوم على اليهود باعتبارهم مسئولين عن هزيمة المانيا في الحرب العالمية الأولى وعن إذلالها، ولذا قرر الالمان أن يجعلوا المجال الحيوي الالماني "خالياً من اليهود " (بالالمانية: يودين راين ***Judenrenrein***).

وقد بدأ النظام النازي حملته على اليهود عقب تعيين هتلر مستشاراً في ٣٠ يناير عام ١٩٣٣م، ففي إبريل عام ١٩٣٣ م نظمت مقاطعة للأعمال التجارية اليهودية ثم استبعد اليهود من كثر من الوظائف العامة، وفي إبريل ١٩٣٥م، استبعد الأطفال اليهود من النظام التعليمي، وفي سبتمبر من نفس العام، صدرت قوانين نورمبرج التي نزعت عن أعضاء الجماعة اليهودية حقهم في أن يكونوا مواطنين بالرايخ، تنفيذاً لفكرة الشعب العضوي والشعب العضوي المنبوذ ، ومنعت الزيجات المختلطة بين اليهود والآريين.

وفي عام ١٩٣٨م منع اليهود من العمل في الوظائف الوسيطة كأن يكونوا وكلاء وبائعين ومديري عقارات ومستشارين في الأعمال التجارية، وأدى اغتيال عضو في السفارة الالمانية في باريس على يد يهودي بولندي الى قيام ثورة شعبية ضد اليهود تُعرف باسم "كريستال ناخت" أي "ليلة الزجاج المحطم" أحرق خلالها أربعمائة معبد ونهب كثير من المتاجر والمنازل الخاصة بهم، وتم القبض على الالوف منهم وفرضت غرامة على اليهود ككل ، وقد حاول هتلر، في بداية الأمر، أن يحل مسالته اليهودية بشكل نهائي أيضاً بالطرق الاستعمارية السلمية التقليدية أي مثلما فعل بلفور ، أي التخلص من الفائض البشري اليهودي عن طريق تصديره (ترانسفير) الى رقعة أخرى خارج المانيا ، وكان هتلر يدرك أن الترانسفير (تفريغ الأراضي من سكانها ونقلهم) هو جزء من المنظومة الغربية وطريقة حلها للمشاكل، فقد أشار في أغسطس ١٩٤٠ م الى أنه تم إفراغ بروسيا الشرقية من سكانها الالمان بعد الحرب العالمية الأولى، وتساءل عن وجه الضرر في نقل ٦٠٠ الف يهودي من أراض الرايخ (وكان هناك مشروع نازي ترانسفيري أكبر وهو نقل ٣١ مليون "غير الماني" من شرق أوروبا ، وهى عبارة بلفورية لا تختلف عن تلك العبارة التي وردت في وعد اليهودية")

وداخل هذا التصور الترانسفيري الغربي تحرك هتلر لتنفيذ خطته:

١- قام هتلر بشحن عشرة الاف يهودي وأرسلهم عبر الحدود الى بولندا في ٢٨ أكتوبر ١٩٣٨م، ولكن الحدود البولندية كانت موصدة دونهم (فبولندا هي الأخرى كانت تود الدفاع عن مصالحها المادية)

٢- استمرت المحاولات النازية التي تستهدف تهجير اليهود حتى نهاية الحكم النازي، فبذلت المحاولة تلو الأخرى لتوطينهم في سوريا والإكوادور وتم تشجيعهم على الهجرة الى فلسطين ، وكان هناك مشروع صهيوني نازي يسمى "مشروع مدغشقر" كان يهدف الى تأسيس دولة يهودية في تلك الجزيرة الإفريقية ، ولكن معظم هذه المشروعات فشلت ولم تطرح بدائل أخرى، فالمجال الاستعماري الحيوي لالمانيا ، بعد هزيمتها في الحرب العالمية الأولى كان محدوداً.

٣- لم تكن الدول الغربية (التي تتباكى حتى الآن على ضحايا الإبادة) ترحب هي الأخرى بالمهاجرين اليهود أو غيرهم بسبب حالة الكساد الاقتصادي.

وكان هتلر يسمى خطة الترانسفير هذه "الحل الشامل" و " الحل النهائي" ولكن هذا الحل النهائي البلفوري لم يكن متاحاً لهتلر، ولذا لم يكن أمامه سوى استبعاد اليهود بطريقة غير بلفورية، وتتميز بكونها أكثر حدة ومنهجية وتبلوراً وسوقية، ومع هذا يميل كثير من العلماء الى القول بأن "الحل النهائي النازي للمسالة اليهودية" ظل ذا طابع بلفوري حتى النهاية ، أي حلاً نهائياً من خلال الترانسفير، أو التهجير القسري إما الى المستعمرات في آسيا وأفريقيا أو الى معسكرات العمل والسخرة في المانيا، التي لم تكن الأوضاع فيها تختلف كثيراً عن الأوضاع السائدة في المستعمرات ، وبعد ذلك بدأ النظام النازي في عملية الإبادة والحل النهائي النازي للمسالة اليهودية والتي استمرت حتى نهاية الحرب.

النازية هي وليدة الحضارة الغربية إذن ، ومع هذا يتساءل بعض الدارسين الغربيين للإبادة النازية عن الكيفية التي أمكن بها لمجتمع غربي يقال إنه "متحضر" مثل المجتمع الالماني (مجتمع هيجل وفاجنر وهايدجر) أن يفرز حركة بربرية تماماً كالحركة النازية ثم يخضع كل أعضاء المجتمع لها، وفي محاولة الإجابة على هذا السؤال، ذهب بعضهم الى القول بأن النازية هي مجرد انحراف ليس عن مسار التاريخ الالماني وحسب وإنما عن مسار التاريخ الغربي ككل.

إن جوهر الفكر النازي، متمثلاً في كتابات أدولف هتلر (وغيره من المفكرين النازيين) لا يختلف كثيراً عن فكر سير آرثر بلفور صاحب الوعد المشهور (وغيره من

الساسة والمفكرين الاستعماريين) فكل من هتلر وبلفور يدور داخل الإطار الإمبريالي العرقي المبني على الإيمان بالتفاوت بين الأعراق ، وعلى حل مشاكل أوروبا عن طريق تصديرها ، وكلاهما يؤمن بفكرة الشعب العضوي، وكلاهما يرى في اليهود عنصراً غير مرغوب فيه،ومن ثم ضرورة وضع حل نهائي للمسالة اليهودية في أوروبا.

وكلاهما لا يلتزم بأية منظومة أخلاقية سوى منظومة المنفعة المادية ومنظومة الصراع الداروينية، وقد تم الحل النهائي في حالة بلفور بنقل (ترانسفير) اليهود خارج إنجلترا وأوروبا الى فلسطين .

وإذا كان فكر هتلر هو نتاج لحضارة الغرب، خصوصاً في القرن التاسع عشر، والتي تدور داخل الإطار العرقي العلماني الإمبريالي الداروينى، فلابد أن تكون هناك نقط اتفاق بين هذا الفكر والفكر الصهيوني الذي هو أيضاً نتاج المعطيات الفكرية نفسها، وبالفعل ، نجد أن الفكر الصهيوني يتحدث عن اليهود باعتبارهم عناصر بكتيرية، والواقع أن تعبير البكتريا المجازي (و تعبير داوريني لا علاقة له بقيم"بالية" مثل المحبة والمساواة والعدل) يستخدمه كل من هتلر ونوردو وهرتزل ، الذين يتحدثون عن اليهود باعتبارهم شعباً عضوياً منبوذاً ، كما أن الصهيونية ترى ضرورة إخلاء أوروبا من اليهود ، ولعل الخلاف الوحيد هو أن الصهاينة يفضلون الطريقة البلفورية على الطريقة الهتلرية.

وبعد أن تطرقنا للأيديولوجية النازية كمثال لأهمية الأيديولوجية في تغيير مصير الأمم ،حتى وإن كانت تلك الأيديولوجية لاتتفق مع المنطق والعقل السليم ، فسنحاول أن نركز على عنصر الصبر والمثابرة وهو العنصر الآخر المهم في نجاح الأيديولوجيات نضرب مثالاً آخر لأيديولوجية أشد دهاء وذكاءً ومكراً ظل طرفها المستفيد منها متواريا عن الأنظار ولكنه ورغم ضلالة مقاصده ، الا أنه تذرع بالصبر وثابر حتى يصل الى غايته ، وتأقلم مع الظروف واستفاد من أخطائه وطور من أساليبه وأطروحاته العقائدية واللفظية والمادية، تارة بالمجاهرة وتارة أخرى بالبطش وتارة ثالثة بتدبيره الأمور من وراء حجاب فجعل من غيره أداة يحركها، سواء كان ذلك الغير أفراداً أو جماعات أو دول ، أما أدواته ووسائله في تحقيق ذلك فهي أشد تعقيدا وتطورا بحيث يصعب اكتشاف مؤامراته ، وإذا ماتم اكتشافها فغالبا مايكون ذلك بعد فوات الأوان ،

ولابد لنا عند استعراض هذه التجربة ألا نكتفي بمقتها فحسب ، بل يجب علينا دراستها والتركيز على جانب المثابرة فيها الذي امتد قروناً عديدة وقف فيه معتنقوها ضد غيرهم من البشر من المسيحيين والمسلمين وحتى بني جلدتهم اليهود ، ولازال صراعهم مستمراً الى يومنا هذا لتحقيق الأيديولوجية الصهيونية أيديولوجية التفوق على الغير واستعباده .

الأيديولوجية الصهيونية(الضلال والمثابرة) :

تبدأ القصة مع سيدنا إبراهيم عليه السلام المولود عام ١٨٣٥ ق.م حيث ولد له ولدان هما إسحاق ويرجع اليه اليهود وإسماعيل ويرجع اليه العرب ، ومن ذرية إسحاق جاء سيدنا يعقوب عام ١٦٨٥ ق.م ولقبه إسرائيل أي عبد الله وأخوه آدوم.

وقد أنجب سيدنا يعقوب سيدنا يوسف عام ١٦١٥ ق.م الى جانب أخوته الاثنى عشر، ثم تمضي قصة سيدنا يوسف الي حينما أصبح سيدنا يوسف وزيراً للمالية هناك ، إذ أن لقب العزيز الذي ورد في القران الكريم يعادل هذا المعني، ثم استقدامه لأبيه سيدنا يعقوب وأبنائه الى مصر عام ١٥٧٠ ق.م .

وقد مر بنا في فصل المؤامرات على الأنبياء قصة سيدنا موسى مع اليهود وما لقيه من عنت منهم ،وهوالذي سار بهم الى النجاة من فرعون وجنده بأمرمن الله. ثم قادهم يوشع بن نون بعد وفاة سيدنا موسى علية السلام واحتلوا ارض الكنعانيين العرب ولكنهم تعرضوا لعدة هزائم الى أن وحد كلمتهم نبي الله داود علية السلام علي الإيمان الصادق الذي جاءت في الزبور ، وهو عبارة عن حكم ومواعظ،وسار بهم الى جبل أشم ذي حجارة صلبة وقوية كان العرب الكنعانيون يطلقون علي حجارته اسم الحجر الصوان أو الصيوان، واسموا الجبل اسم جبل صوان التي جاءت منها كلمة جبل صهيون ، وقام سيدنا داود فيما بعد ببناء قلعة حصينة من حجار ذلك الجبل عام ١٠٠٠ ق.م ، ومن المفارقات أن كلمة الصهيونية ترجع الي أصل عربي[٢] وأخيراً ثم وسع مملكته التي استمرت علي هذا الحال في عهد ابنه سليمان عليهما السلام.

ولكن بعد وفاة سيدنا سليمان عليه السلام انقسم اليهود الى قسمين، قسم يضم أحفاد بني سيدنا يعقوب يهوذا[٣] وبنيامين الذين أسسوا مملكة في الجنوب أطلقوا عليها

اسم "مملكة يهوذا" ومقرها أورشليم وعاصمتها قلعة جبل صهيون، والقسم الآخر يضم أبناء الأسباط العشر الآخرين من أبناء سيدنا يعقوب الذين أسسوا مملكة الشمال وأطلقوا عليها اسم مملكة إسرائيل ومقرها في الضفة الغربية نهر الأردن (السامرا) ومع مرور الأيام دب الخلاف والنزاع بين المملكتين فاغتنم الآشوريون تلك الفرصة وأغاروا علي مملكة الشمال (مملكة إسرائيل) بقيادة " شلمنصر الثالث " عام ٨٥٣ ق.م وهزمهم في موقعة" كركر " ثم قام القائد الآشوري " سرجون الثاني " بعد ذلك بسحق القبائل التي تناسلت من الأسباط العشر وأسر ما تبقي منهم وأنهي بذلك مملكة إسرائيل " مملكة الشمال " .

أما مملكة الجنوب فقد هجم عليها الملك البابلي " نبوخذ نصر " عام ٥٨٦ ق.م ودمر هيكل سليمان وحمل رؤساء قبيلتي يهوذا وبنيامين أسري الى بابل ، فكان هؤلاء الأسرى يجتمعون علي ضفاف الفرات يسترجعون ذكريات مملكتهم البائدة وما آل إليه حال شعب كان من المفترض به أن يكون شعب الله المختار، ويحدثون أنفسهم بعودة مملكة تمتد من الفرات الى النيل ، بل الى ما بعد ذلك . واتخذوا من جبل صهيون الذي كان يمثل قوتهم في الماضي رمزاً لذلك الحنين ،

ومن تلك الأشجان والتطلعات بدأ بعض الحاخامات من أحفاد يهوذا بتكييف الديانة اليهودية الغراء التي جاء بها سيدنا موسى لتتوافق مع طموحات أولئك المتطلعين الى جبل صهيون، أي الأجداد الأوائل لصهاينة اليوم ، ولكن وقوع هؤلاء الأجداد بالأسر وقلة حيلتهم جعل من الصعب عليهم آنذاك أن يحولوا حلمهم الى حقيقة فحولوها الى أساطير وبدءوا بكتابة توراة وتلمود هما في الحقيقة مزيج بين الأصل والتحريف لقصص وأساطير تصوروها رغم تناقض تلك الأساطير مع ما جاء به سيدنا موسى عليه السلام. وفي عام٥٢٩ق.م استطاع قورش الملك الفارسي أن يغزو عدة ممالك بما فيهم البابليين ، ولما جاء ابنه قمبيز حرر اليهود من الأسر وعادوا الى فلسطين ، ولكنهم عادوا بفكر غير الذي جاء به سيدنا موسى عليه السلام وجعلوا من الديانة اليهودية أداة تحريض لليهود كافة على الغير ، وأصبح ديدنهم هو البحث عن القوة ،وتصوروا أن الههم هو اله الحرب وسفك الدماء لتحقيق تلك الأحلام الدموية ،وأن غيرهم من البشر من طينة شيطانية بينما هم مخلوقون من نفس الله

وأنهم هم وحدهم أبناؤه ، وإذا كان الله قد منح غير اليهود الصورة البشرية فإنما فعل سبحانه ذلك إكراماً منه لليهود [٤] حتى يتمكن اليهود من التعامل معهم وتسييرهم لخدمتهم ،وأن الله لايسمح لغير اليهود بعبادته ولا يتقبل العبادة من غيرهم ، وأن خيرات الأرض هي خالصة لليهود وأن كل مابيد غير اليهود هو ملك لليهود، ولذلك فلا تثريب على اليهودي أن يستحل حتى دم غير اليهودي وهم يستندون الى قتل سيدنا موسى للمصري كدليل على ذلك الاستحلال ، وأنه يجوز لليهودي غش وخداع وظلم غير اليهودي ، وإذا عامله معاملة جيدة فإن ذلك يجب أن يكون من باب التقية ودفع الضرر. وترجم اليعازر عام ٤٤ ق.م تلك التصورات المريضة الى توراة محرفة تحت اسم توراة عصر الأسر البابلي أو توراة الفرات والتي أطلق عليها اسم " شريعة موسى "وقد كان أول صراع لهم في تحقيق أيديولوجيتهم مع بعض إخوانهم اليهود الذين أنكروا ما جاء فيها وقد هالهم ما تحتويه هذه التوراة الصهيونية من تحريض على القتل والبطش والدمار لكل ما هو غير يهودي، فنشب صراع بين الطرفين انقسم اليهود بعده الى ثلاث فرق (جماعات) رئيسة [٥] هي :

أ- الجماعة الصدوقية نسبة الى زعيمهم الكاهن الذى عاش فى القرن الثالث الميلادى ، ويقال نسبة إلى بيت صدوق وهم من الأثرياء الذين انحازوا الى اليعازر، ولا يؤمنون الا بالشريعة المكتوبة واتخذوا من سفر يوشع دستوراً لهم وجادلوا بنفي العالم الآخر ، وهم ينكرون البعث والحساب والجنة والنار .

ب - الجماعة الفريسية وقد دعت الى الأعمال الصالحة والزهد وظهرت فيهم" المزامير " ثم " الأمثال " ثم " الجامعة " وتأثر عامة اليهود بمناخ المحبة الذي أشاعته تلك الأسفار .وكانوا يدافعون عن الشريعة الشفوية (التلمود)

ج- الجماعة الا سينية وقد اتجهت اتجاهاً مغايراً لاتجاه الفرقة الصدوقية فنادت بالمحبة وأنكرت الطقوس الدموية ،وقد برز من هذه الفئة فيما بعد " يوحنا المعمدان " وهو سيدنا يحيى (عليه السلام) : (١ ق.م – ٣١م) والذي قال عنه تعالى في سورة مريم : "يا زكريا إنا نبشرك بغلام اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا" (٣) وذلك لأن هذا الاسم لم يكن مالوفاً

عند اليهود ، ويسميه المسيحيون يوحنا المعمدان لأنه كان يغطس رؤوس التائبين بالماء كرمز على غسل قلوبهم وتطهيرها من الدنس .

استفاد الصهاينة عبر التاريخ من الديانة اليهودية رغم تحريفهم لتوراة نبيهم موسى عليه السلام فظلوا مواكبين لليهود ولليهودية مع تمسك شديد بأيديولوجيتهم الهدامة دون أن يتمكن اليهود المعارضين لهم من الفكاك منهم ،وكانوا يحيكون المؤامرات والفتن ضد من لايتبع ملتهم من اليهود ومن غيرهم ،كما أنهم كانوا الأعلى صوتاً والأشد قسوة على غيرهم ، وكانت ردود أفعال ضحايا هذه المؤامرات موجهة ضد الصهاينة الذين يعيشون بين ظهرانيهم وليس ضد اليهود كطائفة من البشر أو اليهودية كدين.

ومنذ السنوات الأولى لنشر أفكارهم الهدامة وبعد تآمرهم على سيدنا عيسى عليه السلام حمل الحواريون رسالته من بعده فدخلوا في صراعات مع كهنة الصدوقيين الى أن ضاق الحاكم الروماني" **تطيس** " ذرعاً بتلك الصراعات فهاجم الجميع واحتل أورشليم وطرد اليهود الذين آمنوا بالمسيحية والذين لم يؤمنوا بها على حد سواء ، الى أن انتهي معظم وجودهم في القدس عام ٧٠ م . وحينما ظهر الوجود اليهودي مرة أخرى بادعاء يهودي اسمه باركو شياس وادعي أنه المسيح المنتظر هاجمهم هارديان ودمر القدس وبني مكانها مدينة جديدة اسماها " ايليا " وحرم علي اليهود دخولها .

<u>قصة الصهيونية وأوروبا :</u>

أماقصة اليهود أو الصهاينة منهم مع كل بلدان أوروبا المسيحية فقد كانت تبدو وكأنها شهر عسل سرعان ماينتهي بالطلاق وسفك الدماء ، فمنذ حرضوا القائد الروماني على قتل السيد المسيح ، والمسيحيون يحملون في نفوسهم حقداً على اليهود ورغبة في الإنتقام منهم متى ما سنحت الفرصة لهم ، وفي مرحلة لاحقة من التاريخ استطاع خاقان الخزر اليهودي أن يزرع اليهود في قلب الإمبراطورية اليهودية الرومانية الشرقية وفى أعلى المناصب التي يمكنها بحكم مواقعها أن تتخذ القرارات المصيرية التي تخدم اليهود في نهاية الأمر كهدف أساسي وتخريب الدين المسيحي كهدف أسمى

وتمكن من ذلك من خلال مصاهرة الملوك الرومان حتى تمكن يهود الخزر من المسيحية وتحالف اليهود معهم لصد الفتوحات الإسلامية وكان الدافع لذلك هدف ظاهري هو مقاومة الإسلام الزاحف تجاه العاصمة الرومانية الشرقية بيزنطة ومنع غارات الروس الرامية الى احتلال الأراضي الواقعة حول نهر الغولى حتى مصبه في بحر قزوين. أما الهدف الخفي لذلك التحالف فهو رغبة يهود الخزر في السيطرة على الدول المسيحية والانتقام منها بشتى الوسائل من تخريب للدين واذكاء لنار الخلاف بينها عقائديا .

وفي خضم الصراع المسيحي اليهودي وصف كاتب يهودي الطريقة التي لجأ اليها الإمبراطور الروماني "بازل" لإجبار الطائفة اليهودية في جنوب إيطاليا على اعتناق المسيحية ، إذ كان المسيحيون يضعون إي شخص يرفض اعتناق العقيدة المسيحية في معصرة الزيتون تحت مكبس خشبي ثم يعصرونه بنفس الطريقة التي يعصر بها الزيتون.

وقد شرح المؤرخ أرنولد توينبى أسباب عداء اليهودية للمسيحيين شرحا مستفيضا في كتابه "*مختصر دراسة التاريخ*" وهو يصف العلاقة بين الطرفين ضاربا مثلا باليهود المشتتين في شبه جزيرة أيبيريا حينما التأمت الهوة بين طائفتي الرومان والقوط الغربيين بفضل تحول القوط عام ٥٨٧م من المسيحية الآرية الى المسيحية الكاثوليكية ، فبدأ التوتر بين الجماعة المسيحية الموحدة والطائفة اليهودية التي ازداد شعورها بذاتها بعد صدور سلسلة من التشريعات المناهضة لليهود والتي تدل على نفوذ الكنيسة الكاثوليكية علي الدولة ، وشهد القرن الثالث عشر عملية خروج اليهود من شبه الجزيرة الايبيريه برغبة ممن يريد ذلك منهم وبقاء من يريد البقاء شريطة التحول الى المسيحية ، فتظاهر بعضهم باعتناق المسيحية بينما بقوا على ماهم عليه وممارسة العادات اليهودية سرا ، وعلى الرغم من إجبارهم على اتخاذ أسماء مسيحية فانهم تحايلوا علي ذلك بإضافة ابن أو مكان أولون الى الأسماء الأسبانية المعروفة للمسيحيين، ويستطرد المؤرخ توينبي ، ان نهاية الامريكان تآمر يهود شبة جزيرة أيبيريا مع يهود شمال إفريقيا ليحصلوا علي تدخل العرب المسلمين لصالحهم، وقد تمتع اليهود خلال الوجود الإسلامي في شبة الجزيرة الايبيرية بالمزايا والانتشار والاستقرار والتسلل الى بلاط

الخلفاء واستغلال نفوذهم بما يخدم أغراضهم وفي النهاية تآمروا ضدهم وحرضوا المسيحيين لطردهم وتدميرهم والحقد اليهودي نبع منذ تشتتهم واستقر في وجدانهم ، ومنذ ذلك التاريخ وهم يعيشون من غير دولة ولا حكومة ولا جيش بل تراهم مبعثرين بين أرجاء الكرة الأرضية ولكن ليحافظ اليهود علي كيانهم اضطروا أن يخلقوا وسائل للدفاع عن كيانهم فاستنبطوا وسيلتين خطيرتين هما المال والتآمر فقرر اليهود تدمير كل ما هو قائم من مبادئ وعلوم ومثل عليا تقوم عليها النصرانية وهدم الأعمدة التي شيدوا عليها بنيانهم الفكري ونرى اليوم ما تعيشه أوروبا تحت سيطرة توابع اليهود من اقتصاد واعلام والتغلغل في كل دول أوروبا وتقرير مصيرها والسيطرة على كل ما يصدر منها من قرارات داخلية وخارجية وبالرغم من اختلاف جنسيات اليهود وتباعد أوطانهم إنما يسعون وراء غاية واحدة مشتركة هي نقض الحقائق القائمة وهدم كل ما هو ثابت، ولم يستطيع اليهود تحقيق ذلك بالقوة وانما من خلال احتكار الأسواق المالية فهم أسياد العالم اليوم ويديرون حركته الاقتصادية كيفما يشاءون. ولا يمكن الحديث عن الاختراق لدول أوروبا والمسيحية عامة دون التطرق الى مأساة الحروب الصليبية التي طحنت المسلمين والمسيحيين معا والتي بدأت منذ عام ١٠٩٥م في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي ولم تخمد الا بعد أن تأكد الغرب الأوربي تحت عباءة الصليب– من عجزه عن الاستيلاء علي بلاد المسلمين في الشرق وقد جني اليهود من تلك الحروب فوائد جمة جراء تخطيطهم لها تخطيطا محكما من كل الجوانب أهمها :

١– احتاجت الحروب الدامية بين المسيحيين والمسلمين الى أموال طائلة لشراء السلاح والطعام لكلا الطرفين جنى اليهود من ورائها أرباحا تفوق الخيال فهم أصحاب تلك التجارة منذ القدم.

٢– تسلل اليهود والخزر الى الأرض المقدسة التي يحلمون بها وفي داخلهم حقد دفين خاصة أحبار اليهود المطرودين من الجزيرة العربية وسعوا لتحقيق الحلم اليهودي من خلال الخلاص من المسيحيين والمسلمين علي حد سواء.

٣– تحويل الأنظار المسلمة والمسيحية عن اليهود والالتفات الى حربهما ضد بعضهما.

٤- منح اليهود في الأندلس فرصة لتثبيت أقدامهم فيها سواء في المناطق التي يقطنها المسلمون أو تلك التي حقق المسيحيون فيها انتصارا، وعندما انتهت الحروب الصليبية الب اليهود المسيحيين علي المسلمين في شبه الجزيرة الأيبيرية مرة أخرى أواخر القرن الخامس عشر.

ورغم أن عدد اليهود في بلاد الإنجليز لم يتجاوز الألفين وخمسمائة يهودي عام ١٢٩٠م ، الا أنهم سيطروا على بلادهم تماما،فقام الإنجليز بطردهم من إنجلترا ، كما طرد الملك الفرنسي " فيليب لوبل" اليهود من مملكته عام ١٣٠٦م ، لكن اليهود عادوا في القرنين السادس عشر والسابع عشر الى إنجلترا وفرنسا بكثافة فراراً من محاكم التفتيش الأسبانية ولم يخرجوا من هذين البلدين بل تمكنوا منهما تماما،وعملوا على تأسيس المحافل الماسونية التي تنفذ أهدافهم بأسماء مختلفة ،ولو لاحظنا تاريخ دخول الماسونية الى أوروبا لوجدناه متوافقا مع الفترة الزمنية التي سمح فيها لليهود بالعودة الى البلاد الأوربية بعد طردهم منها ، ويعتبر عام ١٧١٧م هو العام الذي بدأت الماسونية فيه بالانتشار في بريطانيا ثم انتقلت الى معظم البلاد الأوربية، ويرجع بعض كتاب التاريخ تفجير الثورة الفرنسية عام ١٧٦٨م بأنها ثورة صهيونية من الفها الى يائها انتقاما من عهد لويس الخامس عشر الذي كافح الماسونية بكل ما يملك من قوة فاصدر منشورا عام ١٧٣٧م منع فيه حاشية الماسونيين من حضور مجلسة ، وأيده البابا الكيمندس الثاني عشر في مكافحة الماسونية فاصدر منشورا عام ١٧٣٨م يهدد فيه الكهنة وغيرهم بالحرمات إذا ما انضموا الي تلك الجمعية المجرمة أو يناصرونها.

وفي القرن الثامن عشر حدث تطور في الفكر اليهودي ، إذ كان من تعاليم اليهودية ختان الذكور وتحريم لحم الخنزير وما الى غير ذلك من المحرمات فجاء رجل يهودي اسمه موسى مندلسون فنادى بتحرير اليهود من بعض المعتقدات اليهودية القديمة مثل الصلاة على الميت، وأباح لحم الخنزير والغى بعض المحرمات فلاقت دعوته صدى عند يهود المانيا وأمريكا وعارضها اليهود

الأرثوذكس في روسيا وبولندا وهنغاريا(المرجع الموسوعة العربية الميسرة الجزء الثاني ص١٩٨٦ لبنان دار الجليل)

وفى المانيا غضب الجماهير على اليهود ١٩٠٦ فخيروهم في بلدة "مايتر" بين التحويل أو الموت على أيدي الجماهير فانتحر اليهود جماعيا وذبحوا نساءهم وأولادهم ثم قتلوا بعضهم بعضا مفضلين الموت على التحول للمسيحية

وفي بداية القرن العشرين سعت الصهيونية الحديثة لغزو الفاتيكان حامية المسيحية الكاثوليكية ، فقابل " تيودور هيرتزل" الأب الروحي للصهيونية الحديثة في شهر نوفمبر ١٩٠٤ البابا ببوسي العاشر ودخل معه في مناقشات مطولة حول علاقة الكنيسة بالشعب اليهودي وموقف الفاتيكان من اليهود عبر التاريخ محاولاً بذلك الربط بين بعض نصوص التوراة في الماضي والمستقبل عن وحدة الوجود اليهودي المسيحي،وكان هدف هيرتزل من ذلك الحوار هو حث الفاتيكان على بذل الجهد للتعاطف مع اليهود حول الأراضي المقدسة في فلسطين ، وأن يكون لهم وضع خاص يمكن الجماعات اليهودية من تحقيق أهدافها ، كما حاول الصهاينة على مر الزمان الإبقاء على مخططاتهم سرية ، وقد عبرت مجموعة بروتوكولات حكماء صهيون عن ميراثهم الأخلاقي والديني والسياسي الذي ينم عن حقد دفين لم تستطع الأيام محوه مثل تخريب الأديان والقيم ،وقد تم تأجيل القضاء على الإسلام الى مرحلة لاحقة لأن المسيحية كانت هدفهم المباشر آنذاك ، فكان من بين فقرات البروتوكول السابع [٦] عشر ما نصه " إن حرية العقيدة الدينية معترف بها اليوم في كل مكان ولا يفصلنا عن انهيار المسيحية الا بضع خطوات وسيكون القضاء على الأديان الأخرى أيسر من ذلك عندما يحين الوقت المناسب لهدم القصر البابوي،والمقصود بانهيار المسيحية هو الهدم المعنوي عن طريق التسلل الى معقل الكاثوليكية وتوجيهه الى خدمة الأغراض الصهيونية، فتبقى المسيحية رمزاً خاوياً من المعاني الدينية ،وهو الأمر الذي سيحدث لبقية الأديان فيما بعد . وقد تم الكشف عن بروتوكولات صهيون عام ١٩٠٥ في روسية عندما عادة سيدة روسية كانت تقيم في باريس تدعى " جوليدا وتميرمللينا" الى روسيا وكان معها البروتوكولات بصفتها عضواً في المراتب العليا لجمعيات "الماسون" والتي تم تطوير عملها عام ١٨٦٩ في مدينة براغ في اجتماع سرى عقد حول قبر

رجل يهودي يدعى " سيمون بن يهودا " واتفق على اتخاذ خطوات جديدة للعمل السري اليهودي لتطوير الحركة والتعاليم الماسونية التي تقررت عام ١٧٠٧ في فرنسا لتتلاءم مع الجو المسيحي الجديد الذي ظهر في بريطانيا والولايات المتحدة وانتشار المذهب البروتستانتي فيها، فأسفر الاجتماع الذي تم حول قبرسيمون بن يهودا عن إنشاء تنظيم صهيوني عالمي يضم ثلاثمائة شخص ليشكلوا بذلك حركة سرية تحكم العالم ،ولا يحق لأي عضو من أعضاء هذه الحكومة الكشف عن نفسه أو عن هوية زملائه لأي سبب من الأسباب ، وهم يعملون بجد واجتهاد دائبين لتنفيذ مآربهم ، وعندما يموت أحد أعضاء الحكومة السرية يتم تغييره على الفور بغيره من أفراد الصف الثاني الذين لايعوزهم الحماس والتفاني في العمل بالنصوص المتعلقة بالتلمود .

لليهود القدرة علي تزييف الحقائق والتاريخ ولديهم قدرة دعائية فائقة فقد استطاعت الصهيونية أن تجعل من محرقة اليهود في المانيا النازية أسطورة ووضعوا لها الأرقام المخيفة لمن أحرقوا ، فمرة يقولون انهم أربعة ملايين وأخرى يقدرونهم بستة ملايين واستطاعوا أيضا كمؤرخين بنقل عنهم مؤرخون يهود كيف تمدب المسيحيون اليهود علي مر العصور وبذلك أثار اليهود السخط في المجتمعات التي تقوقعوا فيها وانتهزوا كل فرصة مواتية للتعبيرعن تلك الكراهية اما بالمطاردة أو بالإهانة أو السباب وقصة الحرائق النازية أو ما يطلق عليها اليهود الإبادة الجماعية أو "*الهولوكست*" شئ مضحك حقيقة يثبت ما تقولوه عن المقدرة اليهودية القدرة على استغلال كل شئ لمصلحة فكرة واحدة وهى إجبار المجتمعات الغربية علي الانقياد لرغبتهم وعدم الوقوف أمام مصالحهم مستغلين في ذلك خلق إحساس لدي الأوروبيون بالذنب تجاههم رغم أن كل ما دعوه بشأن المحرقة غير صحيح أن الحقيقة هي أن هتلر قد أصدر أوامره في مايو ١٩٤٤ بنقل مائتي الف يهودي للعمل في مصانع السلاح الأماني علي أن يتولى حراستهم عشرة الاف جندي من جنود الأمن الخاص النازي وكانت ظروف العمل مروعة بعد أن قاست المانيا من الفقر وندرة الأيدى العاملة الالمانية التي ذهبت للحرب في سنتها الأخيرة ، قاسي العمال من الجوع وقلة الظروف الصحية المان ويهود وسواء فتفشى وباء التيفوس بينهم الأمر الذي أدي الى وفاة عشرات الالاف من الأشخاص ، واستطاع الصهاينة استغلال مأساة اليهود والمحرقة في المانيا استغلالا لامثيل له في

ابتزاز العالم الأوربي والمانيا.يقول ناحوم جولدمان" في كتابه سيرة ذاتية : إن إسرائيل تلقت من المانيا خمسمائة مليون دولار كتعويضات وان المانيا لم تلتزم بتعهداتها وذهب خليفته هيرتزوج الى النمسا يهددها إذا لم تدفع النمسا لإسرائيل ثلاثين مليون دولار كتعويض عن مأساة اليهود وعادت إسرائيل تطلب ثلاثين أخرى ثم ثالثة، وكان التهديد بسبب إنكار النمسا أنها نازية ، يرى المؤرخ الأمريكي " هوفمان" أن هتلركان يرغب في إحياء المدينة الغربية في العقود الوسطي للقرن العشرين عمل على عزل اليهود وابعادهم واذ الزم الأمر تدميرهم من أجل سيادة الثقافة الالمانية والأوربية، لكن جهود هتلر أدت الى انه كان هو المؤسس الحقيقي لدولة إسرائيل بدفعه لليهود الخزر أساتذة إثبات الإحساس بالذنب علي الغير لإنشاء دولة لهم ، ويكشف هوفمان نقلا عن "هربرث مينجانج" في مقال له نشرته صحيفة " نيويورك تايمز ٦ نوفمبر ١٩٩١" أنا بالطبع صهيوني وكنت كذلك منذ إعلان " بلفور" وينقل عن الحاخام" شوارتز " نيويورك تايمز ١٨ مايو ١٩٩٣ قولة لتحقيق أهدافهم لإنشاء دولة قام الصهيونيون عمدًا بإثارة معاداة السامية ، ولم يكن إهتمامهم هو إنقاذ اليهود بل على العكس إراقة الدماء اليهودية ليطلبوا من الدول المساندة لإنشاء دولتهم ، ولا شك أن ديجول كان أشجع الفرنسيين في العصر الحديث الذي لم يخش اليهود ونفوذهم في بلده وقال : في فرنسا جماعة ضغط قوية موالية لإسرائيل وهي تمارس نفوذها في وسائل الاعلام على وجه الخصوص ، لم تختلف باقي دول أوروبا ذات الثقل في العلاقات الدولية عن فرنسا وإنجلترا ، فالصهاينة استطاعوا اختراق كل مقدراتها وشئونها السياسية والمالية ولا يمكن بحال حصر اليهود في تلك الدول بل يكفي الإشارة الى أن دزرائيلي وهربرت صمويل يهوديان من المارانوسى توليا رئاسة وزراء بريطانيا، وعمل دزرائيلى كل ما في وسعة لتحقيق أغراض اليهود مستعينا بنفوذ جيمس روتشيلد ، ممثل الروتشيلديين في إنجلترا بعد أبيه فكون مع دزرائيلى عام ١٨٦٠م الاتحاد العالمى اليهودي لتجمع يهود العالم تحت زعامة محفل الشرق الأعظم الماسوني في فرنسا ، وحتى الشيوعية كانت نتاج كارل ماركس اليهودي الالماني تلقفها لينين عام ١٩١٨ وطبقها في روسيا وتخلصوا من حكم أسرة روما نوفى المسيحية شديدة التمسك بدينها واللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي تالفت في عهد لينين من ١٢عضوا من بينهم تسعة يهود ولينين

نفسه كان يهوديا من أمه ومتزوج يهودية أما في عهدة ستالين فقد تالف اللجنة المركزية عام ٩٣٦ من تسعة وخمسون عضوا منهم ستة وخمسون عضوا يهوديا والثلاثة الآخرون متزوجين من يهوديات وعلي رأسهم ستالين نفسة ، لم يكن الأخذ أم اليهودي لبلدان العالم وخاصة أوروبا عشوائيا وانما كان تركيزهم الرئيسي على الدول ذات الثقل والقرار المؤثر في العالم ولذلك كانوا مع فرنسا ثم بريطانيا أيام كانت الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس ثم روسيا الشيوعية وأخيرا إنتقل الثقل الصهيوني الى الولايات المتحدة كما سنورده في الفقرات التالية للدلالة على أهمية الصبر والمثابرة في تحقيق أيديولوجيتهم :

أمريكا والصهيونية :

حينما أدرك الصهاينة أن أمريكا هي القوة البازغة في العالم سعوا بشتى الطرق الى اختراقها من كل الجوانب ، فافرزوا مع الأيام بمثابرتهم نفوذاً جباراً في دولة أصبحت هي القوة الوحيدة في عالم اليوم حيث سيطروا علي مقدراتها وأقدارها اقتصاديا وعسكريا وسياسيا ووجهوا كل ذلك نحو مصالحهم ، فباتوا يملكون إمبراطوريات الاعلام والمال في أيديهم ،وتصدركل القرارات الأمريكية المتعلقة بمصالحهم السياسية والإقتصادية عن طريق أعوانهم في الكونغرس والبيت الأبيض ولايستطيع الرئيس الأول في العالم أن يحكم الأمن خلالهم، أما إذا حاول الحيدة عن أهدافهم المرسومة فإن مصيره معروف سلفًا وأقله الخروج من البيت الأبيض بفضيحة تلازمة مدى الحياة، والتاريخ ماثل أمام الجميع بدءاً من نيسكون وحتى كلينتون ، وما يحدث من سياسات أمريكيا تجاه الفلسطينيين خير شاهد، فكل القرارات الإستراتيجية تصنع في إسرائيل وتأخذ طريقها لمجرد التصديق عليها في البيت الأبيض لتفوز الصهيونبة بالمغانم ولتتحمل أمريكا وزر المغارم.

وسنحاول أن نسرد بعض الوقفات للتاريخ الصهيوني في أمريكا [٧] فنبدأ بالقول إن اختلافنا مع أمريكا لا يجب أن يحجب عنا أن أمريكا مثلها مثل أية دولة تحاول أن تصنع لنفسها حاضراً قوياً ومستقبلاً زاهراً ، وقد نجحت بالفعل في صناعة ذلك لنفسها فتفوقت على بقية بلدان العالم إقتصادياً وعسكرياً وعلمياً وما الى ذلك من مظاهر القوة والإزدهار ، الا أن شيئاً واحداً يدرك قادتها أنهم لايستطيعون التحكم به وهو مصيرهم

أومصير دولتهم ، فهم يدركون أنه مرهون بغضب الصهيونية أو رضاها عليهم ، ولذلك تجد أنهم يقفون مكتوفي الأيدي أمام إملاءات صهيونية لايستطيعون حيالها الا السمع والطاعة حتى وإن كانت تلك الإملاءآت لاتصب في مصلحة دولتهم .

ونبدأ تلك القصة بالزعيم الأمريكي "بنيامين فرنكلين" الذي تنبأ بتلك السيطرة مبكرا وتحديداً في عام ١٧٨٩م عندما دارت المناقشات لوضع دستور الولايات المتحدة بعد حرب الاستقلال إذا قال في خطاب له هناك خطر عظيم يهدد الولايات المتحدة الأمريكية ، ذلك الخطر العظيم هو خطر اليهود أيها السادة : في كل ارض حل بها اليهود أطاحوا بالمستوي الخلقي وأفسدوا الذمة التجارية فيها، ولم يزالوا منعزلين لاينتجون الا بغيرهم ،وقد أدى بهم الاضطهاد الى العمل على خنق الشعوب ماليا كما هي الحال في البرتغال وأسبانيا ، منذ أكثر من الف وسبعمائة سنة واليهود يندبون حظهم ويظنون بذلك انهم طردوا من ديار آبائهم، ولكن أيها السادة لن يلبثوا إذا أعطتهم الدول المنتصرة اليوم فلسطين أن يجدوا أسبابا تحملهم الا يعودوا اليها ، لماذا لأنهم طفيليات لا يعيش بعضهم على بعض ولا بد له من العيش بين المسيحيين وغيرهم ممن لا ينتمون الى عرقهم ، إذا لم يبعد هؤلاء من الولايات المتحدة بنص دستورها فإن سيلهم سيتدفق الى الولايات المتحدة في غضون مائة سنة الى حد يقدرون معه أن يحكموا شعبا ويدمروه ويغيروا شكل الحكم الذي بذلنا في سبيله دماءنا وضحينا له بأرواحنا وحريتنا الفردية، ولن تمضى مائتا سنة حتى يكون مصير أحفادنا أن يعملوا في الحقول لاطعام اليهود في حين يظل اليهود في البيوتات المالية يفركون أيديهم مقنطين. اننى أحذركم أيها السادة ، أنكم إذا لم تبعدوا اليهود نهائيا فلسوف يلعنكم أبناؤكم وأحفادكم في قبورهم.إن اليهود لن يتخذوا أمثالنا العليا ولو عاشوا بين ظهرانينا عشرة أجيال فإن الفهد لا يستطيع إبدال جلدة الارقط، إن اليهود خطر علي هذه البلاد إذا ما سمح لهم بحرية الدخول. انهم سيقضون على مؤسساتنا وعلي ذلك لا بد ان يستبعدوا بنص الدستور" وعلى الرغم من تحذيرات الزعيم الأمريكي " فرنكلين" الواضحة والقوية للمواطنين الامريكين عام ١٧٨٩م الا ان اليهود بأساليبهم الاحترافية المعروفة استطاعوا التدفق على الولايات المتحدة منذ ١٨٨١م . وقبل مرور مائة سنة على ذلك التحرير كان اليهود الروس اجتاحوا الأراضي الأمريكية باتباع كل الطرق الملتوية

واحترفوا كل أركانها مع نهاية القرن العشرين فسيطروا على الولايات المتحدة بكاملها اقتصاديا وسياسيا وعسكريا من خلال السرد التالي [٨] :

١٨٨٥ : أول غزو ونفوذ يهودي للسيطرة علي المسرح ومن ثم باقي الفنون من صحافة وأعلام وموسيقي وسينما ... الخ .

١٨٩٩ : محاولات اليهود حذف كلمة " المسيحي " من لائحة حقوق الإنسان التي أعدتها ولاية فيرجينيا .

١٩٠٥: تأسيس منظمة " حلقة العمال " في نيويورك علي يد مجلس الطائفة اليهودية لكي يتم التسلل الى النقابات غير اليهودية .

١٩٠٦ – ١٩٠٧ : إرسال يهود أو كلاهما بعريضة الي المؤتمر السنوي الدستوري للولاية احتجوا فيه علي استعمال كلمة " المسيحي " في الدستور الجديد للولايات المتحدة ، وتمكن اليهود في نفس السنة من إرغام مدارس ولاية تكساس علي إسقاط روايةتاجر البندقية للكاتب الإنجليزي المشهور وليام شكسبير من برامجها التدريسيه وذلك لما جاء فيها من وصف لهم .

١٩٠٦ : تأسيس اللجنة اليهودية الأمريكية " ايباك " .

١٩٠٧ – ١٩٠٨ : تقديم طلبات عامة من اليهود لعلمنة المنظمات العامة كجزء من مطالبته اليهود بحقوقهم الدستورية ،ومسارعة الحاخامات اليهود في الحملة علي بيان قاض المحكمة العليا برووار الذي قال إن هذه البلاد مسيحية .

١٩٠٨ – ١٩٠٩ : عملت الطائفة اليهودية في تاماجواد بنسلفانيا علي إحباط القرارات التي اتخذت لقراءة الإنجيل يوميا في المدارس ، ومقاطعة اليهود التجار في نيويورك الذين يزاولون أعمالهم السبت ، محاولات إدخال فكرة عطلة السبت في الأعمال التجارية العامة .

١٩٠٩ – ١٩١٠ : الدعوة الى إدخال فكرة العطل اليهودية في الحياة العامة.

١٩١٠ – ١٩١١ : تمكن اليهود من إسقاط " تاجر البندقية " من البرامج التدريسية في هارتفورد .

١٩١١ – ١٩١٢ : طالب اليهود في باسابيك " نيوجيرسي الهيئة التدرسية بالتوقف عن قراءة الإنجيل وأناشيد الميلاد في المدارس .

١٩١٢ – ١٩١٣ : موافقة مجلس التعليم في شيكاغو بعد هياج شديد من اليهود برفع عيد الميلاد من قائمة الأعياد الرسمية العامة في المدارس.

١٩١٤ – ١٩١٥: بذل مجلس الطائفة اليهودية في نيويورك محاولات عديدة لضمان تعديل قوانين الأحد .

١٩١٥ – ١٩١٦: معارضة اليهود لحركات متعددة ترمي الى جعل المدارس حرة في استعمال الإنجيل.

١٩١٧ : دخول البرتوكولات اليهودية مع الجيش البريطاني مدينة القدس .

١٩١٩ – ١٩٢٠ : نجاح مجلس الطائفية اليهودية " الكهيلا " في نيويورك في حملته طلب المعلن اليهودي مساعدا يهوديا في حين لم يكن في وسع أي معلن غير يهودي أن يطلب مساعدا غير يهودي .

البرنامج اليهودي العام في كل مكان الآن يتلخص في[٩] :

١ – تثبيت أقدامهم في مناحي الحياة .

٢ – تحطيم كل ما هو غير يهودي أو مناوئ لليهود

٣ – تمجيد اليهودية في جميع مظاهرها .

ويقوم هذا البرنامج علي :

١ – الغاء الصلوات المسيحية.

٢ – الغاء روايات شكسبير من المدارس العامة .

٣ – إقامة محاكم يهودية في الأبنية العامة .

فالعلمنة هي الخطوة الإعدادية للتهويد .

١٩٤٩– تآمر الصهيونية على وزير الدفاع الأمريكي "جيمس فورسنال" في عهد الرئيس الأمريكي "هاري ترومان" وقد جاء هذا التآمر نتيجة وقوف الوزير فورسنال ضد الاعتراف بإسرائيل الذي أعلنه صراحة ولأول مرة الرئيس الأمريكي "هاري ترومان"، ولم يقف أمام ذلك الاعتراف سوى وزير الدفاع الجنرال "جيمس فورسنال" حيث عارض الرئيس ترومان في تأييد قيام إسرائيل في قلب الوطن العربي

، وكان السبب في ذلك هو اهتمام فورسنال بقضية فلسطين والتي اتخذ منها موقفا معارضاً لموقف حكومته، وكان فورسنال يدعو الحكومة الأمريكية الى توثيق الصداقة مع الأقطار العربية، والا توافق الولايات المتحدة على قرار تقسيم فلسطين وإقامة الدولة الصهيونية ، فبدأت بعد ذلك حملات الضغط تمارس على"فورسنال" وبدأت معها المؤامرات ضده، وانهالت عليه التحذيرات من كل جانب ليكف عن ذلك ،الا أنه استمر على موقفه المبدئي . ولم تيأس الصهيونية حينما وجدت أن الوعيد لم يجد نفعاً ، فبدأت بنشر الشائعات حوله واتهامه بالإرهاق العصبي لدفعه الى الاستقالة، واتهامه كذلك بعدم القدرة على إدارة وزارة الدفاع ، ولم تهدأ تلك الشائعات الا بعد أن قدم استقالته في مارس عام ١٩٤٩م ، أي قبل أن يكمل فترة الستين عاماً ولكن فورسنال استمر في نشر مذكراته وفي القاء المحاضرات التي تفضح مخططات الصهاينة ، ومن بينها المحاضرة التي ألقاها في جامعة "برستول" حيث كانت محاضرته حول ضعف الحكومة الأمريكية وصعوبة رسم وتنفيذ سياستها بسبب التغلغل الصهيوني. وكانت هذه المحاضرة السبب الذي دفع عملاء الصهيونية الى اتخاذ قرار التخلص منه نهائيا، وقد كان ذلك في منزله حيث تم بواسطة دفعه الى السقوط من نافذة مطبخه في الدور السادس، ووقع "فورسنال" الى الأرض ولقي حتفه ، والغريب في الأمر أن التحقيق اختتم بالقول إن الحادث كان قضاءً وقدرا .

٩ إبريل ١٩٤٨ : مذبحة دير ياسين (وهي قرية فلسطينية قرب القدس)

١٨ سبتمبر ١٩٨٢ : مذبحة صبرا وشاتيلا (إسمين لمنطقتين فلسطيني في بيروت العربية .

١٩٤١: إن رغبة النازيين بالتخلص من يهود أوروبا تلاقت مع رغبة الصهاينة في جذب اليهود الأوروبيين الى فلسطين ،

١٠ مارس ١٩٤٨ : لقد وضع اليهود خطة استراتيجية جديدة لم يعد هدفها مقتصراً علي التخويف بل اصبح موجها لدفع السكان وإرغامهم علي (النزوح) ضمن مشروع داليت الشهير الذي أعدته الهاغانا .

١٩٥٠ – ١٩٥١ : نفذت الاستخبارات الإسرائيلية في بغداد عمليات قتل تمت بالاتفاق مع بعض شخصيات من السلطة العراقية الحاكمة ولم

تكن ضحاياها سوي اليهود العراقيين ، وكان هذا هو مفهوم بن غوريون للأمن إسرائيلي .

١٩٥٠: القيت في مارس قنبلة علي مقهى الدار البيضاء حيث كانت تلتقي الشبيبة اليهودية المثقفة والتي لم تسفر بمعجزة عن جرح أحد.

١٩٥١ : القيت القنبلة في يناير ١٩٥١ علي كنيس مسودا سمتوف والتي قتلت عجوزا وجرحت شابين قامت بالقائهما عناصر الاستخبارات الإسرائيلية بإشراف عملاء أرسلوا خصيصاً من فلسطين بهدف تخويف الجالية اليهودية وإشعارهم بعدم الأمان في العراق، وبالتالي لايجدون أمامهم سبيلاً سوي الهجرة الى إسرائيل .

١٩٧٧ : كتب الصحفي نادل العضو السابق في منظمة شتيرن مقالاً في صحيفة يديعوت أحرونوت أن مردخاي [٩] بن بورات (رئيس جمعية اليهود القادمين من البلدان العربية) كان المنظم الأساسي للعمليات الإرهابية المعادية لليهود التي جرت في العراق من ١٩٥٠ – ١٩٥١ وكانت هذه العلميات تشكل منعطفا ليس من ناحية الوسائل، بل كذلك من ناحية الخطط والأهداف بهدف التأثير على اليهود وتخويفهم فإنها تضرب اليهود العراقيين من أجل إنقاذهم إن إسرائيل تتخفى وراء قناع العدو وتحرص علي إنجاح الدور الذي تفترضه لاستراتيجيته .

إن إزدواجية الرؤيا لعبت دورا بارزاً ورويداً رويداً اخترقت وسائل الإعلام لطمس الكفاح الفلسطيني في محاولة لتحويل انطباعات الناس عن الحقيقية حتى اصبح معظم الناس مهيئين للاقتناع بان العرب هم من يسعون الى العنف ولكن سجلات الصهيونية حول لجوئها الى العنف بغض النظر عن نتائجه أحيط بسرية تامة لمعرفته من الجميع .

١٩٤٠ : وفي أيام الانتداب البريطاني على فلسطين قام الصهاينة بتصفية بعض اليهود الذين لم ينصاعوا لأوامرهم ، فكانت تلك القصة شاهداً على أن فكرة الإرهاب الصهيوني متجذرة في صميم إيديولوجية هذه الحركة ،إذ لامجال للصفح ولا للعفوعندها حتى عن اليهود المخالفين لهم، فالرحمة

عندهم تضر بالمصالح الحيوية .ففي ٢٥ نوفمبر ١٩٤٠ رفض بعض اليهود النزول من السفينة التي حملتهم الى فلسطين وفضلوا الهجرة الى أوروبا، فتم تفجير السفينة باتريا بمن فيها من اليهود في ميناء حيفا وقتل ٢٧٦ مهاجرا يهودياً ثم القيت المسؤولية يومها علي البريطانيين، ولم يكتشف سر ذلك الا بعد عشر سنوات حيث تبين أن عصابة الهاغانا الصهيونية إتخذت قراراً بعدم السماح لياتريا مغادرة حيفا بحجة أنه لا يجوز طرد اليهود من بلادهم "إسرائيل" الذين رفضوا النزول فيها ،وحينما أصر الركاب على قرار المغادرة تمت مؤامرة تصفيتهم فابلغوا بانهم سيعودون من حيث أتوا، وفجأة سمع دوي انفجار تبعة موتهم . وقد كان مشهداً مروعاً والناس يسمعون صراخ اليهود الذين غدر بهم الصهاينة يرتفع ، وهم يشاهدونهم يلقون بانفسهم في الماء ،وقد تكرر نفس المشهد بعد ذلك بخمسة عشر شهراً حينماً انفجرت الباخرة ستروما في البحر الأسود وقتل في هذا الحادث الذي دبره الصهاينة ٧٦٩ مهاجرا يهودياً ، وقد وصفت الوكالة اليهودية هذا العمل بأنه قمة التضحية بالذات .

١٩٤٤ تم اغتيال اللورد البريطاني موين في القاهرة وتم اكتشاف منفذي الإغتيال فأصدرت المحكمة المصرية حكمها بالإعدام علي الشابين الإسرائيليين اللذين ارتكبا تلك الجريمة، وهما الياهو حكيم وحكم ١٧ عاماً والياهوبتزورى ٢٢ عاماً ؛ ونفذ الحكم فما كان من بن غوريون الا أن قدم احترامه الكلي للمواطنين اللذين إعدما ،وكانت ردة فعل ونستون تشرشل عنيفة عندما عام بالحقائق فوصف العملية بالجريمة المخزية ، وقال:"أعلن صراحة أنه إذا كانت أحلامنا التي بنيناها علي الصهيونية ستنتهي بدخان بارود الاغتيالات ، وإذا كان كفاحنا من أجل مستقبلها ستحصده عصابة لصوص وإرهاب فإنني سأضطر لإعادة النظر بمواقفنا.

فبعد ثورة يوليو عام وفي عام١٩٥٢ ، كانت العلاقات جيدة بين عبد الناصر وأمريكا، وأثمر ذلك التعاون عن الكثير من الاتفاقات الاقتصادية والثقافية حتى ساد اعتقاد بأن أمريكا ستحاول بناء السد العالي ، وبالفعل فقد خصصت الإدارة الأمريكية

لمصر مساعدة مالية قدرها ٥٠ مليون دولار، وهذا ما إعتبرته الزعامةالصهيونية نذير شؤم عليها ويضر بالمصالح الإسرائيلية السياسيةوالمادية إذ أنه سيخفض قيمة المعونات التي ستصب في الخزانة الإسرائيلية

ولم يكن النفوذ الصهيوني في أمريكا آنذاك قد بلغ أوجه ، فلجأت الصهيونية الى اسلوب آخر هو تعكير العلاقات بين مصر وأمريكا ، فأقدمت علي إرسال عملائها المدربين الى مصر بمهام عديدة منها القاء القنابل علي المؤسسات الأمريكية وقتل مواطنين أمريكيين بهدف تدمير العلاقة الجيدة بين مصر وأمريكا قنابل ،فزرعوا قنابل صغيرة علي شكل كتب في مكتبات المركز الأمريكي للمعلومات بالإسكندرية والقاهرة ، والقوا قنابل أخرى مشابهة وضعت في مسرح مترو غولدن ماير والأبنية العائدة لمواطنين أمريكيين ، الا أن أجهزة الأمن المصرية استطاعت اكتشاف مدبري المؤامرة ، وقد كانت هذه الحوادث الإرهابية ضد الأمريكان كافية لتقويض العلاقة بين أمريكا وإسرائيل ، ولكن الإدارة الصهيونية كانت قد أعدت لكل شييء عدته فتظاهرت بالإنزعاج والتبرؤ مما حدث وحاول شمعون بيريز وموشي دايان القاء مسئولية ما حدث في مصر علي عاتق " لافون" بشكل شخصي ، ثم تقدم بنحاس لافون باستقالته من منصب (وزير الدفاع) عام ١٩٥٥ ، أما بن غوريون فقد حاول جاهداً عدم إعادة فتح ملف القضية ، ولكن عبد الناصر بادر بكشف تفاصيل هذه المؤامرة وتم القبض علي اليهود المشاركين فيها مما أدي ذلك الى أزمة وزارية في إسرائيل ووجدوا لها مخرجاً باستقالة بن غوريون عام ١٩٦١ ، وكانت نتيجةهذه المثابرة الصهيونية استمرار العلاقات الأمريكية الإسرائيلية وبشكل أقوي من ذي قبل ، واستخلاص وسائل صهيونية تلجم السياسيين الأمريكيين من إلقاء اللوم على إسرائيل مهما كانت الأسباب .

١٩٦٣ : تمكن الياهو كوهين من الانخراط في الحياة الاجتماعية والسياسية بدمشق واصبح من المقربين للجنرال أمين حافظ ،ومن خلال اتصالاته تمكن من الاطلاع علي نوعية وعدد وأماكن وجود الأسلحة السورية الحديثة، كما تمكن من الاطلاع علي خطة الحكومة السورية لتحويل مجري نهر بانياس أحد الروافد الرئيسة لنهر الأردن . وبعد ان إنكشف أمر الجاسوس كمال

أمين ثابت (الياهو كوهين) تم الحكم عليه بالإعدام فقامت قيامة الصحافة الصهيونية في الغرب ووصفت حكم الإعدام علية بالجريمة النكراء ، وتحول الجاسوس الى شهيد ولم تعتبر فعلته التي ساهمت في إحراز النصر لإسرائيل عام ١٩٦٧ عملاً إجراميا بل اعتبرته الصحافة الصهيونية الأمريكية بطلاً ، فقال مراسل ارتس رافايل روشتاين : كانت مرتفعات الجولان مسرحاً للدبابات الروسية ومواقع تحصين ولكنها اليوم صارت أماكن سياحية ، كل هذا الفضل يعود لكوهين البطل الصامت الذي لا يجب أن ينسي(١١)

٢٤ سبتمبر ١٩٧٢ في الصنداي تايمز في هذا العدد ركزت الصحيفة كيف بدأت إسرائيل الإرهاب بواسطة البريد يتضح من المقال بان الصحيفة حملت إسرائيل المسئولية الكاملة وذلك لأنه لم يسبق لمنظمة أيلول الأسود أو لأية منظمة فلسطينية أخرى إن فعلت شيئا الا وأعلنت مسئوليتها عنه حتى مأساة ميونيخ تحملت المنظمة مسئوليتها فهل يعقل إذن الا تتحمل مسئولية الرسائل المفخخة باستثناء الرسالة الأولى التي تسببت بمقتل دبلوماسي إسرائيلي عام ١٩٧٢ في مكتبة بلندن وهي خطأ علي ما يبدو وأخري مرسلة من الهند تسبب في جرح يهودي (فيفيان برنسيز) فكل الرسائل كان مصدرها أوروبا موجهة الى شخصيات يهودية في أوروبا وأمريكا اكتشفت سلفا أو تبين أنها غير مفخخه في المقابل نري الرسائل التي وجهت لشخصيات عربية وفلسطينية انفجرت وتسببت بمقتل أو جرح الأشخاص المقصودين.

وهنا تجدر الإشارة الى أن الفلسطينيين (١٢)قادرون علي إحكام الا فخاخ داخل الرسائل مما يعني إن أسباب عدم الانفجار في الرسائل التي وجهت للشخصيات اليهودية في العالم لم تكن فنية بقدر ما كانت مقصودة ومتعمدة .

١٩١٠ : استطاع العالم الكيميائي السويدي مارتين اكنبيرج اختراع الرسائل الملغومة قبل انتحاره في سجن لندن عام ١٩١٠ ومنه تعلم الإرهابيون الصهاينة خاصة منظمة شتيرن والارغون هذا الأسلوب ونقلتاه الى الشرق .

١٩٤٧ : شهد موجه من الرسائل الملغومة وجهت إلى شخصيات بريطانية كان يعتقد أنها غير متعاطفة مع الصهيونية وأهدافها .

ومما سبق نجد إن المسئولين الأمريكيين [١٣] تعودوا النظر الى إسرائيل علي أنها الولد الصالح والي العرب علي انهم الولد الضال ونري العكس تماما أيضا حين تسخر لإسرائيل جميع أجهزة الدولة ووسائل الأعلام لتبريرأفعالها وإعطائها صفة المشروعية ، ولا شك إن الغضب هو الدافع الأساسي الذي دفع بإسرائيل لمقاومة الإرهاب وعلي الجانب الأخر نجد نايف حواتمه (رئيس الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين) يتحدي الحكومة الإسرائيلية علنا فتح ملف معالوت ومنافسة صراحة ليتعرف العالم علي المسئول الحقيقي عن الذي حدث .

٥ سبتمبر ١٩٧٢ حادثة ميونيخ قيام فدائيين فلسطينيين بمهاجمته المدينة الأولمبية والقبض علي ٩ لاعبين إسرائيليين كرهائن .

ماذا فعلت الصهيونية باليهود وماذا قال اليهود عنها:

ينقل الى ص٢٢٧ من كتاب يهود ضد اسرائيل للكاتب ياسر حسين مركز الحضارة العربية القاهرة ص١٧ ١٩٩٧يقول الكاتب اليهودي ليني برينر في كتابه الصهيونية في زمن الدكتاتورية " لم تكن الصهيونية أبداً مطابقة في امتداده لا لليهودية ولا للشعب اليهودي فالأغلبية الساحقة من ضحايا هتلر لم يكونوا صهاينة ، كما أن أغلبية اليهود في بولندا مقتوا بشدة سياسات مناحيم بيجن عشية الحرب العالمية الأولى .

ص ١٨ لينين كان حاضراً في اجتماعات بازل الصهيونية عام١٨٩٧

ص٢٠ يقول راثنو كان مستشار المانيا الذي وقع في عشرينات القرن العشرين معاهدة فرساي التي رفض إثنان من مستشاري المانيا قبله التوقيع عليها وكان يهودياً فحقد الألمان على اليهود واغتاله احد الألمان لشعورهم بظلمها لهم

ص ٢٣ ليلة الزجاج المحطم ١٩٣٨

ص٢٣ حينما زار بيغن أمريكا عام ١٩٤٨ بعث العالم اليهودي اينشتاين والمؤرخة اليهودية حنا ارندت برسالة إلى صحيفة نيويورك تايمز يقولون فيها إن من بين الظواهر المقلقة في زماننا هو ظهور حزب الحرية" حيروت" في دولة إسرائيل ، فهو حزب مرتبط بشكل وثيق في تنظيمه ومناهجه بالنازية والفاشية ورفض أينشتاين عرضاً بأن يتولى بموجبه الرئاسة في إسرائيل

ص٢٧ يرى موشيه هيرش الحاخام الأكبر لطائفة الحراس "ناطوري" أو بالأحرى حراس المعبد "ناطوري كارتا" "علينا أن نعلم أتباعنا الدين والإيمان الذي أهملته الصهيونية باعتبارها شكلاً من أشكال العنصرية" وعلق على باب بيته لافتة كتب عليها " هنا يسكن يهودياً ،ولكن ليس صهيونياً" وقال في مناسبة أخرى" كان من الخطأ الفادح السماح بقيام هذه الدولة المصطنعة، فقد اتسعت هذه الأرض المباركة لكل من العرب واليهود ، إننا نصلي دائماً لزوال هذه الدولة الصهيونية. ورفضت طائفته الاعتراف بإسرائيل واحتجت على استخدام كلمة إسرائيل على أساس أنه يحمل مدلولات دينية لاعلاقة لها بدولة إسرائيل الصهيونية .وحينما انتصرت إسرائيل في حرب١٩٦٧ أعلنت الطائفة الحداد وطالبت بانسحاب القوات الصهيونية من الأراضي العربية المحتلة . وحينما اقترح عرفات إقامة دولة ديمقراطية في فلسطين يتمتع العرب واليهود فيها بالمساواة رحبت الطائفة بقيام دولة تمكن اليهودية من الازدهار كما كان الحال أيام الحكم الإسلامي لإسبانيا . وقد لاقى أفراد هذه الطائفة شتى أنواع الاضطهاد من الصهاينة ولكنهم لم يتزحزحوا عن مواقفهم .وموقفها هذا شبيه بموقف طائفة أخرى اسمها "أجودات إسرائيل" إذ أعلنت هذه الطائفة بعد أيام من إنشاء إسرائيل أن الصهيونية تشكل خطراً روحياً ومادياً على شعبنا اليهودي" ويمثل هذه الطائفة حزبها الذي يحمل اسمها والذي أسس عام ١٩١٢ ولكنه أعلن أنه على الرغم من أن التعاون مع الصهيونية سينزل غضب الرب على الوطن القومي اليهودي ويعيق عودة المسيح لكنهم شاركوا في الحكومات الإئتلافية الإسرائيلية .

ص ٤٦ وفي الخمسينيات من القرن العشرين كتبت الكاتبة اليهودية دورتي تومسون تقول:" هؤلاء اليهود الذين ادعت الصهيونية أنها أنقذتهم من اضطهاد العرب في العراق يجلسون الآن على ضفاف نهر الأردن يذرفون الدموع السخية على أيامهم الزاهرة في العراق"

ص ٥٩ وتتساءل الباحثة اليهودية الأمريكية روبرتا شتراوس في كتابها" مصير اليهود" عن اليهودية أهي ديانة أم قومية أم حضارة أم دولة ؟ ومن هم اليهود ؟ هل هم جنس أم شعب أم سلالة عرقية ؟ من أين جاؤوا وكيف انتشروا في العالم ؟ وكيف أصبحوا ملوكاً في الغرب الرأسمالي وفي نفس الوقت أصحاب نفوذ في المجتمع

الشيوعي ؟ لقد كون اليهود ثروات ضخمة عبر التاريخ من الربا وتجارة الرقيق ، وفي نفس الوقت ينادون بالقيم والأخلاق .فكيف تستقيم هذه المتناقضات وتنضوي في إطار واحد؟

العبرانيون [١٤]هم أبناء سيدنا إبراهيم الذي عبروا الفرات باتجاه فلسطين ،وقد سماهم سكان فلسطين القدماء العرب اللخميون بالعبرانيين كناية عن ترحالهم من مكان إلى آخر.

اليهود هم كل من انتسب إلى اليهودية بصرف النظر عن الوطن الذي يعيشون به أو اللغة التي يتحدثون بها أو الجنس الذي ينتمون إليه . وأساس التسمية كما وردت في القرآن الكريم التوبة والعودة إلى الحق مصداقاً لقوله سبحانه وتعالى "إنا هدنا إليك"،وكذلك أما سياسياً فإنها تعني الإنتساب إلى مملكة يهوذا التي استمرت حتى عام ٥٨٦ ق.م.

الإسرائيليون والمقصود بها المنتمون إلى مملكة إسرائيل التي قامت عام ٩٢٣ ق.م. بعد أن هزموا سكانها العرب اليبوسيين ، ولكن تلك المملكة انتهت عام٧٢٢ ق.م. على يد الأشوريين أما في وقتنا الحاضر فقد عادت تلك التسمية إلى الظهور مرة ثانية في القرن العشرين لتطلق على الدولة التي تم تأسيسها بناءً على قرار من الأمم المتحدة بعد احتلال فلسطين .

هذه الحركة الصهيونية التي استوحت أيديولوجيتها من اجداد لها عاشوامن قبل ظهورها وشوهوا رسالات بعض انبياء الله فتقولوا على هؤلاء الأنبياء الأصفياء الأخيار والصقوا التهم بالباطلة ضدهم وضد رسالتهم السماوية من بنى إسرائيل في أشخاصهم ورسالاتهم وأدوارهم وتاريخهم ومن هؤلاء الأنبياء والرسل كل من إسحق ، يعقوب ، يوسف ، موسى ، هارون ، داود وسليمان عليهم السلام أجمعين ، وقتلوابعضهم الآخر من هؤلاء الأنبياء الذين نالهم هذا الأذى المعنوي وأما القتل المادي فهو إزهاق الأرواح والتخلص الشرير من وجودهم، وقد ذاق فريق كبير من أنبياء بني إسرائيل من هول هذه الجريمة على طول تاريخهم خاصة في الفترة التي أعقب رحيل نبيهم الكريم "موسى عليه السلام".

ومما يثير الدهشة أن هؤلاء الأنبياء كانوا من قوم بني إسرائيل أنفسهم وكذلك لم يسلم من تلك الجرائم المعنوية بعض الأنبياء من غير بني إسرائيل مثل لوط وكل من عيسى ومحمد عليهم السلام،خاصة عيسى ابن مريم عليه السلام الذي ناله وأمه الأذى الكثير بل وتعداه من الجانب المعنوي الى الجانب المادي أيضاً .

ولاشك أن الرجوع الى سيرة هؤلاء الأنبياء بالتفصيل وفق ما جاء بالكتب المقدسة وكتب التفاسير والتاريخ الديني سوف يوضح لنا ذلك بشكل كبير .

والتاريخ ملئ بالحكايات التي تصور لنا كيف كان حال هؤلاء اليهود في أوروبا في العصور الوسطى في ظل حالة اضطهاد كامل عقاباً لهم على مواقفهم السابقة من المسيح ورسالته .

ومع مرور السنوات والعصور والقرون عادت الأحلام تداعب عقول اليهود من جديد لأجل محاربة الإسلام والمسلمين وقد انتهزوا لتحقيق ذلك فرصة ما أصاب الدولة الإسلامية من ضعف بسبب عوامل كثيرة. وجاءت بدايات العصر الحديث لتؤكد أن هذه الأحلام لازالت تطفو فوق صدور اليهود، وتعمل عقولهم دائماً على تحقيقها ، وقد تجلى ذلك بوضوح في عدة صور بدءا من مشاركتهم فى الحروب الصليبية ضد الإسلام ، ومروراً بالعديد من الأحداث التاريخية التي بدأت تهز كيان العالم هزاً عنيفاً مع مطلع القرن التاسع عشر، خاصة التي صاحبت حركات الاستعمار الأوروبي والاستيلاء على مقدرات بعض دول الإسلام وهم بذلك قد دخلوا الى المرحلة الثانية من حربهم ضد الإسلام والمسلمين بل وضد الإنسانية كلها .

أما حكاية التآمر لدى الصهاينة فتتعلق بتاريخهم المبني على التجسس وعلى مبدأ "*الغاية تبرر الوسيلة*" في سبيل مصالحة الشوفينية والعنصرية وهم لا يتورعون عن ارتكاب كافة الموبقات في تحليل كل محرم ومكروه والتجسس والخديعة وهم عندما يتطلعون الى الوصايا العشر ، يفسرونها تفسيراً خاصاً وقاصراً عليهم ، فسرقة أو قتل اليهودي حرام وما عداه لا شيء فيها، وهكذا الحال في كل الجرائم التي تحرمها كل الشرائع السماوية والدنيوية.

إن التجسس كنشاط مخابراتي قد وضعه الصهاينة في خدمة كل حاكم لهم مصلحة لديه ، وهم يتجسسون لحسابه حتى وإن كان في ذلك أذى لبعضهم ، وقد

عرضوا خدماتهم على "نابليون" وعلى النازية فى المانيا والفاشية في إيطاليا ، كما قدموها للإنجليز والفرنسيين والولايات المتحدة الأمريكية منذ مؤازرتها لهم وحتى الآن ، ذلك أن التجسس أصبح مع الزمن طبيعة في نفس كل صهيوني لا يستطيع منها فكاكاً، وكان "هرتزل" أبو الصهاينة في العصر الحديث مثالاُ بارزاً على تقديم تجارة الخدمات وعرض الخبرات التجسسية لكل من يشتري .

ومن أهم المصادر لجمع معلوماتهم:

- المؤسسات والهيئات غير السياسية كالجمعيات الخيرية والإنسانية والثقافية التي تدخلها الصهيونية.
- استعمال مراكز السياحة في دول العالم وبصفة خاصة دول الغرب كبؤر للتحرك والعمل للتجسس.
- السفارات والقنصليات الصهيونية في جميع أنحاء العالم عبارة عن أوكار للتجسس والمخابرات قبل أن تكون مقاراً دبلوماسية ، وخير دليل عل ذلك نشأة الموساد الأولى كأحد أقسام وزارة الخارجية الإسرائيلية تحت رئاسة ضابط المخابرات "ساسون".
- المعلومات والتقارير التي تجمعها المخابرات الصهيونية في الداخل وفي الخارج عبر العملاء والجواسيس والاجتهادات الشخصية في تعقب الأشياء مهما تكن تافهة وغير ملفتة للنظر .

وفي دراسة حديثة [١٥] لـ (ستيفن والت الأستاذ بجامعة هارفارد، وجون مارشيمر أستاذ العلاقات الدولية بجامعة شيكاجو) يؤكد المؤلفان أن إسرائيل ليست حليفاً أميناً لواشنطن فهي تحرج السياسة الأمريكية بسبب سياستها العدوانية تجاه الفلسطينيين وتوسعها المستمر داخل الأراضي الفلسطينية المحتلة وتجسسها على الولايات المتحدة نفسها (قضية بولارد وإيباك) وتسريبها معلومات أمنية مهمة للصين، وخلص المؤلفان الى القول إن إسرائيل أصبحت عبئاً استراتيجياً على الولايات المتحدة، ومع هذا فإن عهد سطوة اللوبي الإسرائيلي داخل أمريكا لن يغرب قريباً.

لم يجرؤ أحد في فرنسا غير الجنرال "ديجول" على أن يقول صراحة أن "في فرنسا جماعة ضغط قوية موالية لإسرائيل، وهي تمارس نفوذها في وسائل الإعلام على وجه الخصوص"، وقد كان هذا التأكيد في حينه ينطوي على قدر من الحقيقة لا يزال صائباً حتى اليوم ، ومنذ ذلك الحين وما من مرشح للرئاسة الفرنسية أياً كان الحزب الذي ينتمي اليه الا وذهب الى إسرائيل ملتمساً الدعم الإعلامي .

وتعد الرابطة الدولية لمناهضة العنصرية [١٦] ومعاداة السامية"، مركز قيادة جماعة الضغط هذه والتي بلغ نفوذها الإعلامي حداً يتيح لها أن تتلاعب بالرأي العام كيفما تشاء .

واليهود في بريطانيا . يحركون ساستها وإعلامها.

ويقدر عدد اليهود في بريطانيا عام ١٩٩٩ بنحو نصف مليون نسمة فقط ورغم ذلك فإنهم يملكون قوة تأثير ضاغطة جداً على اتخاذ القرار الإنجليزي في القطاعات السياسية والاقتصادية والعسكرية ووسيلة اليهود في ذلك هي بسط نفوذهم وسيطرتهم على الدوائر الإعلامية بالإضافة الى قدرتهم في التأثير على أجهزة المخابرات والمعلومات .

إن الصهاينة هم أول بني الإنسان احترافاً لمهنة التجسس أو الأعمال المخابراتية ، فالغاية تبرر الوسيلة، والغاية لديهم بناء دولة كبيرة تضم العالم أجمع حتى يعود ملك داود من جديد وفي سبيل ذلك تتعدد الوسائل من تجسس ومؤامرات لذلك فقد سبق قيام دولة إسرائيل في الأراضي العربية المغتصبة في فلسطين أن سعت الصهيونية الى تأمين وجود إسرائيل قبل الإعلان عن قيامها بسياج من منظمات العمل المخابراتية في كل مكان ومجال .

إن جذور ودوافع العدوانية لدى الشخصية الصهيونية الإسرائيلية تجاه الجنس البشري تتضح في استلهام الروح العدائية في التراث الديني اليهودي ونصوص العهد القديم والتلمود وما فيها من أسفار تعلن العداء للإنسانية. فالصهيونية كفكر وسلوك موبوءة بالتعصب العنصري والديني واضطهاد الشعوب والتنكيل بها أمر واجب في سبيل تحقيق دولتهم.

يميل بعض الباحثين الى تصنيف الصهيونية باعتبارها حركة يهودية والى اعتبار أن جذور الرؤية الصهيونية للعالم يهودية، وذلك استناداً الى الادعاءات والتصريحات الصهيونية والغربية.

كما يذهب دعاة التغريب الى أن الصهيونية، شأنها شأن النازية والعنصرية والداروينية .... الخ – انحراف عن الحضارة الغربية التي تتسم بالإنسانية والديمقراطية، ولكننا لو أمعنا النظر في توصيف الحركة الصهيونية من خلال سياقها التاريخي وإطارها الثقافي لأدركنا أنها تعبير مباشر ومتبلور عن النموذج الغربي الحديث.

إن الحضارة الغربية الحديثة هي التي أفرزت الإمبريالية والنفعية الدروانية والنازية والصهيونية، وأن النازية والصهيونية يمثلان تيارين أساسين من الحضارة الغربية بدليل أن الغرب يحاول تعويض اليهود عما لحق بهم على يد النازيين بإنشاء الدولة الصهيونية .

ولذا فليس من المستغرب أن نجد مجموعة من الأفكار المشتركة بين النازية والصهيونية كفكرة النقاء العرقي والقومية العضوية (الشعب المختار) وتقديس الدولة، كما يستخدم النازيون والصهاينة الخطاب الداروينى المبني على تمجيد القوة.

ثم مضوا بعد ذلك في سياسية تهدف الى إنشاء وطن قومي لهم، وبداية ظهورها عام ١٨٩٧ مع بعث اللغة العبرية وإحياء الثقافة اليهودية.

وعلى الرغم بأن ذلك في الواقع يعد ذروة الفشل غير أنه لا ينفي أن الصهيونية قد حققت بمثابرتها على الباطل عدداً من النجاحات في ثلاثة أمور جوهرية.

فقد نجحت الصهيونية أولاً: في تحويل روح التكتل الطائفي الديني للأقليات اليهودية الى أيديولوجية سياسية مستترة بالدين تهدف الى تأسيس "وطن قومي" ودولة يهودية، وبذلك تخرج اليهود من المرحلة الطائفية القابعة داخل أحياء "الجيتو" الى العالمية السياسية والاستعمارية.

ونجحت الصهيونية ثانياً في إلتحام مصالح البرجوازية اليهودية بالبرجوازية الأوروبية، وأوهمت أيضاً الليبرالية الجديدة ، وبخاصة النخب المثقفة في البلدان الأوروبية بأنها حركة تجديدية ذات أيديولوجية علمانية مستقلة .

ونجحت الصهيونية أخيراً في تأسيس الدولة اليهودية وتقديمها للرأي العام الغربي على أنها امتداد للمشروع الغربي في الشرق الأوسط ، وأنها تمثل واجهة الديموقراطية والتقدم في محيط متخلف اقتصادياً وتقنياً وتحكمه نظم استبدادية !

غير أنه بالرغم من هذا النجاح الذي حققته الحركة الصهيونية فقد حمل المشروع معه نقاط ضعف تتمثل في:

٢- تأسيس دولة على أسس أيديولوجية دينية ذات طابع أسطوري، وهي أيديولوجية لا تستطيع أن تعيش الا بحماية قوة عسكرية غاشمة.

٣- إذكاء الروح العنصرية بين يهود النخبة المنحدرين من أصول أوروبية ويهود الدرجة الثانية المنحدرين من أصول شرقية وإفريقية.

٤- الطابع العسكري التوسعي للدولة اليهودية.

ويرى عبد الوهاب المسيري أنه مما يزيد من تفاقم أزمة الفكر الصهيوني:

- أن الفكر الصهيوني فكر اختزالي يتجاهل معطيات الواقع سواء كان الأمر يتعلق بواقع أعضاء الجمعيات اليهودية في العالم أم واقع الفلسطينيين العرب.
- العقيدة الصهيونية (أيديولوجية) فاشية نسق عضوي مغلق يخلق القداسة على الأرض (أرض الميعاد) والشعب (الشعب المختار) وينكر الآخر (الصراع مع الإغيار والعقلية الجيتوية) ومثل هذه الأيديولوجيات تتسم بالجمود والانغلاق.
- ورغم حدوث – داخل الدولة الصهيونية وخارجها – تطورات عميقة من أهمها ظهور النظام العالمي الجديد، وتصاعد معدلات العلمنة بين يهود العالم ،فإن التجمع الصهيوني ونخبته الحاكمة مستمرون في استخدام نفس الخطاب الصهيوني القديم والمقولات القديمة للثقافة السياسية الصهيونية.
- وجود تناقضات عديدة داخل القول؟ الصهيوني ذاته فدعاة القول؟ الصهيوني لم يتفقوا فيما بينهم على الحد الأدنى بخصوص كثير من

القضـايا الأساسـية (حـدود الدولـة – الهويـة اليهوديـة مـوقفهم مـن يهـود العالم).

ولكننـا نجد أنفسنا فـي نهايـة الأمـر أمـام قوة عاتيـة هـي الصـهيونية استطاعت أن ترسـم لنفسـها أيديولوجيـة خاصـة بهـا وأن تطورهـا مـع مـرور الأيـام وأن تصـل الـى مـاهي عليـه الآن بمثابرتهـا علـى الباطـل ،بينمـا نفشـل نحـن رغـم سـمو مبادئنـا بسـبب خوائنا الأيديولوجي وضيق صدرنا واستعجالنا في جني النتائج.

العرب والفراغ الأيديولوجي :

وهكذا نجد أنه وعلى الرغم من أن العرب أمة اتسمت بمواصفات الأمة القومية وعمتها مفاهيم مشتركة وتكلمت قبائلها وشعوبها بلغة واحدة وتجمع معظم أبنائها تحت راية الإسلام، واتحدت دولها عمليا أحياناً ونظرياً في أحيان أخرى وتناسبت أسرها مع بعضها البعض من مشرق العالم العربي الي مغربه الا أن الظروف التاريخية التي أوردناها سابقاً حالت دون صياغة أيديولوجية يتفق عليها العرب لانشغال كل مجموعة عربية بتحديات خارجية وداخلية لاقبل لهم بها ،فنتج عن ذلك فوضى عارمة وتشتت في الرؤى والطموحات ،ولم تهدأ لهم هادئة تمكنهم من الإجماع على أيديولوجية واحدة، لا توجد أيديولوجية واحدة ذات أهداف مشتركة تجمع بينهم ، وبالتالي فإن معضلة أبناء هذه الأمة هي أنهم غير قادرين على بلورة ردود الفعل الموحدة لأن مآسيهم مختلفة مما أدى الى تناثر أهدافهم وربما متناقضة مما أدخلهم في معارك فعلية أو لفظية أو سياسية مع غيرهم ومع أنفسهم ، مما أدى الى إنهيارهم التدريجي الذي لا يعلم الا الله سبحانه و تعالى نهايته .

لقد كانت الفترة التي جمعت العرب هي مرحلة بداية الدعوة الإسلامية، لأن أول ما أوصى به رسولنا الكريم " التوحد حول المبادئ السامية التي جاء بها الدين الإسلامي "، وأخر ما أوصى به قوله " لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض ". فأصبح العرب ومن معهم من المسلمين يلتفون حول مفهوم أيديولوجي واحد وصفه النبي (ص) بقوله " لقد تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها .." وفي تلك المرحلة

من التاريخ، أخذت كل الفوارق بين ما هو عربي وغير عربي تنصهر تدريجيا في بوتقة واحدة هي الإسلام.

ولكن ماهو حاصل الآن أن الدول العربية أخذت بالإنقسام على نفسها بحيث اصبح بعضها يقترب من الإسلام وبعضها الآخر يبتعد عنه، الى أن وصلت كل دولة الى تكوين أيديولوجية إقليمية أو دولية خاصة بها ، وهو الأمر الذي أدى الى اختفاء الأيديولوجية الموحدة بين العرب. فنجد بعضهم قد فرضت عليه الظروف أن يتأقلم مع المستجدات الدولية مكرها ، ونرى بعضهم قد ابتعد عن الدين متحمساً لأفكار أخرى (شيوعية – ماسونية – علمانية – صهيونية) وأبقى فقط على المظهر الشكلي للإسلام مثل "تركيا" ، ونرى أنظمة حكم أجبرت شعوبها على اعتناق تلك الأيديولوجيات المستوردة.

ووجدت الأقليات العربية غير الإسلامية والأقليات الإسلامية غير العربية الموجودة في البلدان العربية نفسها أمام ضغوطات ومغريات لسلخها عن محيطها العربي والإسلامي مما أحدث عند بعضها حالة من الإرتباك والتذبذب الذي أدى الى مزيد من الإنقسامات حتى بين تلك الأقليات بين أكثرية متمسكة بانتمائها المتوارث وأقلية مستجيبة لمغريات الإنسلاخ المجهولة .

ومن الضروري أن نوضح أن أي مجموعة تتسابق مع غيرها في ركب الحضارة تسعى لتحديد أيديولوجية معينة تؤمن بها وتلتف حولها ويدخل في عضويتها من شاء أن يدخل فيكون له مالها وعليه ما عليها دون إكراه، ويخرج منهامن أراد أن يخرج دون استجداء.

أما واقع حالنا كأمة عربية فإننا نعيش بلا أيديولوجية نلتقي أو نفترق عليها، وأصبح طموحنا هو الصراع مع المستجدات اليومية من أجل البقاء كأفراد أو كجماعات أو حتى كدول ، وأما الحكماء من حكام ومفكرين فأصبحت مهمتهم استجداء غيرهم من الحكام والمفكرين والمارقين الا يخرقوا سفيتنا التي نركبها جميعاً بأي ثمن، أماجامعة الدول العربية التي كان من المفترض أن تكون محل تشاورهم واتخاذ قراراتهم ،فقد تأثرت بهذه التناقضات والاختلافات فأصبحت أقرب ما تكون الى الرمز منها الى الموئل .

ولابد لنا هنا أن نذكر أن الذين يستهدفون العرب كدول أو حكام أو شعوب يلجأن الى التعميم فيتهمون جميع الأنظمة العربية أو الحكام العرب أو الدول العربية أو العرب بلا استثناء بالتخلف وبأنهم المتسببون بما يحيق بهم من نكبات بما في ذلك من ظلم يقتضي الإنصاف توضيحه وهو أن هذا التعميم الفج يساوي بين حكام أنصفوا شعوبهم وبين آخرين ظلموهم، وبين من بددوا ثروات أوطانهم ، وبين من أحسنوا تدبيرها، وبين أنظمة الحكم الديمقراطية والأخرى القمعية ، وبين شعوب عربية ناهضة وأخرى غارقة في السطحية أو الترف ،ولكن من الواضح أن هذا التعميم المتعمد مقصود منه الإساءة الى الجميع ، فليس المهم هو الإنصاف بل المهم هو زعزعة ثقة أبناء الأمة العربية بكل حكامهم أو بأنفسهم أو بإخوانهم ومحبيهم .

وقد مر بنا كيف اختلطت مفاهيم إعادة بناء الذات عند عرب اليوم بسبب الأحداث الجسام التي مروا بها خلال القرنين المنصرمين فقد عاشوا مرحلة انهيار الدولة العثمانية ، وما تلا تلك المرحلة من رغبة في الاستقلال ، ثم عاشوا مرحلة الوعود الكاذبة التي وعدهم إياها الغرب بالاستقلال وتكوين دولة أو أكثر ينتمون اليها ويحققون في ظلها ما يصبون اليه من طموحات ،ثم مكابدتهم لمأساة تقسيم دولهم الى دويلات متعددة بما يخدم مصالح الدول المستعمرة وإنشاء دولة إسرائيل على حساب الشعب الفلسطيني وأخيراً خيبة أملهم في الانقلابات العسكرية التي طرحت شعارات الحرية والعدالة والمساواة ليكتشفوا بعدها أن محرك تلك الانقلابات والثورات هم مجموعة من المنتفعين وأن كل هذه الشعارات البراقة كانت خدعة توارى خلفها أولئك الثوريون والانقلابيون ليسيطروا على الحكم الى أبد الآبدين ، ولينهبوا ثروات أوطانهم ويعلقواعلى المشانق هامات من يعارضهم .

وقد تبين من خلال الوثائق التي بدأت تنشر حديثاً ، أن معظم هذه الثورات كانت بتدبير من الدول الاستعمارية التي لم تستطع أن تحافظ على وجودها العسكري في المنطقة العربية وغيرها من المناطق في العالم ، فلجأت الى النخب العسكرية لتحكم بالنيابة عنها ، وحينما ضاقت تلك الدول الاستعمارية ذرعاً بتلك النخب العسكرية أخذت تروج لشعارات جديدة سامية مثل الحرية والديمقراطية والمساواة والعدل، الا أن النخب العسكرية القديمة طورت نفسها فلجأت الى الانتخابات التي يطالب بها

الاستعمار القديم لتقنع ذلك الاستعمار وشعوبها بأنها ديمقراطية، وكانت تلك النخب من الذكاء بمكان فاستنسخت كل ما يمكن أن يبدوا انتخابات نزيهة الا شيئاً واحدا فقط وهو الا تكون نتيجة الانتخابات لصالحها .

وكانت النتيجة المأساوية أن الشارع العربي الحديث بدا مفككاً على نفسه ولم يعد هناك شعور بالانتماء أو الولاء لبعضه البعض كالسابق، و حل محله شعور بالانغلاق الطائفي والعشائري والأيديولوجي والحقد والكراهية والعداء ، وخير دليل على ذلك ماتعرضه المواقع الالكترونية والفضائية من تعصب أعمى للأنا الفردية والإجتماعية والحدودية ،ومؤامرات العداء المصطنع بين فئات المجتمع المختلفة ، بين الجيل القديم والجيل الجديد ، بين الرجل والمرأة ، بين الدين والسياسة، بين الروح الرياضية والتعصب الأعمى، بين اللهو البريء والإدمان على متابعة الراقصين والراقصات ، بين محاولات لم شعثنا ومؤامرات تفتيت شملنا.

وهكذا إنقسم العرب على أنفسهم أيديولوجياً وفكرياً الى قوميين وإسلاميين ويساريين وعلمانيين وشعوبيين وتقدميين ورجعيين وما الى ذلك من تقسيمات مزهقتهم وفرقتهم الى أن أصبحوا كالأخوة الأعداء ، والغريب أن تجد اتجاهاً فكريا ينادي بالديمقراطية والحرية إذا كان نظام الحكم ضد توجهاته، أما إذا وجد حكومة في فترة من الزمن تتفق مع هواه أصبح من أشد الناس ضراوة في محاربة المخالفين له بالرأي ، ومثال ذلك ماتناقلته الصحافة[١٧] عن صحيفة الحدث الأسبوعية التونسية التي يرأس تحريرها عبد العزيز الجريدي ، والذي تقول عنه مصادر صحفية بأنه صاحب توجهات ماركسية ، إذ جاء في الصحيفة مقالاً هدفه تأييد الحكومة في توجهاتها ضد لبس الحجاب ،ولكن المقال تمادى في الطعن ليثبت أن الأطروحات المنادية بالحرية واحترام الرأي الآخر هي مجرد شعارات استهلاكية يتساوى فيها المتزمتون والليبراليون ، واعتبرت الصحيفة في مقالها الذي لم يكن يحمل توقيعاً أن الحجاب دخيل على الإسلام وزي المومسات والعاهرات والوثنيين والعبيد داعياً التونسيين للتخلي عنه لأنه مصدر للأوساخ.

وعلى مر التاريخ ،بذل المخلصون من أبناء هذه الأمة– حكامًا ومحكومين جهودا جبارة في سبيل وحدة العرب ولإنقاذ أمتهم مما هي فيه من محن حتى أصبح الحرص الشديد على جمع كل العرب وحكامهم تحت كلمة واحدة بحد ذاته عنصر

ضعف يقوض جهدهم المنشود ، فلم يبق أمامهم الا التخلي عن شعارات الوحدة الشاملة وأصبح لزاماً على زعامة عربية أو مجموعة زعامات منهم أن تصيغ ايديولوجية ترى فيها الخلاص لها ولأمتها العربية مما هي فيه وذلك بالتشاورمع المخلصين من أبنائها ثم عرض تلك الأيديولوجية على من يتفق معها من الزعماء العرب ممن يتوسم فيهم الإخلاص لأمتهم ، فإن اتفقوا معهم كان بها، والا فإ ن عليهم المضي بتطبيق تلك الإيديولوجية السامية بالوسائل التي تراها مناسبة وبقدر إمكانيتها ،فانتظار توافق العرب مجتمعين على أيديولوجية واحدة هو الذي أضاع الفرص والجهد وهو نقطة الضعف التي راهن عليها المغرضون لإجهاض أي تحرك إيجابي لإنقاذ الأمة مما هي فيه ، وإذا كانت هناك أيديولوجيات عنصرية كالتي ضربنا أمثلة لها في الصفحات السابقة قد نجحت بصورة أو بأخرى، فما بالنا نتردد في صياغة ايديولوجية سامية لن تعجز عن تحقيق نجاحات في بيئة محدودة وهي التي نجحت منذ بزوغ فجر الإسلام في استقطاب القلوب المتلهفة للحق ودحض الباطل ، ولا بد للأيديولوجية العربية المقترحة من شروط أساسيةمنها :

أن لا ينفرد برسمها شخص واحد مهما علا شأنه ، وأن لا تكون مفروضة من أشخاص أو أحزاب يسوقون أبناء الأمة العربية ليجبروهم على تبنيها بالإرهاب الفكري أو ما سواه من أشكال الإرهاب المادي والمعنوي ، بل يجب أن تكون مشروعاً مفتوحاً يشارك فيه كل مجتهد مخلص على حدٍ سواء، أو أن ناتجة عن بحوث مشتركة حكومية أو أهلية .

وأن تقوم دولة عربية أوأكثر بتبني ودعم مثل هذا المشروع القابل للتعديل وفق مقتضيات الظروف الطارئة ، فإن تقاعست الدول القادرة على ذلك وجب على رجال الأعمال وذوي النفوذ التصدي لهذا المشروع والدفع باتجاه تحقيقه بقدر استطاعتهم .

وأن يتم التخطيط لتلك الأيديولوجية بصبر ومثابرة في كل مرحلة من مراحل نموها ونشأتها والمضي فيها، فمما يعاب علينا أننا نخطط لأميال بينما يخطط غيرنا لأجيال. لم يلجأ أعداؤنا وهم يكيدون لنا ويتآمرون علينا الى مجرد كراهيتهم لنا أومحاولتهم السيطرة علينا ، بل إنهم أبعد نظراً من ذلك حيث

خططوا لسنين طوال وواجهوا الإنتكاسات في فترات أمجادنا المؤقتة ، وتشاغلوا عنا الى أن تخمد نارنا ، وتظاهروا بالإستسلام الى أن تذهب ريحنا ، وإذا ما تأملنا في الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر الصبر بأنواعه لوجد فيها المعني الكثيرة ، ولا نقصد هنا الصبر على المكاره فحسب ، فالصبر عليها أصبح بالنسبة للإنسان العربي المسلم عادة يومية، ولكن المقصود هو الصبر الأيديولوجي البعيد عن الزفرات اليائسة التي تدفع البعض منا الى القيام بأفعال أو ردود أفعال فردية أوجماعية يائسة تكون نتيجتها أنها تدمر أكثر مما تعمر ، إنه صبر المفكرين الواعين والقادة المخلصين والمتأملين الصبورين الذين يزرعون ليحصد أبناؤهم وليحافظ على مازرعوه أجيال متلاحقة من أحفادهم .

أما تلك الايديولوجية فعناصرها مقترحة ولا يجب الإصرار على تبنيهاأو رفضها دون تبصر ،وتتمثل في البنود المقترحةالتالية:

أيديولوجية تؤمن بالعروبة كإنتماء دون استعلاء على الغير أوإحتقار للذات ، تحترم الغرب والشرق وكل من طورنظمه الإدارية بما يكفل كرامة مواطنيه، وطورنظمه المالية والإدارية بما من شأنه الحفاظ على الأموال العامة والممتلكات ، وتحترم تفوق الغرب والشرق العلمي والتكنولوجي فهم شركاء معنا في التاريخ الإنساني ولهم مآثر كثيرة ، وأضافوا مالايمكن نكرانه من إنجازات مشكورة لمسنا ومازلنا نلمس آثارها في ميادين العلم والطب وغيرهما من مجالات العلوم ، ولكن تلك الأيديولوجية لاتحقر في نفس الوقت من شأننا بسبب تكالب الدنيا بقضها وقضيضها علينا منذ قرون غابرة ولاتغفل ما أسهم به أجدادنا وآباؤنا للبشرية ولا تيأس من أن يقدم أبناؤنا في قادم الأيام أو العقود مانحن عاجزون عن المساهمة به في حاضرنا .

أيديولوجية تفتخر بدينها الإسلامي وبتعاليمه السامية وبمنهجه العلمي والمنطقي ، ولكنها لاتؤمن بالجمود العلمي و بأن حل مشاكلنا يتمثل فى إعادة الزمن الى الوراء والتمسك بأفكار وأعمال ثبت خطؤها ، وتجاهل الواقع الجديد الذي يفرض نفسه على العرب، شاءوا ذلك أم أبوا.

أيديولوجيـة لا تلجـأ الـى مواقـف متطرفـة ، تقـدم للأعـداء ذريعـة للتـدخل العسكري أو السياسـي ، ومجـردة مـن شـوائب الحقد الطـائفي والعرقـي والمـذهبي والديني ومتمسكة بالتسامح حتى وإن إدعى البعض أن العرب هم ضحايا العدالة والتسـامح الـديني الـذي أعطـى الفرصـة منـذ البدايـة لغيـرهم أن يتحـين الفرصـة المناسبة للتآمر عليهم وإضعافهم.

أيديولوجية لا تقوم على الإكتفاء برفض ما هو مطروح بحناجر مدوية وكتابات مشحونة بالعاطفة الخالية من أي منطق أو تفكير عقلاني واقعي يقوم على حسابات دقيقة لما بين أيدينا وما لدي الآخرين، وعلي فهم ودراية كاملة بمتطلبات مرحلة لا تقبل الأوهام ، فمن دون ذلك سيزداد العرب غربة فى بلادهم ، وتصبح أطروحاتهم عن الأمة الواحدة الممتدة من الخليج الى المحيط مجرد أضغاث أحلام، ومن دون ذلك سنخسر هذه البقعة الجغرافية من العالم، التى تمثل مهبط الرسالات السماوية ومهد الحضارات الإنسانية،، لأن الإخلاص وحده لا يكفى بل يجب أن يقترن بالحكمة التي تحولـه مـن مجـرد أمـاني عاطفيـة الـى تصـورات قابلـة للتطبيـق وقـادرة علـى حـل المشكلات الطارئة والمزمنة و الإنتقال بنا من التخلف الى التقدم.

أيديولوجيـة جديـدة، تسـتفيد مـن أخطـاء الماضـي، وترنـو الـى المسـتقبل بثقـة أيديولوجية تحمل فى رحمها مفكرون يختلفون فى الاستراتيجية عن مفكرين ينظر اليهم فى وطننا العربي على أنهم يريدون أن يعيدوا الاستعمار الى بلادنا بصورة أو أخرى بعد مسخ هويتنا وخصوصياتنا ، تعبر عن الماضي والحاضر والمستقبل وتستوعب الوان الفكر والثقافة.

ايديولوجية لا ترمي كل من يخالفها الرأي بالخيانة والعمالة والتآمر، بل تتوقف أمام كل موضوع لتقييمه إذ أنه من المؤكد أنه يوجد من بين مخاليفها من العرب من هم لايقلون إخلاصا لهذا الوطن عن من يتبناها ، حتى وإن إختلفوا معنا واختلفنا معهم .

ايديولوجيـة تـؤمن بـأن الديمقراطيـة المرشـدة هـي أولـى علامـات النجـاح علـى إمكانية استعادة العرب لمكانتهم المفقودة فى النظام الدولي لأنها ستجعل القرار فى يد

الشعوب وليس فى أيدي سلطات مستبدة أو حكام شموليين باعوا السيادة الوطنية والاستقلال من أجل البقاء فى كراسي الحكم أطول فترة ممكنة فى خدمة أنفسهم القوي الكبري والمؤامرات المستمرة على مقدرات الوطن وثرواته ، ودفعوا بالعقول العربية النابهة الى نزيف منظم أو خمول مزمن ولاهي ديموقراطية الغوغاء الذين وجدوا ضالتهم في الديموقراطية فحولوها الى فوضى شعبية تنساق وراء الشعارات ، وليس لديها ميزان تحدد به الحدود لتقف عندها إذا ما تعارضت أولوياتها مع أولويات دولها، ولهي ديموقراطية الأنانيين الذين قطعوا أوصال وطنهم بسيوف الطائفية والمذهبية والتمسك بكل ما من شأنه التميز السلبي عن إخوانهم ومواطنيهم أو حتى عن بقية البشر.

أيديولوجية لا يقتصر مفهومها عن الوحدة على أنها الوحدة السياسية فحسب، ولكنها تنظر اليها على أنها وحدة تكاملية مبرمجة ومدروسة بشكل علمي وعملي ، وقد يكون للوحدة السياسية الشاملة أو الجزئية حاضراً أو مستقبلاً نصيب فيها أو قدلايكون ، إذ أن الأمر يعتمد الى الحاجة اليها لاالى التطلع العاطفي لها ، ولنا في الوحدة الأوروبية قدوة وهي التي فكرت في الوحدة الإقتصادية والفكرية عن طريق المضي قدماً فى الإصلاح السياسي والاقتصادي والثقافي ، ولم تحدث نفسها في الغاء بعضها البعض أو الإندماج السياسي الفروض.

المؤامرة الشيطانية

لقد كانت بداية خيوط المؤامرة والتي لعبت الصدفة في الكشف عنها دورا هاما وذلك في عام ١٧٨٤ حين اكتشفت الحكومة البافاريه مخططات وثائقية أثبتت وجود مؤامرة أعد تنفيذها أستاذ يسوعي قد انشق عن المسيحية والكنيسة وارتد ليقوم بوضع أركانها بهدف تدمير الديانات وجميع حكومات العالم وهو "وايز هاوبت" لجعل الديانات ديانة واحدة يحكمها الشيطان.

وبدأ نسج خيوط المؤامرة عندما أنشأ وايز هاوبت جماعة أطلق عليها اسم "النوارانيون" لتحكم العالم وتتكون هذه الحكومة من الأشخاص ذوي القدرات العقلية، ومما يثبت قدرتهم الفكرية والإبداعية ثم بدأت الجماعة في تأسيس ما يسمي بمحفل الشرق الأكبر ليكون مركز القيادة السري له ولأعوانه ويقوم هذا المخطط على أساس :

أ – استعمال الرشوة والجنس للسيطرة على الأشخاص الذين يشغلون المناصب العليا في جميع الحكومات.

ب – الاهتمام بالطلاب المتفوقين وتدريبهم على أصول المذهب العالمي بغسيل المخ ليتاح لهم السيطرة على من هم أقل منهم كفاءة وذكاء وهم (الجوييم).*

ج – مراعاة الشخصيات ذات النفوذ في مختلف الحكومات والذين يسقطون في شباك النورانيين بحيث يمكن تقديم النصح لكبار رجالات الدول باعتناقهم وعلى المدى البعيد لسياسات يكون من شأنها أن تخدم المخطط الشيطاني.

د – من الأهمية الكبرى السيطرة على الصحافة والإعلام بمختلف أنواعهما.

---

* الحوييم : قطعان من البشر من غير اليهود.

(١) سامي نجيب.أفاعي العلمانية وأحاديث الإفك.القاهرة:دار التوزيع والنشر الإسلامية.١٩٩٣ ، ص٢٠٥

وقد أصدر "وايز هاوبت" أوامره لجماعة النورانيين لكي يثيروا الحروب من أجل إنهاك إنجلترا ثم ينظموا ثورة كبرى لأجل إنهاك فرنسا وذلك من خلال وثيقة يحملها رسول اليهم الا أن صاعقة في الطريق سقطت وأودت بحياته مما أدى الى العثور على الوثيقة من قبيل رجال الأمن ثم بعثت الى الحكومة البافارية وحيث صدرت أوامر باحتلال محفل الشرق الأكبر واعتبر "وايز هاوبت" وأعوانه من النورانيين خارجين على القانون ، ثم نشرت السلطات البافارية تفاصيل هذه المخطط وأرسلت منه نسخاً الى كبار رجال الكنيسة.

ولم يجد وايز هاوبت مفراً الا أن يعمل في السر ولم يجد أمامه سوى المحافل الماسونية لجعلها المراكز السرية لمخططه الشيطاني ونقل جميع فيها.

وهكذا تحولت المحافل الماسونية الى بؤرة لاحتضان العقيدة الشيطانية والتي تخفت خلف قناع الإنسانية والخير لتغطية النشاط التخريبي الهدام للقضاء على كل الديانات والحكومات.

المؤامرة الالكترونية (المعلوماتية) :

نحن نعرف أن أي نشاط للمعلومات يدار بواسطة الحاسبات الالكترونية يطلق عليه معلوماتية التي تراها كل منهما مناسبة ولكن عندما تتحول هذه المعلومات الى الشكل الالكتروني فهنا تكمن الخطورة وخاصة في وقتنا الحاضر، فالدخول غير المسموح من حيث الصلاحية أو الناحية القانونية بنية السلب أو الخرق أو الإتلاف يعتبر جريمة يعاقب عليها القانون.

ولا شك أن الأدوات الحديثة في تعقب هذه المعلومات من داخل البيئة المعلوماتية الخاصة بالدول والمؤسسات والهيئات بل والأفراد تتناسب وطبيعة البيئة المعلوماتية كفضاء الكتروني خاضع لمن يمتلك ويتحكم في هذا الفضاء كوسيط لنقل وتبادل وإرسال واستقبال المعلومات ، وبالتالي فالمتحكم يصنع الثغرات أو نقاط الضعف التي توجد في نظم المعلومات المتاحة للمتآمر عليه إما عمداً أو بالمصادفة أو

مع التقدم العلمي تظهر وسائل وأدوات لفتح تلك الثغرات عمداً أو أثناء التصنيع أو التركيب أو الصيانة.

وبالتالي يسهل التسلل للهدف عن طريق نظمه وبرامجه أو قواعد بياناته والحصول على كل ما يتداوله أو يخزنه أو يعالجه من معلومات لها أهميتها.

ويذكر العديد من خبراء أمن المعلومات أن الكثير من البرمجيات وقواعد البيانات تحتوي على بوابات خلفية تركها مصمموها عن عمد لاستخدامها عند الحاجة وهذا ما أوضحه مؤتمر القاهرة لأن المعلومات عام ٢٠٠٣ على لسان أحد الخبراء بأن الولايات المتحدة الأمريكية تلزم جميع شركات البرمجيات بإيداع نسخ كاملة مجاناً من البناء الكودي أو الشيفرة الداخلية لجميع برامجها لدى الجهات الأمنية المختصة وهذا يعني أن أي حاسب في أطراف العالم يعمل بهذه البرمجيات يصبح عرضة للتسلل والاختراق من قبل من يملك تكنولوجيا الاتصال.

وبالتالي يستطيع أي متآمر تغيير المعلومات أو إعادة توجيهها في مسار مختلف عن مسارها الطبيعي باستخدام أدوات الاعتراض وفك التشفير التي يستخدمها ضد تكويد وتشفير المتآمر عليه.

وقد أوضح بعض المسئولين في مجال تكنولوجيا المعلومات أن أخطر تهديد يواجه شبكة الإنترنت ومستخدميها هو البرامج التجسسية وليست الفيروسات كما كان معروفاً من قبل فأصبح التجسس الالكتروني من أهم أدوات جمع المعلومات وتعقبها فالمتآمر الذي كان يهدف لتدمير شبكة ونظم معلومات المتآمر عليه عن طريق تطوير الفيروسات المدمرة اكتشف ضياع وقته وطاقاته دون المقابل المناسب فأصبح من أهم اهتماماته تطوير برامج التجسس واستخدامها للوصول الى ملفات ومجلدات المتآمر عليه أو أرقام بطاقات الائتمان وسرقة أرقام الحسابات للبنوك التابعة لهم.

وقد نشرت صحيفة السياسة الكويتية مقالاً بعنوان ٢٠ مليون دولار خسائر عمليات المؤامرة الالكترونية ، فقد لاحظت الهيئة المشرفة على تعاملات الأسهم والسندات "سيكيورتيز أند إكستشينج كوميشن" عمليات القرصنة من الذين يتربصون بحسابات المستثمرين في البورصة الأمريكية ونشرت تحذيراً في موقعها الالكتروني

يتضمن تعليمات لحماية حساباتهم من المتآمرين عليه نتيجة نشاطات القرصنة في الفترة الأخيرة .

وقد تم اكتشاف عملية تم التخطيط لها بدقة وفي سرية تامة للتآمر على أحد العملاء والذي كان يعمل على حاسبه الشخصي قبل عدة أسابيع حين بدأت تصله رسائل الكترونية من شركة للسمسرة كان يتعامل معها وفي خلال دقائق كانت أسهمه وسندات المسجلة في شركات أمريكية شهيرة قد تم بيعها كما تم إفراغ ما يقدر بنحو ٦٠ الف دولار من الأسهم النشطة التي لم يتعامل بها منذ عام ٢٠٠١ ، الا إن الذي أنقذ هذا العميل من هذه المؤامرة هو فشل هؤلاء المتآمرين في تغيير عنوان البريد الالكتروني لتأكيد الصفقة والا كانوا حصلوا على كل شيء مثلما حدث مع ضحايا آخرين .

ومثال آخر :

ما أفردته صحيفة الشاهد في مقال بعنوان آسيوي يسطو على حسابات العملاء في ١٣ بنكاً محلياً وعالمياً عبر الإنترنت وهي واقعة فريدة من نوعها في دبي حين كشفت شرطة دبي النقاب عن مؤامرة دبرها أسيوي يبلغ من العمر ٣١ عاماً بدقة متناهية حيث حدد أحد مقاهي الإنترنت مكاناً لتنفيذ مؤامرته في دبي حيث استطاع الدخول على شبكات البنوك الالكترونية وتمكن من تحويل بعض المبالغ المالية عن طريق الشبكة الى حسابات وهمية كان قد خطط لها مسبقاً عن طريق أنظمة فتح الحسابات الالكترونية ، وقال مصدر صحفي بأن الحصر المبدئي يوضح أن المبلغ هو ٣٠٠ الف درهم من البنوك المحلية فقط.

مثال آخر :

حينما نشرت صحيفة الأهرام المصرية في مقال لها بعنوان القبض على طالب استولى على البريد الالكتروني لزميلته بسبب رفضها خطوبته لها فشعر بإهانة كرامته ، ففكر وخطط ليتآمر على زميلته الطالبة بمعهد للغات والترجمة فقام بتنفيذ

مؤامرته في سرية ودقة وسرقة بريدها الالكتروني وأرسل منه رسائل مسيئة لسمعتها تتضمن عبارات وأوصافاً تطعن في شرفها لجميع أصدقائها وأقاربها وهددها بنشر صور مخلة لها عبر الإنترنت بهدف التشهير بها وأن أحد الأشخاص قام بالاتصال بها على تليفونها المحمول محاولاً ابتزازها وتهديدها ، وقد تم استئذان النيابة وضبط الطالب الذي اعترف بارتكابه الواقعة للتشهير بها بعد إصابته بحالة نفسية سيئة نتيجة رفض الطالبة الارتباط به وخطبتها له.

المصـــــادر

١ – صحيفة السياسة الكويتية. ١٠ نوفمبر ٢٠٠٥ . ع ١٣٢٨٨ . ص١٦
٢ – الشاهد . ٣ يونيو ٢٠٠٦ . ع ٩٦ . ص٢٦ .
٣ – صحيفة الأهرام المصرية . ٧ مارس ٢٠٠٦ . ع ٤٣٥٥٥ . ص١٦
٤ – صحيفة الأهرام المصرية . ١٣ أبريل

المؤامرة الالكترونية (المعلوماتية) :

نحن نعرف أن أي نشاط للمعلومات يدار بواسطة الحاسبات الالكترونية يطلق عليه معلوماتية فتحتفظ الدول والمؤسسات والهيئات بالمعلومات وذلك بالوسائل التي تراها مناسبة لها ، ولكن عندما تتحول هذه المعلومات الى الشكل الالكتروني فهنا تكمن الخطورة وخاصة في وقتنا الحاضر، فالدخول غير المسموح من حيث الصلاحية أو الناحية القانونية بنية السلب أو الخرق أو الإتلاف يعتبر جريمة يعاقب عليها القانون.

ولا شك أن الأدوات الحديثة في تعقب هذه المعلومات من داخل البيئة المعلوماتية الخاصة بالدول والمؤسسات والهيئات بل والأفراد تتناسب وطبيعة البيئة المعلوماتية كفضاء الكتروني خاضع لمن يمتلك ويتحكم في هذا الفضاء كوسيط لنقل وتبادل وإرسال واستقبال المعلومات ، وبالتالي فالمتحكم يصنع الثغرات أو نقاط الضعف التي توجد في نظم المعلومات المتاحة للمتآمر عليه إما عمداً أو بالمصادفة أو مع التقدم العلمي تظهر وسائل وأدوات لفتح تلك الثغرات عمداً أو أثناء التصنيع أو التركيب أو الصيانة.

وبالتالي يسهل التسلل للهدف عن طريق نظمه وبرامجه أو قواعد بياناته والحصول على كل ما يتداوله أو يخزنه أو يعالجه من معلومات لها أهميتها.

ويذكر العديد من خبراء أمن المعلومات أن الكثير من البرمجيات وقواعد البيانات تحتوي على بوابات خلفية تركها مصمموها عن عمد لاستخدامها عند الحاجة وهذا ما أوضحه مؤتمر القاهرة لأن المعلومات عام ٢٠٠٣ على لسان أحد الخبراء

بأن الولايات المتحدة الأمريكية تلزم جميع شركات البرمجيات بإيداع نسخ كاملة مجاناً من البناء الكودي أو الشيفرة الداخلية لجميع برامجها لدى الجهات الأمنية المختصة وهذا يعني أن أي حاسب في أطراف العالم يعمل بهذه البرمجيات يصبح عرضة للتسلل والاختراق من قبل من يملك تكنولوجيا الاتصال.

وبالتالي يستطيع أي متآمر تغيير المعلومات أو إعادة توجيهها في مسار مختلف عن مسارها الطبيعي باستخدام أدوات الاعتراض وفك التشفير التي يستخدمها ضد تكويد وتشفير المتآمر عليه.

وقد أوضح بعض المسئولين في مجال تكنولوجيا المعلومات أن أخطر تهديد يواجه شبكة الإنترنت ومستخدميها هو البرامج التجسسية وليست الفيروسات كما كان معروفاً من قبل فأصبح التجسس الالكتروني من أهم أدوات جمع المعلومات وتعقبها فالمتآمر الذي كان يهدف لتدمير شبكة ونظم معلومات المتآمر عليه عن طريق تطوير الفيروسات المدمرة اكتشف ضياع وقته وطاقاته دون المقابل المناسب فأصبح من أهم اهتماماته تطوير برامج التجسس واستخدامها للوصول الى ملفات ومجلدات المتآمر عليه أو أرقام بطاقات الائتمان وسرقة أرقام الحسابات للبنوك التابعة لهم.

وقد نشرت صحيفة السياسة الكويتية مقالاً بعنوان ٢٠ مليون دولار خسائر عمليات المؤامرة الالكترونية ، فقد لاحظت الهيئة المشرفة على تعاملات الأسهم والسندات "سيكيورتيز أند إكستشينج كوميشن" عمليات القرصنة من الذين يتربصون بحسابات المستثمرين في البورصة الأمريكية ونشرت تحذيراً في موقعها الالكتروني يتضمن تعليمات لحماية حساباتهم من المتآمرين عليه نتيجة نشاطات القرصنة في الفترة الأخيرة .

وقد تم اكتشاف عملية تم التخطيط لها بدقة وفي سرية تامة للتآمر على أحد العملاء والذي كان يعمل على حاسبه الشخصي قبل عدة أسابيع حين بدأت تصله رسائل الكترونية من شركة للسمسرة كان يتعامل معها وفي خلال دقائق كانت أسهمه وسندات المسجلة في شركات أمريكية شهيرة قد تم بيعها كما تم إفراغ ما يقدر بنحو ٦٠ الف دولار من الأسهم النشطة التي لم يتعامل بها منذ عام ٢٠٠١ ، الا إن الذي أنقذ هذا العميل من هذه المؤامرة هو فشل هؤلاء المتآمرين في تغيير عنوان البريد

الالكتروني لتأكيد الصفقة والا كانوا حصلوا على كل شيء مثلما حدث مع ضحايا آخرين .

ومثال آخر :

ما أفردته صحيفة الشاهد في مقال بعنوان آسيوي يسطو على حسابات العملاء في ١٣ بنكاً محلياً وعالمياً عبر الإنترنت وهي واقعة فريدة من نوعها في دبي حين كشفت شرطة دبي النقاب عن مؤامرة دبرها أسيوي يبلغ من العمر ٣١ عاماً بدقة متناهية حيث حدد أحد مقاهي الإنترنت مكاناً لتنفيذ مؤامرته في دبي حيث استطاع الدخول على شبكات البنوك الالكترونية وتمكن من تحويل بعض المبالغ المالية عن طريق الشبكة الى حسابات وهمية كان قد خطط لها مسبقاً عن طريق أنظمة فتح الحسابات الالكترونية ، وقال مصدر صحفي بأن الحصر المبدئي يوضح أن المبلغ هو ٣٠٠ الف درهم من البنوك المحلية فقط.

مثال آخر :

حينما نشرت صحيفة الأهرام المصرية في مقال لها بعنوان القبض على طالب استولى على البريد الالكتروني لزميلته بسبب رفضها خطوبته لها فشعر بإهانة كرامته ، ففكر وخطط ليتآمر على زميلته الطالبة بمعهد للغات والترجمة فقام بتنفيذ مؤامرته في سرية ودقة وسرقة بريدها الالكتروني وأرسل منه رسائل مسيئة لسمعتها تتضمن عبارات وأوصافاً تطعن في شرفها لجميع أصدقائها وأقاربها وهددها بنشر صور مخلة لها عبر الإنترنت بهدف التشهير بها وأن أحد الأشخاص قام بالاتصال بها على تليفونها المحمول محاولاً ابتزازها وتهديدها ، وقد تم استئذان النيابة وضبط الطالب الذي اعترف بارتكابه الواقعة للتشهير بها بعد إصابته بحالة نفسية سيئة نتيجة رفض الطالبة الارتباط به وخطبتها له.

غسيل الدماغ ويجدر بنا هنا أن نأتي على ذكر طائفة ضالة الحقت الضرر الكبير بالمسلمين واغتالت قيادات إسلامية جاهدت ضد المغول والصليبيين ، هذه الطائفة هي

طائفة الحشاشين الذين اشتق الأوربيون من إسمهم مصطلح " المغتال " assassin " "حشاشين و"اغتيال" assassination. وتبدأ قصة هؤلاء مع رجل جاء من فارس وحمل في نفسه الأحقاد على المسلمين وإسمه الحسن الصباح وكان صديقاً للشاعر عمر الخيام ولنظام الملك وزير السلطان ملك الشاه، فأحسن اليه نظام الملك وقربه من السلطان ، فلما تمكن وأصبح ذا مال وجاه حاول الوشاية بصديقه نظام الملك عند السلطان ولكنه أنكرعليه غدره بصديقه الذي أحسن اليه وتشكك في نواياه ففر الى مصر حيث كان العبيديون (الفاطميون)يحكمون مصر آنذاك بما كانوا يتبنونه من أفكار ضالة فتشرب أفكار الحاكم بأمر الله الذي ادعى الالوهية في آخر أيامه . ومن مصر انطلق الى الشام حيث تظاهر بمحبة ال البيت ليكسب قلوب الناس فالتف الناس حوله فبدأ بعد ذلك ينحرف بهم الى مفاهيم الحادية مما أثارالناس والحكام المماليك ضده والناس عليه فلجأ الى منهج إرهابي يغتال به معارضيه وأعداءه مبتدئاً بنظام الملك صديقه القديم لينتقل بعد ذلك الى اغتيال كل من يقف بوجهه، وقد ظل يدرب فرق الإغتيال التي نجحت في نشر الرعب بين الدول والممالك الإسلامية ومواطنيها المعارضين له ،فكيف تمكن من السيطرة على أتباعه ليضحوا بأنفسهم في سبيل تنفيذ مؤامراته؟ والجواب هوغسيل الدماغ حيث كان يعمد الى غسل عقول اتباعه حتى يسيطر عليهم فلايعصون له أمرا .كان هو وأتباعه يربون الأطفال والأغرارمنذ نشأتهم يأتي يهيئ

المصادر

١ – صحيفة السياسة الكويتية. ١٠ نوفمبر ٢٠٠٥ . ع ١٣٢٨٨ . ص١٦

٢ – الشاهد . ٣ يونيو ٢٠٠٦ . ع ٩٦ . ص٢٦ .

٣ – صحيفة الأهرام المصرية . ٧ مارس ٢٠٠٦ . ع ٤٣٥٥٥ . ص١٦

٤ – صحيفة الأهرام المصرية . ١٣ أبريل ٢٠٠٦ . ع ٤٣٥٩٢ . ص ٢١

ـ المسيحيين الصهاينة ودورهم في مساندة الصهيونية اليمين المتطرف يضغطون على الإدارات الأمريكية المتعاقبة

لأن "كل شيء موقت" سيزول الطلاء مع هبوب رياح قوية

عالمان إسرائيليان: الدولة العبرية تسير نحو الهلاك على يد شعبها وقيادتها.

غزة . أ. ش. أ : رسم عالمان إسرائيليان في الكيمياء والرياضيات حازا مؤخراً على جائزة **نوبل** صورة سوداوية لمستقبل إسرائيل نتيجة للأوضاع الداخلية والفساد المستشري في أوساط قيادييها وحذرا من عواقب هذه الأوضاع على مستقبل إسرائيل, مشيرين الى تدهور القيم فيها واضطراب الروح وغياب قيادة كفؤة تعرف كيف تصرف شؤون الدولة. واتفق كل من الدكتور يسرائيل اومان والدكتور اهارون تشاحنوفر في حديثهما لصحيفة يديعوت احرونوت الإسرائيلية على تدهور القيم في إسرائيل وأفولها وسيرها في الاتجاه غير الصحيح نحو هلاك محتمل , موضحين أن السبب ليس في الأعداء الخارجيين وإنما بسبب الشعب الاسرائيلي وقياديه أو ممن يدعون القيادة , وأضاف العالمان أما القيادة في الحكم فهي بائسة ,إذ لا نرى أي شخصية توحي بعمق التفكير ، وفي الحقيقة ليس لدى أركان الدولة ما يطرحون من أفكار, لا أجندة لديهم , أما حزب كاديما الحاكم فليس أكثر من فقاعة صابون ، لدينا قيادة تعيش كل الوقت تحت علامة استفهام أخلاقية والجمهور لا يثق بها .

وأوضح تشاحنوفر أن المظاهر السيادية للسلطة باستثناء العلم والنشيد الوطني خاضعة لتحقيقات المستشار القضائي للحكومة أو مراقب الدولة , مشيرا الى أن كل المظاهر السيادية في إسرائيل قد تآكلت ،وتابع قائلا : إنه حيال قيادة كهذه التي تحكم ليس غريبا الانقسام الحاصل داخل المجتمع الإسرائيلي ,وهذا أخطر من العدو الخارجي, ثمة مظاهر هدامة داخل المجتمع الإسرائيلي حتى الجيش فشل أخلاقيا وعمليا, واعرب عن قلقه على وجود إسرائيل قائلا:كل شيء يبدو

هنا بلا قيم , كل شيء مؤقت والخلل يتم ترقيعه أو طلاؤه , لكن الطلاء سيزول مع هبوب رياح قوية, من جانبه اكد اومان أن المشكلة الأساسية التي تواجهها إسرائيل تكمن في حال المجتمع الذي تسيطر الأنانية على أفراده , موضحا لقد اختفت المصلحة الجماعية بعد أن قذفت الى الهامش لحساب المصلحة الشخصية .

وأضاف العالمان أن عطبًا أصاب المنظومة الثقافية في إسرائيل التي باتت تفتقر الى باحثين وعلماء ومفكرين ورجالات يحتذى بها ورجالات فكر يقودونها, وثمة تدهور ثقافي حاصل على الصعد المختلفة, والخلل واضح في المؤسسات الأكاديمية, وحملة الالقاب الجامعية يفتقرون الى الثقافة الواسعة, ولا قيادات للمعاهد الأكاديمية تنير الطريق, ولقد اختفى أمثال رجالات الفكر من الماضي غير البعيد ,ما يحصل دليل على إفلاس ثقافي هو الأخطر.

المصدر:***صحيفة السياسة الكويتية ٢٩/١٠/٠٦ العدد ١٣٦٤١ ص ٣٤***

الفتنة وموقعة الجمل :

خرج أزواج النبي الى الحج بعد مقتل سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه هرباً من الفتنة وقد بويع لعلي [١] عندما اجتمع الستة الكبار سعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بين العوام وعلي بن أبي طالب وهم الباقون من رجال الشورى الذين عينهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليقرروا بذلك مصير الخلافة.

وبعد هذه البيعة فرت جماعة من بني أمية الى مكة وقد كانت السيدة عائشة رضي الله عنها من أكثر الناس سخطاً وغضباً لمقتل عثمان رغم أنها أخذت عليه أموراً كثيرة وجاهرت بها وتحدثت مع الناس فيها وقامت وحثت الناس على القيام بطلب دمه من أولئك الذين قتلوه في بلد حرام وشهر حرام وقد طلبوا من سيدنا علي بن أبي طالب تسليم قتلة عثمان فيقتلونهم لجريمتهم وأخذت عائشة رضي الله عنها زمام

القيادة وآثرت الذهاب الى البصرة لتجنب الفتنة وأمرت مروان بن الحكم أن يؤذن للصلاة وجعلت لابن أختها إمامة الناس (عبد الله بن الزبير) .

وقد انتشرت شائعة بين الناس بأن علياً قد قدم بجيشه يحاصر الخارجين الى البصرة مما ساروا مع السيدة عائشة وكان ذلك هو بداية الصدام بين الخارجين وبين علي بن أبي طالب الذي كان بجيشه عدد كبير من أتباع عبد الله بن سبأ الذين يبجلون علياً وهم الذين البوا ضد عثمان لإذكاء فتنة يعلمون مداها.

ولأول مرة في تاريخ الإسلام وهو لا يزال في بداية عهده تنشأ سلطة وفقاً للالية التي اعتمدت تكون طاعتها محل شك في نفوس أتباعها.

وفي الحقيقة أنه من الواضح أن من يطلق عليهم قتلة عثمان عدد من الناس غير محدد الهوية فهم من مصر والبصرة والكوفة وقد عسكر جمع كثيف من قبائل العرب الذين انضموا الى السيدة عائشة مع طلحة والزبير عند المربد يطلبون دم عثمان ولا يعرفون بوضوح من يريدون.

ولم يكن علي رضي الله عنه أن يفعل مع أصحاب الجمل الذين اجتمعوا في المربد قرب البصرة وعلي رأسهم واحدة من أمهات المؤمنين واثنان من كبار الصحابة من أهل الشورى الذين شهدوا المواقع كلها مع رسول الله.

ولكن الصورة أمام الرأي العام آنذاك أن الذين مع علي هم الذين قتلوا عثمان ، وقد بعث علي القعقاع بن عمرو كرسول يتحدث مع طلحة والزبير بالبصرة يدعوهم الى الالفة والجماعة وبين لهما مغبة الاختلاف والفرقة ، ومع المباحثات والمحادثات مع أم المؤمنين السيدة عائشة وافقوا على الصلح وعدم الفرقة وعاد القعقاع الى علي فأخبره بما حدث.

ولما أرادت الخروج من البصرة جهز لها علي بن أبي طالب ٤٠ امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات وسير معها أخاها محمد بن أبي بكر ، وخرجت من الدار في الهودج فودعت الناس ودعت لهم وقالت "يا بني لا يعتب بعضنا على بعض أنه والله ما كان بيني وبين علي في القدم الا ما يكون بين المرأة وأحمائها ، وأنه على معتبتي لمن الأخيار" وقال علي : "صدقت والله ما كان بيني وبينها الا ذاك وإنها لزوجة نبيكم في الدنيا والآخرة.

وفرح الناس بقدوم السيدة عائشة للصلح وقد كان قتلة عثمان قد وصل عددهم في جيش علي بن أبي طالب حوالي الفين وخمسمائة ، فلما علم علي بالصلح أمر فنادى : أن من شارك في التاليب على عثمان أو أعان على قتله فلا يرتحل معنا من الغد وهو ما أثار قلقهم وتخوفهم وظنوا أنها خطة يراد بها القضاء عليهم حتى أن بعضهم تكلم في أصحابه يقول : إن كانوا يصطلحون على دمائنا الحقنا علياً بعثمان وبدأ ابن السوداء عبد الله بن سبأ داهية القوم في التخطيط للفتنة الكبرى وقال لهم لو قتلناه قتلنا الناس ، فإنا يا معشر قتلة عثمان لا طاقة لنا بهم واقترح عبد الله بن سبأ عليهم أن يختلطوا في الناس من الغد عندما يلتقي علي بأصحاب الجمل وينشبون القتال ويظن كل فريق أن الفريق الآخر هو الذي فعل ومن ثم يتقاتلون ، وإن حدث القتال سينشغل الناس بأمر أكبر وأعظم من قتلة عثمان وسيضرب بعضهم أعناق بعض وسنخرج منهم سالمين .

وعندما التقى الجمعان للصلح جاءت ساعة التنفيذ وفو جيء الفريقان بنشوب القتال بعد رمي بالنبل أحدثه أصحاب عبد الله بن سبأ ولم يكن هناك وقت للسؤال كيف بدأ القتال وكان على علي أن يستبسل للدفاع عن نفسه وتجميع الناس حول الجمل يدافعون عن السيدة عائشة رضي الله عنها وقتل طلحة أثناء التزاحف ، وقيل أن الذي قتله سهم طائش رماه مروان بن الحكم أما الزبير فذبحه فتاك العرب عمرو بن جرموز وهو نائم عند وادي السباع وإهتم بنو ضبة بالدفاع عن هودج أم المؤمنين وصار كل من يمسك بخطام الجمل تقطع يده ويقتل ، ثم أخذت السيدة عائشة الى دار عبد الله بن خلف وقال رجل لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب: إن على الباب رجلان ينالان من السيدة عائشة فأمر القعقاع بن عمرو أن يجلد كل واحد منهما مائة جلدة.

الحواشي المرجعية

(١) هتلر ، أدولف .***كفاحي*** . عرض وتحليل مزيد الفالوجي . القاهرة : دار الكتاب العربي ، ٢٠٠٥ . ص١٣٧ .

(٢) علي إبراهيم . مصدر سابق . ص٤١ ، ٥٣ .

(٣) محمد سيد طنطاوي . مصدر سابق . ص١٤٧ .

(٤) محمد خليفة التونسي . ***الخطر اليهودي*** . الكويت : ذات السلاسل . ص٦٠ .

(٥) محمد سيد طنطاوي . مصدر سابق . ص٨٠ .

(٦) عجاج نويهض . مصدر سابق . ٢٦١ .

(٧) فورد ، هنري . مصدر سابق . ١٨ .

(٨) نفس المصدر . ص١١٩ .

(٩) هاليفي ، إيلان ، ألفريد ليلينتال . مصدر سابق . ص٩٠ .

(١٠) نفس المصدر . ص٩٠ .

(١١) نفس المصدر . ص١٣١ .

(١٢) نفس المصدر . ص١٣٢ .

(١٣) فورد ، هنري . مصدر سابق . ص١٣٠ .

(١٤) أسعد الحمراني . مصدر سابق . ص

(١٥) صحيفة لوياريزيان ليبريه . ألكسندر، فيليب . ***الانحياز لإسرائيل***.. ٢٩ فبراير ١٩٨٨ .

(١٦) جارودي ، روجيه . مصدر سابق . ص٣٤٣ .

(١٧) صحيفة السياسة الكويتية . ١٩ أكتوبر ٢٠٠٦ . ع ١٣٦٣١ . ص٣٩ .

قائمـــــة المصـــــادر

(١) إبراهيم محمود *أئمة وسحرة : البحث عن مسيلمة الكذاب وعبد الله بن سبأ في التاريخ*. لندن . رياض الريس ، ١٩٩٦ . ٢٦١ص

(٢) أحمد أنور زهران. *الحرب المحدودة والحرب الشاملة*. القاهرة: مكتبة غريب، ١٩٨٩. ١٧٥ص .

(٣) أحمد بدر . *الاتصال بالجماهير والدعاية الدولية* . الكويت : دار العلم ، ٣٢٤ ص .

(٤) أحمد حسن صبحي . *المسلمون والمسيحيون تحت الحصار اليهودي*. القاهرة : مكتبة مدبولي ، ٢٠٠٢ . ٢٥٣ص .

(٥) أحمد شلبي . *اليهودية : مقارنة الأديان* . ط١ . القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٩٣ . ٣٧٧ص.

(٦) أسعد الحمراني *الإسلام بين المذاهب والأديان*. ط٢ . بيروت . دار النفائس ، ١٩٩٢ . ١٥٢ص .

(٧) إسماعيل أحمد ياغي . *تاريخ العالم العربي المعاصر* . الرياض : مكتبة العبيكان ، ٢٠٠٠ . ٤٨٧ص.

(٨) إسماعيل علي أحمد ياغي . *الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث* . ط٢ . الرياض : مكتبة العبيكان ، ١٩٩٨ . ٣٢٨ص .

(٩) *الإشاعة والحرب النفسية* . المركز العربي للدراسات الأمنية . الرياض . ٣٢٢ ص .

(١٠) *أعمال ندوة الاختراق الإعلامي للوطن العربي*. تحرير سعد لبيب . القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٩٦ . ٣٢٠ص .

(١١) صحيفة لوياريزيان ليبريه . ألكسندر، فيليب . *الانحياز لإسرائيل*.. ٢٩ فبراير ١٩٨٨ .

(١٢) أمرنجر،تشارلز. *المطرقة والدرع: المخابرات المركزية الأمريكية*. تعريب غانم زين الدين.بيروت: دار الحسام، ١٩٩٢ . ٤٠٨ص .

(١٣) أمير يكن. *العصبية القبلية والإمام المظلوم*. ط٣ . دمشق : دار المعرفة ، ١٩٩٢ . ١٦٤ص .

(١٤) أندرو، كريستوفر ، أوليغ غورديسكي. *الاستخبارات السوفياتية في العالم (١٩١٧-١٩٩٠)* . بيروت: دار الحقيقة ، ١٩٩١ . ٧٥١ص .

(١٥) *الأهرام* ١٠ أكتوبر ٢٠٠٥ . ص ١٧ .

(١٦)بروكلمان . كارل . ***تاريخ الشعوب الإسلامية*** . ترجمة نبيه فارس ، منير البعلبكي . ط١١ . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨٨ . ٩٠٣ ص .

(١٧) بطرس غالي.***الإستراتيجية والسياسة الدولية***.القاهرة:مكتبة الأنجلو المصرية،١٩٦٧ .٢٩٥ص

(١٨) بلوش ، جوناثان ، باترك فيتز جيرالد . ***الاستخبارات البريطانية وعملياتها السرية في أوروبا وأفريقيا والشرق الأوسط*** . ترجمة عفيف الرزاز . بيروت . مؤسسة الأبحاث العربية ، ١٩٨٧ ، ٣٤٦ ص .

(١٩) ***تاريخ الحضارات العام***. إشراف كروزيه ، موريس . ترجمة يوسف أسعد داغر ، فريد م. داغر، بيروت . عويدات للنشر . ٢٠٠٣ . ٧ مج . (مج ٧ : العهد المعاصر) .

(٢٠) جارودي ، روجيه . ***الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية*** . تقديم محمد حسنين هيكل . ترجمة محمد هشام . القاهرة : دار الشروق ، ١٩٩٨ . ٣٤٣ ص .

(٢١) جمال بدوي. ***الطغاة والبغاة*** . القاهرة : دار الشروق ، ١٩٩٦ . ١٥١ص .

(٢٢) حمد سعيد الموعد. ***حرب المياه في الشرق الأوسط***. دمشق : دار كنعان ، ١٩٩٠ . ٢٢٧ص .

(٢٣) دورندان ، غي . ***الدعاية والدعاية السياسية*** . ترجمة رالف رزق الله . [د.م.] : المؤسسة الجامعية ، ١٩٨٠ . ٣٧٣ ص .

(٢٤) ذياب البداينة. ***الأمن وحرب المعلومات***. عمان: دار الشروق. ٢٠٠٢ . ٤٩٠ص

(٢٥) ***الرأي العام*** ع ١٣٢٥٣ / ٣ أكتوبر ٢٠٠٣ . ص٣٣ .

(٢٦) ***الرأي العام*** ع ١٣٢٨٠ / ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٣ . ص ٣٥ .

(٢٧) زهدي الفاتح . ***المسلمون والحرب الرابعة*** . ط١ . [د.م. ، د.ن.] ، ١٩٦٩ ٢٤٦ ص.

(٢٨) سامي بن عبد الله بن أحمد المغلوث. ***أطلس تاريخ الأنبياء والرسل*** : الرياض . مكتبة العبيكان ، ٢٠٠١ . ١٧٥ ص .

(٢٩) سامي نجيب . ***أفاعي العلمانية وأحاديث الإفك*** . القاهرة : دار التوزيع والنشر الإسلامية ، ١٩٩٣ . ٢٠٥ ص .

(٣٠) سعيد الجزائري. ***حرب المخابرات في العالم*** . بيروت : دار الجيل ، ٢٠٠٠ . ٣٧٥ص .

(٣١) سعيد سراج . ***الرأي العام : مقوماته وأثره في النظم السياسية المعاصرة*** . القاهرة . الهيئة المصرية العامة للكتاب . ٢٧٩ ص .

(٣٢) سيد قطب . ***الإسلام ومشكلات الحضارة*** . . ط ١٢ . القاهرة : دار الشروق ، ١٩٩٣ . ١٩٩ ص .

(٣٣) ***شؤون الأوسط*** . "حرب الموز" . ع ٨٢ . أبريل ١٩٩٩ ص ٧٩ .

(٣٤) شوجر ، بيتر . ***أوروبا العثمانية ٣٥٤ ـ ١٨٠٤*** . القاهرة : دار الثقافة الجديدة ، ١٩٩٨ . ٣٥٢ ص.

(٣٥) صفي الرحمن المباركفوري . ***الرحيق المختوم : بحث في السيرة النبوية*** . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٩٩٩ . ٥١٢ ص .

(٣٦) صلاح أبو السعود . ***المرجع الكامل في الفرق والجماعات والمذاهب الإسلامية منذ سقيفة بني ساعدة إلى اليوم*** . ط١ . القاهرة : مكتبة النافذة . ٢٠٠٥ .٢١٥ص .

(٣٧) صلاح سالم . ***حروب المنطقة العربية.*** القاهرة: دار الشروق. ٢٠٠١ . ٣٢٥ص .

(٣٨) صلاح منتصر. ***الذين غيروا القرن العشرين.*** القاهرة: مركز الأهرام للترجمة والنشر، ٢٠٠٠. ١٩٨ص .

(٣٩) صلاح نصر . ***الحرب النفسية : معركة الكلمة والمعتقد*** . ط٢ . [د.م.]: الوطن العربي للنشر ، ١٩٨٨. ٤٦٧ص .

(٤٠) عادل ثابت. ***فاروق الأول والملك الذي غدر به الجميع*** . ترجمة محمد مصطفى غنيم . ط٥ . القاهرة: أخبار اليوم ، ١٩٩٠ . ٢٨٧ ص .

(٤١) عايش محمود زيتون . ***علم حياة الإنسان : بيولوجيا الإنسان*** . القاهرة : دار الشروق . ١٩٩٦ . ٢٩٣ص .

(٤٢) عبد الخالق عبد الله . ***العالم المعاصر والصراعات الدولية***. الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٨٩ . ٢٦٨ص .

(٤٣) عبد الرحمن الرافعي . ***في أعقاب الثورة المصرية*** . ط٣ . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٨٨ . ٣ جـ .

(٤٤) عبد الستار فتح الله سعيد. ***الغزو الفكري والتيارات المعادية للإسلام***. ط٥ . المنصورة : دار الوفاء، ١٩٨٩ . ١٧٢ص .

(٤٥) عبد العزيز بلقزيز. ***الأمن القومي العربي***. القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٩ . ١٤٦ص

(٤٦) عبد المنعم الحفني . ***موسوعة القرآن العظيم*** . ط١ . القاهرة : مكتبة مدبولي، ٢٠٠٣. ٢جـ .

(٤٧) عبد الوهاب الكيالي . ***الموسوعة السياسية*** . ط١ . بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨١ . جـ٢ . ص٧٨٤ .

(٤٨) عجاج نويهض . ***بروتوكولات حكماء صهيون*** . *مجموعة الأجزاء الأربعة* . ط٤ . بيروت : دار الاستقلال ، ١٩٩٦ . ٦٤٤ ص .

(٤٩) علاء الدين المدرس . ***المؤامرة الكبرى في صدر الإسلام*** . دمشق : دار الكتاب العربي ، ٢٠٠٥ . ٢٠٠ص .

(٥٠) ***العلاقات العربية الإيرانية*** . معهد البحوث والدراسات العربية . القاهرة : المعهد ، ١٩٩٣ . ٤٣٨ ص .

(٥١) علي إبراهيم . ***وأخيراً نجرؤ على الكلام : الإستراتيجية والأساطير الصهيونية*** . القاهرة : مؤسسة المسيرة العربية ، ١٩٩٨ . ٥٠٦ ص .

(٥٢) علي عبد الرحمن السلمان . ***عبد الله بن سبأ وإمامة علي بن أبي طالب*** . القاهرة : دار الأزل ، ٢٠٠٠ . ٢٧٧ ص .

(٥٣) علي محمد جريشة، محمد شريف . **أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي** . القاهرة: دار الاعتصام، ١٩٧٨ . ٢٥٦ص .

(٥٤) عمر هارون خليفة.***علم النفس والمخابرات***.بيروت:المؤسسة العربية للدراسات،٢٠٠٠ . ٣١٥ص

(٥٥) عواشه محمد حفيق . ***الرأي العام بين الدعاية والإعلام. الجامعة المفتوحة*** . ٢٤٥ ص

(٥٦) عوفر ، تسفي ، آفي كوبر . ***الاستخبارات والأمن القومي*** . ترجمة دار الجليل . عمان : دار الجليل، ١٩٨٨ . ٥٢٠ ص .

(٥٧) فتحي عبد القادر سلطان ، محمد رجب سلامة . ***المخلب الدمويا الشين بيت (الشابك) : جهاز الأمن الداخلي الإسرائيلي*** . عمان . الأهلية للنشر ، ٢٠٠٢ . ٥٠١ص .

(٥٨) فتحي علي حسين . ***المياه وأوراق اللعبة السياسية في الشرق الأوسط*** . تقديم محمد عبد الهادي راضي. القاهرة . مكتبة مدبولي . ٢٣٥ ص .

(٥٩) فريد الفالوجي. ***جواسيس الموساد*** العرب : أشهر ٢٥ جاسوساً. القاهرة: مكتبة مدبولي ، ٢٠٠٣ . ٥٠٠ ص

(٦٠) فورد ، هنري . ***اليهودي العالمي*** . إعداد جيرالد . كي . سميث . ترجمة خيري حماد . بيروت : منشورات المكتب التجاري للطباعة . [د.ت.] ٢٥٥ص . ١٩٩٦

(٦١) فوزي منصور . ***خروج العرب من التاريخ*** . ترجمة طريف عبد الله ، كمال السيد . القاهرة : مكتبة مدبولي . ط ١ ، ١٩٩٣ . ٢٤٤ ص .

(٦٢) فوللر ، جراهام إي ، إيان أوليسر . ***الإسلام والغرب بين التعاون والمواجهة*** . ترجمة شوقي جلال . القاهرة . مؤسسة الأهرام، ١٩٩٦ . ٢١٥ ص .

(٦٣) كلاين، راي . ***الجاسوسية في عصر الإلكترونيات*** . ترجمة سمير عبد الكريم. [د.م]: دار قتيبة ، ١٩٩١. ٣٢٠ص .

(٦٤) مؤيد عبد الجبار الحديثي . ***العولمة الإعلامية والأمن القومي العربي*** . عمان . الأهلية للنشر ، ٢٠٠٢ ٢٧٦ ص .

(٦٥) ***مجلة المجتمع*** ."المنظمات غير الحكومية وعلاقاتها بأجهزة الاستخبارات الغربية ". ع ١٢٠٤ . ١٨ يونيو ١٩٩٦ ص ص ٢٠ – ٢٥.

(٦٦) محمد الجزائري .. [وآخرين] . ***الموسوعة السياسية والتاريخية (١٩٠٠ – ٢٠٠٢)*** . ترجمة أيام ملحم. بيروت : دار الحسام ، ٢٠٠٣ . ٤٣٩ ص .

(٦٧) محمد سلامة جبر . ***موجز تاريخ الأنبياء والرسل*** . ط ٢ . الكويت : المؤلف ، ٢٠٠٦ . ١٥٨ ص .

(٦٨) محمد سيد طنطاوي . ***الإشاعات الكاذبة وكيف حاربها الإسلام*** . القاهرة : دار الشروق ، ٢٠٠١ . ٢٩٤٠ ص .

(٦٩) محمد سيد طنطاوي . ***بنو إسرائيل في القرآن والسنة*** . ط٢ . القاهرة : دار الشروق، ٢٠٠٠ . ٧٥٨ص .

(٧٠) محمد صادق . زلزلة . ***الإيمز : معضلة القرن العشرين*** . الكويت : ذات السلاسل ، ١٩٨٦ . ٢٩٥ ص

(٧١) محمد عبد القادر حاتم . ***الرأي العام وتأثره بالإعلام والدعاية***. بيروت. مكتبة لبنان ، ١٩٧٣ . ٤٣٨ ص.

(٧٢) محمد كرد علي . ***الإسلام والحضارة العربية*** . جـ١ . ٣٦٣ ص .

(٧٣) محمد مؤنس عوض. ***الحروب الصليبية: السياسة، المياه ، العقيدة***. القاهرة: عين للدراسات والبحوث الإنسانية، ٢٠٠١ . ١٧٢ص .

(٧٤) محمد محمود الصواف . ***المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام*** . القاهرة : دار النصر ، ١٩٧٩ . ٢٧١ ص .

(٧٥) محمود إسماعيل. ***الحركات السرية في الإسلام*** . القاهرة : سينا للنشر . ط ٥ . ١٩٩٧ . ٢٢١ ص .

(٧٦) محمود عرفة محمود . ***العرب قبل الإسلام . أحوالهم السياسية والدينية*** . القاهرة : دار الثقافة العربية، ١٩٩٨ . ٥٢٨ ص .

(٧٧) مختار التهامي. ***الرأي العام والحرب النفسية***. القاهرة: دار المعارف ، ١٩٦٧ . ٣٧٥ص .

(٧٨) مذكرات مستر همفر : ***الجاسوس البريطاني في البلاد الإسلامية*** . ترجمة ج.خ . [د.م.] : المؤلف ، ١٩٧٣ . ١٤٥ ص .

(٧٩) مذكرات مستر همفر : ***الحاسوب البريطاني في البلاد الإسلامية*** . ترجمة ج.خ. ٨٥ ص .

(٨٠) مسعود الخوند . ***الموسوعة التاريخية الجغرافية*** . بيروت : الشركة العالمية للموسوعات ، ٢٠٠٢ . ١٦جـ .

(٨١) مصطفى طلاس.***الإستراتيجية السياسية العسكرية***. دمشق.دار طلاس ، ١٩٩١ . جـ١ ، ٥١٠ ص

(٨٢) ممدوح الزوبي. ***الدعاية الصهيونية أو ، الطرق الخفية لتنفيذ القرار الصهيوني***. بيروت: دار ابن كثير، [١٩٩٤] . ٢٩٨ص .

(٨٣) منير البعلبكي . ***موسوعة المورد العربية : دائرة معارف ميسرة*** . بيروت . دار العلم للملايين . مج١ ص ٦٩٦ .

(٨٤) ***الموسوعة الميسرة في التاريخ الإسلامي*** . إعداد فريق البحوث والدراسات الإسلامية . الإسكندرية : مكتبة علاء الدين ، ٢٠٠٠ . ٢مج .

(٨٥) نبيل السمان. ***حرب المياه من النيل إلى الفرات***. ط٢ . فلسطين: دار المستقبل ، ١٩٩٧ .

(٨٦) هاليفي ، إيلان ، ألفريد ليلينتال . ***إسرائيل من الإرهاب إلى مجزرة الدولة*** . ترجمة رياض صوما . بيروت . دار المروح ، ١٩٨٥ . ١٥٥ ص .

(٨٧) هاني لبيب . ***أزمة الحماية الدينية : الدين والدولة في مصر*** . القاهرة : دار الشروق ، ٢٠٠٠ . ٢٩٨ص .

(٨٨) ويلبر ، دونالد . ***إيران . ملضيها وحلضرها*** . ترجمة محمد حسنين . القاهرة : دار الكتاب المصري، ١٩٨٥ . ٢٨٦ص .

(٨٩) ياسر حسين . ***يهود ضد إسرائيل*** . ط ١ . الجيزة : مركز الحضارة العربية ، ١٩٩٧ . ١١٠ ص .

(٩٠) ياسين سويد . ***مؤامرة الغرب على العرب : محطات في مراحل المؤامرة ومقاومتها***. بيروت : المركز العربي للأبحاث والتوثيق ، ١٩٩٢ . ٤٠٧ ص .

(٩١) يانج جورج . ***تاريخ مصر من عهد المماليك إلى نهاية حكم إسماعيل*** . ترجمة أحمد شكري . القاهرة : مكتبة مدبولي ، ١٩٩٠ . ٦٠٨ ص .

(٩٢) يوسف أبو بكر، نبيل سالم. ***حرب المعلومات بين العرب وإسرائيل***. بيروت: دار الجليل، ١٩٨٩. ١٤٣ص .

(٩٣) يوسف العاصي الطويل . ***أحمد ديدات بين القاديانية والإسلام***. القاهرة :مكتبة مدبولي ، ٢٠٠٢ . ٤٥٥ص .

(٩٤) بينبرغ ،آدم .، مارك باري.***وكر الجاسوسية:جاسوسية الشركات الأمريكية***.تعريب فواز زعرور.الرياض: مكتبة العبيكان، ٢٠٠٣ . ٣٠٢ص